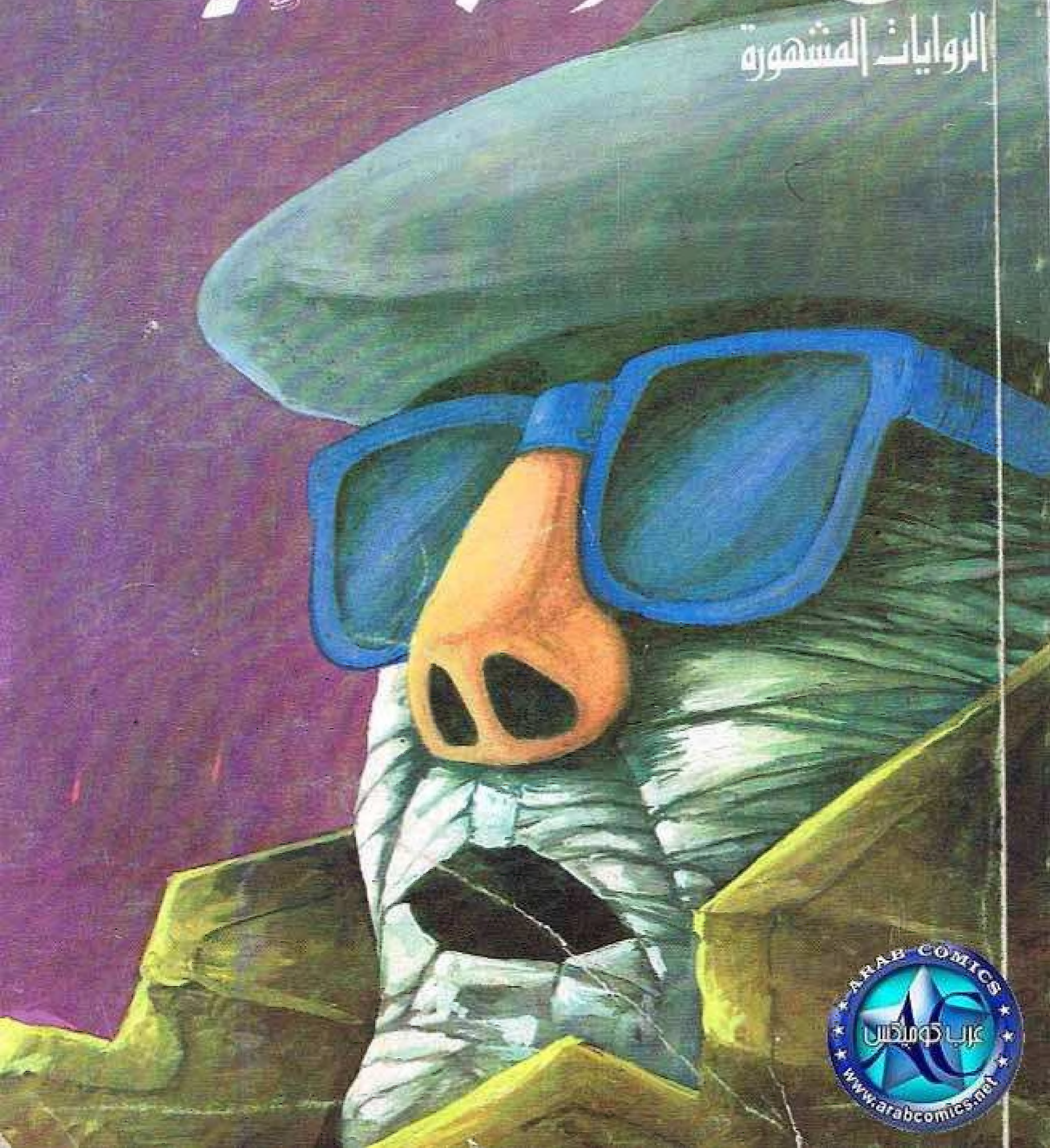
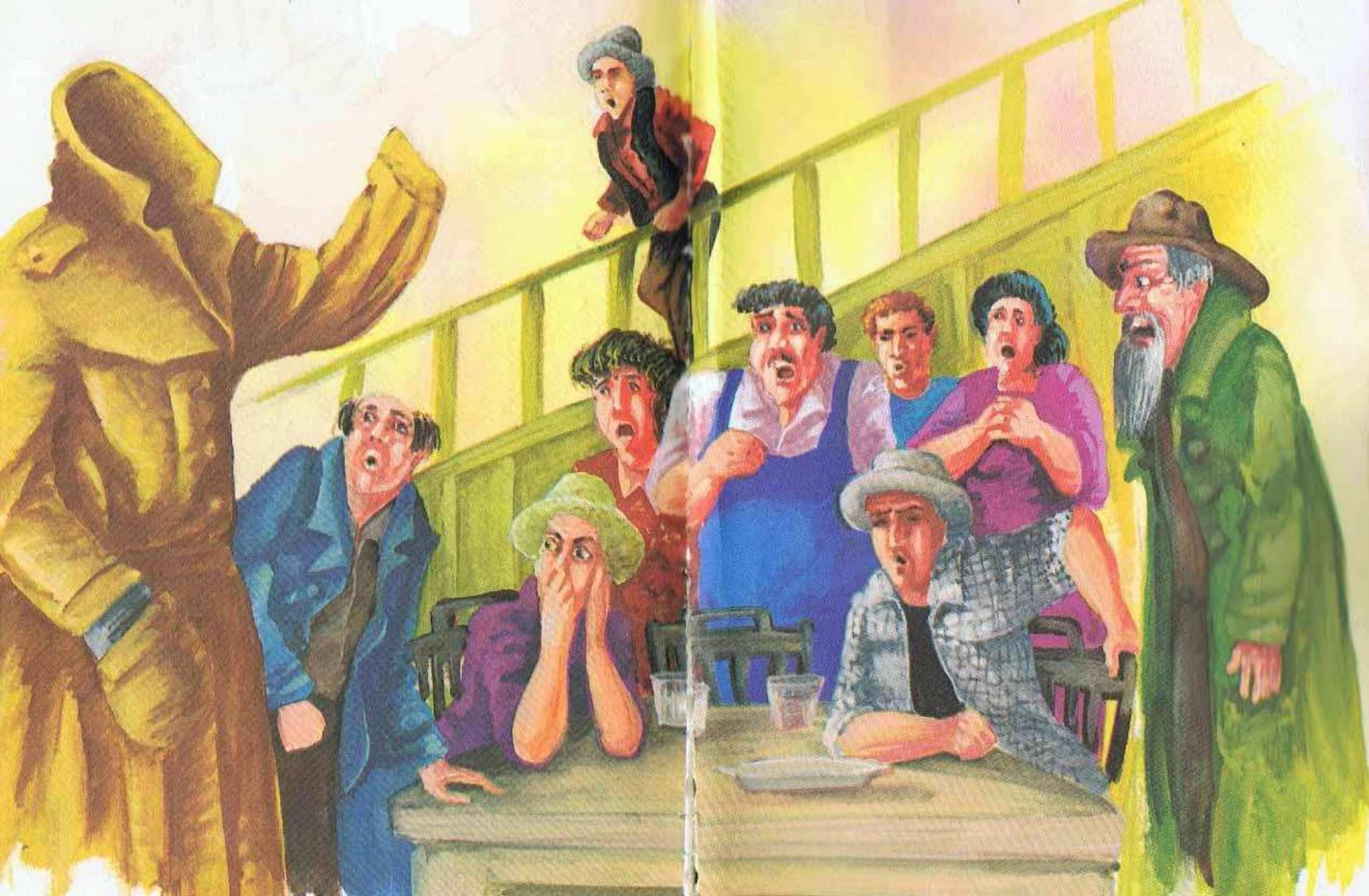


الرجل المخفي



الروايات المشهورة





الرجل الخفي



الروايات المشهورة



تأليف : ه.ج. ويلز

إعداد : صادق راشد

رسوم : حسن عبد الستار

مكتبة لبنان

بيروت

الفصل الأول مقدم الرجل الغريب

في ساعة مبكرة من صباح يوم من أيام شهر فبراير الشديدة
البرودة جاء الرجل الغريب ، وكانت الريح عاصفة ، والثلج يتساقط
بغزارة . وكانت تلك آخر مرة سقط فيها الثلج في ذلك العام .

لقد أتى عبر التل من محطة سكة حديد برامبلهرست ، وفي يده
المكسوة بقفاز سميك حقيبته صغيرة سوداء . وكان متدثرًا من رأسه إلى
قدميه ، وكانت حافته قبعته اللينة الرمادية اللون تغطي وجهه كله
بإستثناء طرف أنفه اللامع ، وقد تراكم الثلج على كتفيه وصدره .

دخل فندق البلدة المسمى " العربّة والجياذ " ، أدنى إلى
الأموات منه إلى الأحياء ، وألقى بحقيبته على الأرض صائحًا : « مدفأة
بحق الرحمة ! غرفة ومدفأة ! »

دق الأرض بقدميه ، ونفض الثلج عن معطفه ، وسار في أعقاب



السَّيِّدَةُ هُولَ ، صَاحِبَةُ الْفُنْدُقِ ، إِلَى قَاعَةِ الْاسْتِقْبَالِ ، وَاتَّفَقَ مَعَهَا عَلَى أَنْ تُؤَجِّرَهُ غُرْفَةً ، وَنَقَدَهَا جُنيْهَيْنِ .

أَشْعَلَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ نَارَ الْمِدْفَاقَةِ ، وَتَرَكَتْهُ وَحْدَهُ ، وَمَضَتْ لِتُعِدَّ لَهُ بِنَفْسِهَا وَجِبَةَ الطَّعَامِ : فَإِنَّ ضَيْفًا يَهْبِطُ بِلَدَةِ أَيْبِنِغَ فِي الشِّتَاءِ يُعَدُّ ضَرْبَةً حَظًّا لَمْ يَسْمَعْ بِهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ ، فَأَعْتَزَمَتْ أَنْ تُبْرِهِنَ لَهُ عَلَى أَنَّهَا أَهْلٌ لِهَذَا الْحَظِّ السَّعِيدِ .

وَضَعَتْ عَلَى النَّارِ شَيْئًا مِنَ اللَّحْمِ ، وَطَلَبَتْ إِلَى مِيلِي ، وَصِيفَةِ الْفُنْدُقِ ، أَنْ تُهَيِّئَ الْغُرْفَةَ لِلْغَرِيبِ . وَذَهَبَتْ بِالْمِفْرَشِ وَالْأَطْبَاقِ وَالْأَكْوَابِ إِلَى الرُّدْهَةِ ، وَشَرَعَتْ تُعِدُّ الْمَائِدَةَ .

وَرَغِمَ أَنَّ النَّارَ كَانَتْ مُتَّقِدَةً فِي الْمِدْفَاقَةِ ، فَقَدْ أَدْهَشَ السَّيِّدَةُ هُولَ أَنْ تَرَى ضَيْفَهَا مَا زَالَ مُرْتَدِّيًا قُبْعَتَهُ وَمِعْطَفَهُ ، وَكَانَ وَاقِفًا عِنْدَ النَّافِذَةِ ، وَظَهَرَهُ إِلَيْهَا ، يُحْمِلُ إِلَى الثَّلُوجِ الْمُسَاقِطَةَ فِي الْفِنَاءِ .

كَانَ عَاقِدًا - وَرَاءَ ظَهْرِهِ - يَدَيْهِ الْمَكْسُوتَيْنِ بِالْقُفَّازِ ، وَبَدَأَ مُسْتَعْرِقًا فِي تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ . وَلاَحَظَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ أَنَّ بَعْضَ الثَّلْجِ الذَّائِبِ ، الَّذِي كَانَ لَا يَزَالُ يُغْطِي كَتِفَيْهِ ، يَتَسَاقُطُ قَطْرَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ . قَالَتْ لَهُ : « هَلْ تَسْمَحُ لِي يَا سَيِّدِي أَنْ أَخْلَعَ عَنْكَ قُبْعَكَ



وَمِعْطَفَكَ ، وَأَجْفَفُهَا فِي الْمَطْبَخِ ؟ »

أَجَابَ دُونَ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهَا : « لَا . »

لَمْ تَكُنْ مُتَأَكِّدَةً مِنْ أَنَّهَا سَمِعَتْهُ ، وَهَمَّتْ بِأَنْ تُعِيدَ عَلَيْهِ سُؤَالَهَا مَرَّةً أُخْرَى ، فَأَدَارَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهَا قَائِلًا بِحَزْمٍ : « أَوْثِرُ أَلَا أَخْلَعُهَا . »

لَاَحَظَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ أَنَّهُ يَلْبَسُ نَظَّارَةَ زُرْقَاءَ كَبِيرَةَ الْحَجْمِ ، وَأَنَّ لَهُ لِحْيَةً كَثَّةً تُغْطِي يَاقَةَ مِعْطَفِهِ ، وَتَكَادُ تُخْفِي وَجْهَهُ .

قَالَتْ : « كَمَا تَشَاءُ يَا سَيِّدِي . بَعْدَ قَلِيلٍ سَيَزِدَادُ الدَّفْعُ فِي الْغُرْفَةِ . »

لَمْ يُجِبْ ، وَإِنَّمَا أَشَاحَ عَنْهَا بِوَجْهِهِ ثَانِيَةً . وَشَعَرَتْ السَّيِّدَةُ هَوْلَ أَنَّ حَدِيثَهَا غَيْرَ مَرْغُوبٍ فِيهِ ، فَعَجَلَتْ بِإِعْدَادِ الْمَائِدَةِ ، وَأَسْرَعَتْ تَغَادِرُ الْغُرْفَةِ .

حِينَ رَجَعَتْ ، كَانَ لَا يَزَالُ وَاقِفًا مَكَانَهُ ، كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ صَخْرٍ ، وَكَانَ رَافِعًا يَاقَةَ مِعْطَفِهِ إِلَى أَعْلَى ، أَمَّا حَافَةُ قُبْعَتِهِ الَّتِي تَقْطُرُ مَاءً فَكَانَتْ مُرْتَحِيَةً إِلَى أَسْفَلٍ ، تَكَادُ تُخْفِي وَجْهَهُ وَأُذُنَيْهِ .

وَضَعَتْ إِنَاءَ اللَّحْمِ وَالْبَيْضِ عَلَى الْمَائِدَةِ ، مُحَدِّثَةً شَيْئًا مِنَ الْجَلْبَةِ ، وَصَاحَتْ بِهِ : « عَدَاؤُكَ جَاهِزٌ يَا سَيِّدِي . »

قَالَ : « أَشْكُرُكَ . » لَكِنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكَ إِلَّا حِينَ أَغْلَقَتِ الْبَابَ . وَعِنْدَئِذٍ اسْتَدَارَ ، وَأَتَجَهَّ مُسْرِعًا إِلَى الْمَائِدَةِ .

فِي الْمَطْبَخِ مَلَأَتِ السَّيِّدَةُ هَوْلَ طَبَقًا بِالزُّبْدِ ، ثُمَّ حَمَلَتْهُ عَائِدَةً إِلَى الرَّذْهَةِ .

نَقَرَتْ عَلَى الْبَابِ ، وَدَخَلَتْ فِي الْحَالِ ، فَإِذَا بِهِ يَتَحَرَّكَ بِسُرْعَةٍ حَتَّى إِنَّهَا لَمْ تَرَ إِلَّا شَيْئًا أَبْيَضَ يَخْتَفِي وَرَاءَ الْمَائِدَةِ . وَبَدَا الرَّجُلُ وَكَأَنَّهُ أَنْحَى لِيَلْتَقِطَ شَيْئًا مِنْ عَلَى الْأَرْضِ . وَوَضَعَتْ طَبَقَ الزُّبْدِ عَلَى الْمِنْضَدَةِ ،

وَلَا حَظَّتْ أَنَّ الْمِعْطَفَ وَالْقُبْعَةَ كَانَا مَوْضُوعَيْنِ عَلَى مَقْعَدِ أَمَامِ الْمِدْفَأَةِ .

قَالَتْ فِي صَوْتٍ رَقِيقٍ لَا يُمَكِّنُ أَنَّ يُقَابَلَ بِالرَّفْضِ : « أَرَى أَنَّ أَخَذَهُمَا آلَانَ لِأَجْفَفَهُمَا . »

قَالَ الضَّيْفُ : « دَعِيَ الْقُبْعَةَ . » ثُمَّ اسْتَدَارَ ، وَرَأَتْهُ وَقَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا . وَقَفَتْ تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ لِحُظَّةٍ ، وَبَلَغَ مِنْ دَهْشَتِهَا أَنَّهَا لَزِمَتْ الصَّمْتَ .

كَانَ مُمَسِّكًا بِمِنْشَفَةٍ بَيْضَاءَ ، حَجَبَ بِهَا الْجُزْءَ الْأَسْفَلَ مِنْ وَجْهِهِ ، فَأَخْفَتْ فَمَهُ وَفَكَّيْهِ إِخْفَاءً تَامًا . يَبْدُو أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ مَبْعَثَ



دَهْشَةُ السَّيِّدَةِ هُولٌ ، فَالَّذِي أَذْهَشَهَا هُوَ أَنَّ أَعْلَى رَأْسِهِ - فَوْقَ النَّظَارَةِ
الزُّرْقَاءِ - كَانَ مُغْطًى بِضِمَادَاتٍ بَيْضَاءَ ، وَكَانَتْ تُغْطِي أُذُنَيْهِ ضِمَادَةٌ
أُخْرَى ، فَلَمْ يَظْهَرْ مِنْ وَجْهِهِ شَيْءٌ فِيمَا عَدَا أَنْفَهُ الْمُدْبَبَ الْأَحْمَرَ .
وَكَانَ أَنْفُهُ لَا يَزَالُ أَحْمَرًا لَامِعًا مِثْلَمَا رَأَتْهُ عِنْدَ قُدُومِهِ . وَكَانَ الرَّجُلُ
الْغَرِيبُ يَرْتَدِي سُرَّةَ بُنَيَّةٍ غَامِقَةً لَهَا ياقَةٌ سَوْدَاءُ مَرْفُوعَةٌ إِلَى أَعْلَى حَوْلِ
عُنُقِهِ ، أَمَّا شَعْرُهُ الْأَسْوَدُ الْكَثِيفُ فَكَانَ يَبْرُزُ مِنْ بَيْنِ الضَّمَادَاتِ وَمِنْ
تَحْتِهَا . وَكَانَ هَذَا الرَّأْسُ الْمُضْمَدُ يُخَالِفُ مَا تَوَقَّعْتَ أَنْ تَرَاهُ حَتَّى إِنَّهَا
وَقَفْتَ لَحِظَةً تُحْدِقُ إِلَيْهِ .

لَمْ يَرْفَعْ الْغَرِيبُ الْمِنْشَفَةَ عَنْ وَجْهِهِ ، بَلْ ظَلَّ مُسْكًا بِهَا يَدٍ
يَكْسُوهَا قَفَازَ رَمَادِيٍّ ، وَأَخَذَ يُحْمِلُ إِلَى السَّيِّدَةِ هُولَ بِنظَارَتِهِ الْقَاتِمَةِ .
وَقَالَ لَهَا : « دَعِيَ الْقُبْعَةُ . »

بَدَأَ شُعُورُهَا بِالْخَوْفِ يَقُلُّ ، وَأَعَادَتْ الْقُبْعَةَ إِلَى مَكَانِهَا فَوْقَ
الْمَقْعَدِ بِجَوَارِ الْمِدْفَاءَةِ ، وَقَالَتْ : « لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ يَا سَيِّدِي
أَنَّ ... » وَتَوَقَّفَتْ عَنِ الْكَلَامِ .

قَالَ فِي اقْتِضَابٍ : « شُكْرًا لَكَ . » وَأَخَذَ يَنْتَقِلُ بِبَصَرِهِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
الْبَابِ .

قَالَتْ : « سَاعَمَلُ عَلَى تُخْفِيفِهَا جَيِّدًا ، يَا سَيِّدِي ، فِي الْحَالِ . »
وَحَمَلَتْ مَلَابِسَهُ إِلَى خَارِجِ الْغُرْفَةِ . وَتَطَلَّعَتْ مَرَّةً أُخْرَى ، وَهِيَ
تَنْفُذُ مِنَ الْبَابِ ، إِلَى وَجْهِهِ الْمَعْصُوبِ بِالضَّمَادَاتِ ، وَإِلَى نَظَارَتِهِ
الْقَاتِمَةِ ، فَوَجَدَتْهُ لَا يَزَالُ مُسْكًا بِالْمِنْشَفَةِ الْبَيْضَاءِ فَوْقَ وَجْهِهِ .
وَأَحْسَتْ بِرَعْشَةٍ تَدِبُ فِي أَوْصَالِهَا وَهِيَ تُغْلِقُ الْبَابَ خَلْفَهَا .
هَمَسَتْ : « يَا إِلَهِي ! » وَأَتَّجَهَتْ إِلَى الْمَطْبَخِ فِي هُدُوءٍ ، وَلَمْ
يَخْطُرْ بِبَالِهَا أَبَدًا أَنْ تَسْأَلَ مِيلِي عَمَّا كَانَتْ تَفْعَلُهُ آنَذَاكَ .

اسْتَوَى الْغَرِيبُ جَالِسًا ، وَأَرْهَفَ السَّمْعَ إِلَى وَقَعِ خُطَايَا ، وَنَظَرَ
صَوْبَ النَّافِذَةِ قَبْلَ أَنْ يُبْعِدَ الْمِنْشَفَةَ الْبَيْضَاءَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَعَادَ يَتَنَاوَلُ
طَعَامَهُ مَرَّةً أُخْرَى . أَكَلَ لُقْمَةً ، وَنَظَرَ ثَانِيَةً إِلَى النَّافِذَةِ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ لُقْمَةً
أُخْرَى ، وَنَهَضَ ، وَأَخَذَ الْمِنْشَفَةَ وَمَشَى عَبْرَ الْغُرْفَةِ ، وَأَسْدَلَ السُّتَارَ ؛
فَاطْلَمَتِ الْغُرْفَةُ ، فَعَادَ إِلَى مَائِدَتِهِ وَطَعَامِهِ وَهُوَ أَسْعَدُ حَالًا .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُولٌ : « لَا بُدَّ أَنَّ الْمَسْكِينَ أُصِيبَ فِي حَادِثٍ ، أَوْ
أُجْرِيَتْ لَهُ عَمَلِيَّةٌ جَرَاحِيَّةٌ ، أَوْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . كَمْ أَرَعَبْتَنِي هَذِهِ
الضَّمَادَاتُ ! » وَوَضَعَتْ فِي الْمِدْفَاءَةِ مَزِيدًا مِنَ الْفَحْمِ ، وَعَلَقَتْ
الْمِعْطَفَ أَمَامَهَا لِكَيْ يَجِفَّ . وَرَاحَتْ تُكْمِلُ كَلَامَهَا : « وَالنَّظَارَةُ ! »

يَاللَّعَجِبَ ! إِنَّهُ لَا يَدْعُو عَلَى الْإِطْلَاقِ آدَمِيًّا ! وَهَذِهِ الْمِنْشَفَةُ الَّتِي يُمَسِّكُهَا
بِاسْتِمْرَارٍ فَوْقَ فَمِهِ وَتَتَحَدَّثُ مِنْ خِلَالِهَا ! لَعَلَّهُ قَدْ أَصِيبَ فِي فَمِهِ
أَيْضًا . »

ثُمَّ اسْتَدَارَتْ ، كَأَنَّمَا تَذْكُرُ شَيْئًا فَجْأَةً ، وَسَأَلَتْ : « أَلَمْ تَفْرَغِي
بَعْدَ يَا مِيلِي مِنْ إِعْدَادِ الْبَطَاطِسِ ؟ »

حِينَ ذَهَبَتِ السَّيِّدَةُ هُوَلُ تَرْفَعُ أَوَانِيَ الْغَدَاءِ ، أَزْدَادَتْ فِكْرَتَهَا
رُسُوخًا عَنْ إصَابَةِ فَمِهِ فِي حَادِثٍ ؛ فَرَغِمَ أَنَّهُ كَانَ يُدَخِّنُ غَلِيُونَهُ طَوَالَ
الْوَقْتِ الَّذِي مَكَثَتْ فِيهِ فِي الْغُرْفَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُسْتَمِرًّا فِي إِخْفَاءِ الْجُزْءِ
السُّفْلِيِّ مِنْ وَجْهِهِ .

كَانَ جَالِسًا فِي رُكْنِ الْغُرْفَةِ ، وَظَهَرُهُ إِلَى بَيْتَارِ النَّافِذَةِ ، وَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ
وَقَدْ خَفَّتْ جِدَّةُ تَبَرُّمِهِ عَنْ ذِي قَبْلُ ، بَعْدَ أَنْ أَكَلَ وَارْتَوَى ، وَشَعَرَ
بِالْدَّفِ وَالرَّاحَةِ . وَكَانَتْ نِيرَانُ الْمِدْفَاقَةِ تَنْعَكِسُ حُمَاءً عَلَى رُجَاجِ
نَظَارَتِهِ .

قَالَ : « لَدَيَّ بَعْضُ الْحَقَائِبِ فِي مَحْطَةِ بَرَامِبِلْهَرِسْتِ ، فَكَيْفَ
يُمْكِنُ أَنْ نُحْضِرَهَا إِلَى هُنَا ؟ »

أَجَابَتِ السَّيِّدَةُ هُوَلُ عَنْ سُؤَالِهِ ، وَوَاصَلَتْ حَدِيثَهَا قَائِلَةً : « إِنَّ

طَرِيقَ الْتَلِّ مُنَحْدِرٌ يَا سَيِّدِي ، وَفِيهِ أَنْقَلَبَتْ إِحْدَى الْعَرَبَاتِ مُنْذُ عَامٍ أَوْ
أَكْثَرٍ ، وَلَقَبِي أَحَدُ السَّادَةِ مَضْرَعُهُ . إِنَّ الْحَوَادِثَ تَقَعُ يَا سَيِّدِي فِي
لَحْظَةٍ خَاطِفَةٍ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

« بَلَى . »

« لَكِنَّ النَّاسَ يَسْتَغْرِقُونَ وَقْتًا طَوِيلًا لِكَيْ يَبْرَأُوا مِنْ إصَابَاتِهِمْ ،
أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ لَقَدْ وَقَعَ ابْنُ أُخْتِي تَوْمَ فَوْقِ الْمَنْجَلِ فِي حَقْلِ التَّبَنِ
فَأُصِيبَ بِجُرْحٍ فِي ذِرَاعِهِ . تَصَوَّرَ يَا سَيِّدِي أَنَّهُ ظَلَّ مُشْدُودًا بِالْأَرْبِطَةِ
ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ! هَذَا شَيْءٌ يَكَادُ لَا يُصَدَّقُ يَا سَيِّدِي . لَقَدْ أَصْبَحْتُ مُنْذُ تِلْكَ
اللَّحْظَةِ أَخَافُ الْمَنَاجِلَ يَا سَيِّدِي . »

قَالَ الزَّائِرُ الْغَرِيبُ : « أَسْتَطِيعُ أَنْ أُدْرِكَ هَذَا . »
« كُنَّا نَخْشَى أَنْ يَتَطَلَّبَ الْأَمْرُ إِجْرَاءَ عَمَلِيَّةٍ جِرَاحِيَّةٍ . لَقَدْ كَانَ فِي أَسْوَأِ
حَالٍ . »

ضَحِكَ الزَّائِرُ الْغَرِيبُ فَجْأَةً ، وَكَانَتْ ضِحْكَتُهُ أَشْبَهَ بِنَبَاحِ كَلْبٍ .
قَالَ : « أَوْ حَقًّا ؟ »

« نَعَمْ يَا سَيِّدِي . كَانَ فِي أَسْوَأِ حَالٍ . وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَادِيًّا بِالنِّسْبَةِ
لِأُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يُمَرِّضُونَهُ ، كَمَا فَعَلْتُ أَنَا ، وَكَانَتْ أُخْتِي مُشْغُولَةً

بصغارها . كانت ثمة ضِمادات أعصبُ بها ذراعهُ ، وضماداتُ أفكها ،
لذا فإني أُنْجَسِرُ يا سيدي على أن أسألك ... »

فجأةً ، قال الزائرُ الغريبُ مقاطعاً إياها : « هل لك أن تأتيني
ببعض الثُّقَابِ ؛ فقد أنطفاً غليوني . »

أَمْسَكَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ عَنِ الْكَلَامِ ؛ فَقَدْ أَحَسَتْ بِالْفَظَاظَةِ فِي
تَصْرِفِهِ بَعْدَ أَنْ أَفْضَتْ إِلَيْهِ بِالْكَثِيرِ ، لَكِنَّا تَذَكَّرَتْ الْجُنَيْهَيْنِ ، فَمَضَتْ
لِتَأْتِي بِالثُّقَابِ .

قَالَ بِاقْتِضَابٍ وَهُوَ يَتَنَاوَلُ مِنْهَا الثُّقَابَ : « أَشْكُرُكَ . » ثُمَّ أَوْلَاهَا
ظَهْرَهُ ، وَعَادَ يَنْظُرُ مِنَ النَّافِذَةِ ، وَكَانَ وَاضِحاً أَنَّهُ لَا يَمِيلُ إِلَى الْحَدِيثِ
عَنِ الضَّمَادَاتِ .

بَقِيَ الزَّائِرُ الْغَرِيبُ فِي غُرْفَتِهِ حَتَّى الرَّابِعَةِ مَسَاءً ، دُونَ أَنْ يُهَيَّئَ
لِلْسَّيِّدَةِ هُولَ سَبَبًا لِمُزَارَاتِهِ . وَخِلَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ هَادِئًا جِدًّا . لَعَلَّهُ
جَلَسَ فِي الْعَتَمَةِ الْمُتَزَايِدَةِ يُدَخِّنُ غَلِيُونَهُ ، أَوْ لَعَلَّهُ اسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ .
وَقَدْ سَمِعَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ يَذَرُ الْغُرْفَةَ جِئَةً وَذَهَابًا خَمْسَ دَقَائِقَ .
وَبَدَا كَأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَبَعْدَئِذٍ سَمِعَ لِلْمَقْعَدِ ذِي الْمَسْنَدَيْنِ
صَرِيرَ وَهُوَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ .

الفصل الثاني السَّيِّدُ هُنْفَرِي يَجْهَلُ فِرْعَا

فِي الرَّابِعَةِ مَسَاءً ، لَمْ تَكُنِ الدُّنْيَا قَدْ أَظْلَمَتْ تَمَامًا ، وَكَانَتْ
السَّيِّدَةُ هُولَ تَتَلَمَّسُ فِي نَفْسِهَا الشُّجَاعَةَ لِتَمْضِيَ إِلَى ضَيْفِهَا لِتَسْأَلَهُ إِنْ
كَانَ يُرِيدُ شَيْئًا . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ جَاءَ إِلَى الْفُنْدُقِ تَيْدِي هُنْفَرِي الَّذِي
يَقُومُ بِإِصْلَاحِ السَّاعَاتِ .

قَالَ تَيْدِي يُخَاطِبُ السَّيِّدَةَ هُولَ : « أُسْعِدْتِ مَسَاءً . إِنْ الْطُرُقَاتِ
مَلِيئَةٌ بِالثَّلْجِ ، وَلَا تَصْلُحُ لَهَا الْأَحْذِيَةُ الرَّقِيقَةُ الْجِلْدِ ! »

وَأَفَقَّتْ السَّيِّدَةُ هُولَ عَلَى قَوْلِهِ ، ثُمَّ فَطِنَتْ إِلَى أَنَّهُ جَاءَ بِحَقِيقَتِهِ مَعَهُ ،
فَقَالَتْ لَهُ : « الْآنَ وَقَدْ جِئْتَ يَا سَيِّدُ تَيْدِي ، فَإِنَّهُ يُسْعِدُنِي أَنْ تَفْحَصَ
السَّاعَةَ الْعَتِيقَةَ . إِنَّهَا تَعْمَلُ وَتَدُقُّ دَقَاتٍ عَالِيَةً وَاضِحَةً ، غَيْرَ أَنَّ عَقْرَبَ
السَّاعَاتِ مُتَوَقِّفٌ عِنْدَ السَّادِسَةِ لَا يَتَحَرِّكُ . » وَمَشَتْ تَتَقَدَّمُهُ غَيْرَ
الرَّذْهَةِ ، وَقَرَعَتْ بَابَ الرَّذْهَةِ .

عِنْدَمَا فَتَحَتِ الْبَابَ ، رَأَتْ الزَّائِرَ الْغَرِيبَ جَالِسًا أَمَامَ الْمِدْفَاقَةِ عَلَى الْمَقْعَدِ ذِي الْمَسْنَدَيْنِ ، وَبَدَأَ غَارِقًا فِي النَّوْمِ ، وَرَأْسُهُ الْمُضْمَدُ مَائِلٌ عَلَى جَنْبِهِ . وَكَانَ الضُّوْءُ الْوَحِيدُ فِي الْغُرْفَةِ ذَلِكَ الْوَهْجَ الْأَحْمَرَ الْمُنْبَعِثَ مِنْ نِيرَانِ الْمِدْفَاقَةِ ، وَتَرَأَى كُلَّ شَيْءٍ فِي الْغُرْفَةِ مَغْمُورًا بِالظُّلَالِ .

وَفِي لَحْظَةٍ خَاطِفَةٍ خِيلَ إِلَيْهَا أَنَّ لِلرَّجُلِ الَّذِي تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ فَمَا وَاسِعًا مَغْمُورًا ، فَمَا يَشْغُلُ مِنْ وَجْهِهِ جُزْءُهُ الْأَسْفَلَ . وَتَرَأَى الْمَشْهُدَ مِنَ الْبَسَاعَةِ بِحَيْثُ لَا يُصَدِّقُ : فَثَمَّةَ رَأْسِ أَبِيضٍ ، وَنَظَارَةَ بَرَّاقَةٍ ، ثُمَّ فَجْوةَ كَبِيرَةٍ . وَتَحَرَّكَ الرَّجُلُ ، وَاعْتَدَلَ فِي جِلْسَتِهِ ، وَرَفَعَ يَدَهُ ، وَدَفَعَتِ السَّيِّدَةُ الْبَابَ تَوْسِيعَ فُتْحَتِهِ ، فَازْدَادَتِ الْغُرْفَةُ نُورًا ، وَاسْتَطَاعَتْ عِنْدَيْدِ أَنْ تَرَاهُ أَكْثَرَ وَضُوحًا : كَانَتْ قِطْعَةُ الْقُمَاشِ تَحْجُبُ وَجْهَهُ ، كَمَا رَأَتْهُ مِنْ قَبْلِ مُمَسِكَهَا بِهَا ، فَتَصَوَّرَتْ أَنَّ ظِلَالَ الْغُرْفَةِ خَدَعَتْ بَصَرَهَا .

سَأَلَتْهُ : « أَيْضَاقُكَ يَا سَيِّدِي أَنْ يَدْخُلَ الرَّجُلُ لِيَفْحَصَ السَّاعَةَ ؟ ! »

« يَفْحَصُ السَّاعَةَ ؟ » تَسَاءَلَ مُحْمِلًا حَوْلَهُ وَهُوَ يُغَالِبُ النَّعَاسَ ،

ثُمَّ تَنَبَّهَ وَقَالَ : « فَلْيَحْضُرْ بِالتَّأَكِيدِ . »

انْصَرَفَتِ السَّيِّدَةُ هَوْلَ لِيُحْضِرَ مُضْبَاحًا ، وَنَهَضَ الْغَرِيبُ وَاقِفًا ، وَغَطَّى . وَظَهَرَ الضُّوْءُ ، وَبَوَّغَتِ السَّيِّدُ تَيْدِي هَنْفَرِي ، وَهُوَ عِنْدَ الْبَابِ ، بِمُشَاهَدَةِ هَذَا الْإِنْسَانِ الْمُضْمَدِ ، وَفَزَعَ لِرُؤْيَيْهِ وَأَجْفَلَ . قَالَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ وَهُوَ يُحْمِلُ إِلَيْهِ : « طَابَ مَسَاؤُكَ يَا سَيِّدِي . »

قَالَ السَّيِّدُ هَنْفَرِي : « أَرْجُو أَلَّا يُزْعِجَكَ وُجُودِي يَا سَيِّدِي . » قَالَ الْغَرِيبُ : « كَلَّا ، بِكُلِّ تَأَكِيدِ . » ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى السَّيِّدَةِ هَوْلَ قَائِلًا : « وَلَكِنِّي فَهِمْتُ أَنَّ هَذِهِ الْغُرْفَةَ لِاسْتِعْمَالِي الْخَاصِّ . » أَجَابَتِ السَّيِّدَةُ هَوْلَ : « لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا سَيِّدِي أَنَّكَ تَفْضِلُ أَنْ تَكُونَ السَّاعَةَ . . . »

قَاطَعَهَا الْغَرِيبُ : « طَبْعًا ! طَبْعًا ! وَلَكِنِّي أَفْضَلُ أَنْ أَكُونَ وَحْدِي فِيهَا بَعْدُ . » ثُمَّ اسْتَدَارَ مُوَلِّيًا ظَهْرَهُ لِلْمِدْفَاقَةِ ، وَعَقَدَ يَدَيْهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَقَالَ : « وَبَعْدَ أَنْ يَتِمَّ إِصْلَاحُ السَّاعَةِ أَحِبُّ أَنْ أَشْرَبَ قَدْحًا مِنْ الشَّايِ ، وَلَيْسَ قَبْلَ ذَلِكَ . »

هَمَّتِ السَّيِّدَةُ هَوْلَ بِمُغَادَرَةِ الْغُرْفَةِ ، دُونَ أَنْ تُحَاوِلَ الْكَلَامَ ، وَلَكِنَّهُ

أَبْتَدَرَهَا مُتَسَائِلًا عَمَّا إِذَا كَانَتْ قَدْ فَعَلَتْ شَيْئًا بِشَأْنِ إِحْضَارِ حَقَائِبِهِ مِنْ
مَحْطَةِ بَرَامِبْلَهْرِسْت ، فَأَجَابَتْهُ بِأَنَّ الْحَمَالَ سَيَأْتِي بِهَا فِي الْيَوْمِ الْتَالِي .

سَأَلَهَا : « أَمْ تَأْكُذُّهُ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُحْضِرَهَا قَبْلَ ذَلِكَ ؟ »

وَلَمْ تَرُدَّ السَّيِّدَةُ هُولَ ، فَاسْتَطَرَدَ : « كَانَ يَنْبَغِي أَنْ أَوْضَحَ مِنْ
الْبِدَايَةِ أَنِّي عَالِمٌ ، وَلَكِنْ إِحْسَاسِي بِالتَّعَبِ وَالْبَرْدِ مَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ . إِنِّي
فِي حَاجَةٍ إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي فِي حَقَائِبِي . »

« طَبْعًا يَا سَيِّدِي . »

وَوَاضَلَ حَدِيثَهُ بِطُءٍ قَائِلًا : « إِنَّ السَّبَبَ فِي قُدُومِي إِلَى أَيْنِغَ هُوَ
رَغْبَتِي فِي أَنْ أَتَفَرَّدَ بِنَفْسِي : فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ يُزْعِجَنِي أَحَدٌ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى
أَنْ حَدِثًا ... »

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ لِنَفْسِهَا : « هَذَا مَا ظَنَنْتُ . »

اسْتَطَرَدَ قَائِلًا : « هَذَا الْحَادِثُ جَعَلَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ أَكُونَ
هَادِثًا . كَمَا أَنَّ عَيْنِي تَضَعُفَانِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَتُؤَلِّمَانِي ، فَلَا بُدَّ لِي
عِنْدَيْهِ مِنْ أَنْ أَحْسِسَ نَفْسِي فِي الظُّلَامِ بِضَعِّ سَاعَاتٍ . وَهَذَا يَحْدُثُ لِي
مِنْ حِينٍ لآخر ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ . وَفِي مِثْلِ

هَذِهِ الْأَوْقَاتِ فَإِنَّ أَبْسَطَ شَيْءٍ يَحْدُثُ يُسَبِّبُ لِي أَلَمًا شَدِيدًا ، كَدْخُولِ
شَخْصٍ غَرِيبٍ إِلَى الْغُرْفَةِ مَثَلًا ، وَهَذَا أَمْرٌ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَفْهُومًا . »

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ : « طَبْعًا يَا سَيِّدِي . وَإِذَا أَذِنْتَ لِي
فَأَعْتَقِدُ ... »

قَاطَعَهَا فِي هُدُوءٍ قَائِلًا : « هَذَا كُلُّ شَيْءٍ . »

بَعْدَ أَنْ أَنْصَرَفَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ ، لَبِثَ وَاقِفًا أَمَامَ الْمِدْفَاقَةِ يَتَطَلَّعُ إِلَى
السَّاعَةِ أَثْنَاءَ إِضْلَاجِهَا . وَكَانَ السَّيِّدُ هَنْفَرِي مَاضِيًا فِي مُزَاوَلَةِ عَمَلِهِ ،
وَالْمِضْبَاحُ عَلَى كَثَبٍ مِنْهُ ، وَالظُّلَالُ الْخَضِرَاءُ تَعَكِّسُ عَلَى يَدَيْهِ وَعَلَى
التُّرُوسِ ضَوْءًا لَامِعًا ، تَارِكَةً بَقِيَّةَ الْغُرْفَةِ غَارِقَةً فِي الظُّلَامِ . وَاسْتَفْرَقَ
هَنْفَرِي وَقْتُهَا أَطْوَلَ مِمَّا يَنْبَغِي فِي رَفْعِ أَدَوَاتِهِ ، وَكَانَ يَحْدُوهُ الْأَمَلُ فِي أَنْ
يَتَبَادَلَ الْحَدِيثَ مَعَ الْغَرِيبِ ، وَلَكِنْ الْغَرِيبُ لَبِثَ مَكَانَهُ صَامِتًا جَامِدًا .
وَكَانَ جُودُهُ بِالْعَا إِلَى دَرَجَةٍ أَثَارَتِ الْخَوْفَ فِي قَلْبِ هَنْفَرِي ، وَشَعَرَ أَنَّهُ
وَحِيدٌ فِي الْغُرْفَةِ . وَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَطَلِّعًا ، وَعِنْدَيْهِ لَمْ يَرَ إِلَّا الظُّلَالَ
الْمُعْتِمَةَ الرَّمَادِيَّةَ ، وَذَلِكَ الرَّأْسُ الْمَعْصُوبُ بِالضَّمَادَاتِ ، وَتِلْكَ
النُّظَارَةُ الْكَبِيرَةُ الدَّاكِنَةُ الَّتِي تُحْمِلُ فِي ثَبَاتٍ .

كَانَ الْأَمْرُ غَرِيبًا بِالنِّسْبَةِ لِهَنْفَرِي ، لِدَرَجَةِ مَرَّتْ مَعَهَا اللَّحْظَاتُ

وَكُلُّ مِنْهَا يُحْمَلُ إِلَى الْآخِرِ . وَعِنْدَيْهِ خَفِضَ هَنْفَرِي بَصَرَهُ ، وَوَدَّ أَنْ
يَقُولَ شَيْئًا : أَتَرَاهُ يَقُولُ إِنَّ الْجَوَّ أَشَدُّ بُرُودَةً مِمَّا هُوَ مَأْلُوفٌ فِي مِثْلِ هَذَا
الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ ؟

شَرَعَ يَقُولُ : « إِنَّ الْجَوَّ ... »

قَاطَعَهُ الْغَرِيبُ الصَّارِمُ بِغَضَبٍ : « هَلَّا أَنْجَزْتَ عَمَلَكَ وَأَنْصَرَفْتَ ؟
إِنَّ الْمَطْلُوبَ مِنْكَ هُوَ أَنْ تُثَبِّتَ عَقْرَبَ السَّاعَاتِ . إِنَّكَ تُضَيِّعُ
الْوَقْتَ . »

« بِكُلِّ تَأْكِيدٍ يَا سَيِّدِي ... دَقِيقَةً وَاحِدَةً لَا أَكْثَرَ ... لَقَدْ
نَسِيتُ ... »

أَنْجَزَ السَّيِّدُ هَنْفَرِي عَمَلَهُ وَغَادَرَ الْعُرْفَةَ غَاضِبًا . وَقَالَ يُخَاطِبُ نَفْسَهُ
وَهُوَ يَقْطَعُ شَارِعَ الْبَلَدَةِ وَالْثُلُوجُ لَا تَزَالُ مُنْهَمِرَةً : « عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ ! لَا بُدَّ
لِلْمَرءِ أَنْ يُصْلِحَ السَّاعَاتِ مِنْ حِينٍ لآخر . أَلَا يُمَكِّنُ لِلْمَرءِ أَنْ يَنْظُرَ
إِلَيْكَ ؟ يَا لَكَ مِنْ دَمِيمٍ ! لَا أَحْسَبُكَ أَنَّ نَفْسَكَ تُطِيقُ النَّظَرَ إِلَى
وَجْهِكَ . لَوْ أَنَّكَ كُنْتَ هَارِبًا مِنَ الشَّرْطَةِ فَلَنْ يُخَفِّيكَ الْمَزِيدُ مِنَ
الْأَلْفَائِفِ وَالضَّمَادَاتِ . »



وَعِنْدَ مُنْعَطَفِ الشَّارِعِ رَأَى السَّيِّدُ هُوْلَ الَّذِي تَزَوَّجَ سَيِّدَةُ الْفُنْدُقِ
مُنْذُ عَهْدٍ قَرِيبٍ .

سَأَلَهُ هُوْلُ : « كَيْفَ حَالُكَ يَا تَيْدِي ؟ »

أَجَابَهُ تَيْدِي : « إِنَّ لَدَيْكُمْ نَزِيلًا غَرِيبَ الشَّانِ . »

وَتَسَاءَلَ هُوْلُ : « مَاذَا تَعْنِي ؟ »

قَالَ تَيْدِي : « إِنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ يَنْزِلُ فِي الْفُنْدُقِ . » ثُمَّ مَضَى يَصِفُ
ضَيْفَ السَّيِّدَةِ هُوْلُ : « إِنَّهُ شَخْصٌ عَجِيبٌ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ إِنِّي مَا
كُنْتُ أَسْمَحُ لِأَحَدٍ أَنْ يُقِيمَ بِنَتِي إِلَّا إِذَا رَأَيْتُ وَجْهَهُ . وَلَكِنَّ النِّسَاءَ
يَتَصَرَّفْنَ بِبِلَاهِمَةٍ مَعَ الْأَغْرَابِ . لَقَدْ اسْتَأْجَرَ إِحْدَى الْغُرَفِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ
حَتَّى اسْمَهُ . »

فَقَالَ هُوْلُ ، وَهُوَ رَجُلٌ يَتَّصِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْغَبَاءِ : « شَيْءٌ غَرِيبٌ ! »

قَالَ تَيْدِي : « نَعَمْ ! كَمَا أَنَّ لَدَيْهِ الْعَدِيدَ مِنَ الْحَقَائِبِ الَّتِي سَتَصِلُهُ
غَدًا ، كَمَا يَقُولُ . » وَوَاصَلَ تَيْدِي سِيرَهُ ، وَقَدْ أَحَسَّ بِالْأَرِيَّاحِ .

وَفِي التَّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ أَوَى الْغَرِيبُ إِلَى مَخْدَعِهِ . وَمَضَى السَّيِّدُ
هُوْلُ إِلَى الرُّدْهَةِ ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ الْأَثَاثَ بِإِمْعَانٍ شَدِيدٍ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الْغَرِيبَ

لَيْسَ السَّيِّدُ فِي الْفُنْدُقِ ، ثُمَّ قَالَ لِزَوْجَتِهِ ، عِنْدَمَا دَخَلَ مَخْدَعَهُ :
« يَجِبُ أَنْ تَفْحَصِي حَقَائِبَ هَذَا النَّزِيلِ بِعَيْنَايَةِ شَدِيدَةٍ عِنْدَمَا تَصِلُ
غَدًا . »

أَجَابَتْ : « اِهْتَمِّ بِشُؤْنِكَ يَا هُوْلُ وَدَعْنِي أَهْتَمُّ بِشُؤْنِي . »

بَيَّنَّ أَنَّهَا اسْتَيْقَظَتْ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ بَعْدَ أَنْ شَاهَدَتْ فِي حُلْمِهَا
رُؤُوسًا بَيْضَاءَ ضَخْمَةً تَسْعَى وَرَاءَهَا ، وَلَهَا أَعْنَاقٌ طَوِيلَةٌ ، وَعُيُونٌ كَبِيرَةٌ
سُودَاءُ . وَلَكِنَّ لَمَّا كَانَتْ السَّيِّدَةُ هُوْلُ أَمْرَأَةً عَاقِلَةً مُتَزَنَةً ، فَقَدْ اسْتَدَارَتْ
عَلَى جَنْبِهَا ، وَاسْتَغْرَقَتْ فِي النَّوْمِ مِنْ جَدِيدٍ .

وَهَبَطَ الدَّرَجَ مُتَجِّهًا نَحْوَ مُؤَخَّرَةِ الْعَرَبَةِ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ الْعَلْبَةَ
الصَّغِيرَةَ .

وَلَمْ يَكْذُ كُلُّ فِيرْنَسَايْدَ يَرَاهُ حَتَّى أَخَذَ يُزْمَجِرُ . وَلَمَّا هَبَطَ الدَّرَجَ
مُسْرِعًا أَنْقَضَ الْكَلْبُ عَلَى يَدِ الْغَرِيبِ مُبَاشَرَةً . وَصَرَخَ هَوْلًا ، وَقَفَزَ إِلَى
الْوَرَاءِ ، إِذْ كَانَ يَخْشَى الْكِلَابَ . وَصَاحَ فِيرْنَسَايْدَ عَلَى كَلْبِهِ : « أَرْقُدْ !
أَرْقُدْ ! » وَالتَّقَطَ سَوَطَهُ بِسُرْعَةٍ .

وَرَأَى أَنْ أَثْيَابَ الْكَلْبِ أَخْطَأَتْ يَدَ الْغَرِيبِ ، وَسَمِعَا رَكْلَةً ، ثُمَّ
شَاهَدَا الْكَلْبَ يَقْفِزُ وَيَعْصُ سَاقَ الْغَرِيبِ ، وَسَمِعَا صَوْتَ تَمَزُّقِ
بَنْطَلُونِهِ . وَعِنْدَئِذٍ هَوَى فِيرْنَسَايْدَ بِالسَّوْطِ عَلَى كَلْبِهِ ، فَعَوَى مِنْ شِدَّةِ
الْأَلَمِ ، وَزَحَفَ تَحْتَ عَجَلَاتِ الْعَرَبَةِ .

وَقَعَ كُلُّ هَذَا خِلَالَ نِصْفِ دَقِيقَةٍ ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنْهُمَا ، بَلْ
أَخَذَا يَصْرُخَانِ ، وَنَظَرَ الْغَرِيبُ إِلَى قُفَازِهِ الْمُمَزَّقِ وَإِلَى سَاقِهِ ، فَاسْتَدَارَ
وَأَرْتَقَى الدَّرَجَ بِسُرْعَةٍ وَدَخَلَ الْفَنْدُقَ . وَسَمِعَاهُ يَغْبُرُ الْمَمَرَّ وَيَصْعَدُ
الدَّرَجَ إِلَى عُرْفَتِهِ .

قَالَ فِيرْنَسَايْدَ وَهُوَ يَهْبِطُ مِنَ الْعَرَبَةِ وَسَوَطَهُ فِي يَدِهِ ، وَكَانَ كَلْبُهُ يَرْقُبُهُ

الفصل الثالث ألف زُجَاجَةٍ وَزُجَاجَةٍ

كَانَتْ هَذِهِ قِصَّةٌ مَحِيَّةٍ الْغَرِيبِ إِلَى قَرْيَةِ أَلِينْغَ فِي النَّاسِعِ مِنْ فَبْرَايِرَ ،
فِي بَدَايَةِ فَصْلِ الدَّفءِ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ وَصَلَتْ أُمَّتَيْتُهُ ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهَا
حَقِيقَتَانِ عَادِيَّتَانِ ، وَصُنْدُوقٌ كَبِيرٌ مَمْلُوءٌ بِالْكَتُبِ الْفَخْمَةِ ، وَكَانَ
الْبَعْضُ مِنْهَا مَكْتُوبًا بِخَطِّ تَضَعُبُ قِرَاءَتُهُ ؛ إِلَى جَانِبِ عَشْرَةِ صِنَادِيقٍ أَوْ
أَكْثَرَ مَمْلُوءَةٍ بِالزُّجَاجَاتِ ، كَمَا تَرَأَى لِهُولٍ وَهُوَ يُزِيحُ الْقَشَّ الَّذِي
يُغَطِّيهَا .

خَرَجَ الْغَرِيبُ مُرْتَدِّيًا قُبَعَتَهُ وَسُتْرَتَهُ وَقَفَازَهُ وَمِعْطَفَهُ لِيَسْتَقْبَلَ عَرَبَةَ
فِيرْنَسَايْدَ وَهُوَ مُتَبَرِّمٌ نَافِذُ الصَّبْرِ ، عَلَى حِينِ كَانَ هَوْلٌ يَتَحَدَّثُ إِلَى
الْحِمَالِ قَبْلَ أَنْ يُشَارِكَ فِي نَقْلِ الْأُمْتَعَةِ إِلَى الدَّاخِلِ . وَلَمْ يَفْطِنِ
الْغَرِيبُ إِلَى كَلْبِ فِيرْنَسَايْدَ وَهُوَ يَتَشَمَّمُ سَاقِي هَوْلٍ .

قَالَ الْغَرِيبُ : « عَجَلْ بِهِذِهِ الصَّنَادِيقِ . لَقَدْ آتَنْظَرْتُهَا طَوِيلًا . »

مِنْ وَرَاءِ الْعَجَلَةِ : « يَا لَكَ مِنْ مُتَوَحِّشٍ ! تَعَالَ هُنَا ! تَعَالَ هُنَا
وَالَا ... »

وَقَفَتْ هُولَ مُحْمِلًا ، ثُمَّ قَالَ : « لَقَدْ عَضُّهُ الْكَلْبُ ، وَيَحْسُنُ بِي
أَنْ أَذْهَبَ لَأَرَاهُ . » وَمَضَى وَرَاءَ الْغَرِيبِ ، وَالتَقَى زَوْجَتَهُ فِي الْمَمَرِّ فَقَالَ
لَهَا : « لَقَدْ عَضُّهُ كَلْبُ الْحِمَالِ . »

وَصَعِدَ عَلَى الْفُورِ إِلَى الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ ، وَدَفَعَ بَابَ غُرْفَةِ الْغَرِيبِ
وَدَخَلَهَا .

كَانَتْ السَّتَارَةُ مُسَدَّلَةً ، وَالْغُرْفَةُ مُظْلِمَةً . وَوَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى مَشْهَدٍ
غَرِيبٍ : مَشْهَدٌ ذِرَاعٍ لَا يَدَّ لَهَا تُشِيرُ إِلَيْهِ ، وَوَجْهٌ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا ثَلَاثُ بُقَعٍ
سُودَاءَ كَبِيرَةٍ فَوْقَ شَيْءٍ أَبْيَضٍ . وَفَجْأَةً أُصِيبَ بِخَبْطَةٍ عَلَى صَدْرِهِ أَلْقَتْ بِهِ
خَارِجَ الْغُرْفَةِ ، ثُمَّ أَنْصَفَقَ الْبَابُ فِي وَجْهِهِ ، وَأَغْلَقَ بِالْمِفْتَاحِ .

حَدَثَ كُلُّ هَذَا بِسُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ لَمْ تُتَبَّحْ لَهُ فُرْصَةٌ يَرَى فِيهَا أَيَّ شَيْءٍ
يُوضَحُ : أَشْبَاحٌ تَحْرُكَتْ ، وَخَبْطَةٌ فِي صَدْرِهِ ، وَدَوِيٌّ شَبِيهُ دَوِيٍّ طَلَقَتْهُ
بُنْدُوقِيَّةٌ . وَوَقَفَ فِي الْمَمَرِّ الْمُظْلِمِ يَتَسَاءَلُ عَمَّا رَأَى .

بَعْدَ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ مَضَى إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي احْتَشَدَ خَارِجَ الْفُنْدُقِ .

كَانَ بَيْنَهُمْ فِيرْنَسَايْدُ يَرْوِي الْقِصَّةَ كُلَّهَا لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ؛ ثُمَّ السَّيِّدَةُ هُولَ
تَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ حَقِّ كَلْبِهِ أَنْ يَعْضُ نَزْلَاءَهَا ؛ وَكَانَ هُنَاكَ أَيْضًا هَكَسْتَرُ
صَاحِبُ الْمَتَجَرِّ الْوَاقِعِ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الطَّرِيقِ يَطْرَحُ الْأَسْئَلَةَ ؛
ثُمَّ سَاندِي وَدَجَرَزُ بِوَجْهِهِ الْمُتَجَهِّمِ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى جَمْعٍ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْأَطْفَالِ ، كُلُّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ .

أَمَّا السَّيِّدُ هُولَ فَكَانَ يُحْمِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْلَى الدَّرَجِ وَيُنْصِتُ إِلَيْهِمْ
وَهُوَ لَا يُصَدِّقُ أَنَّهُ رَأَى فِي الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ أَشْيَاءَ شَدِيدَةَ الْغَرَابَةِ تَحْدُثُ .

أَجَابَ عَنْ سُؤَالِ وَجْهَتِهِ لَهُ زَوْجَتُهُ : « يَقُولُ إِنَّهُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى
الْمُسَاعَدَةِ ، وَيَحْسُنُ بِنَا أَنْ نَدْخُلَ مَتَاعَهُ إِلَى الْفُنْدُقِ . »

قَالَ السَّيِّدُ هَكَسْتَرُ : « يَنْبَغِي أَنْ يُبَادَرَ إِلَى عِلَاجِ سَاقِهِ عَلَى الْفُورِ . »
قَالَتْ سَيِّدَةُ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ الْمُحْتَشِدِ : « لَوْ أَنِّي مَكَانَهُ لَأُطَلَقْتُ
النَّارَ عَلَى هَذَا الْكَلْبِ . هَذَا مَا كُنْتُ أَفْعَلُهُ . »

وَفَجْأَةً عَادَ الْكَلْبُ إِلَى الزُّمَجَرَةِ .

وَعَلَا صَوْتُ غَاضِبٍ عِنْدَ مَدْخَلِ الْفُنْدُقِ يَقُولُ : « أَسْرِعُوا ! » وَإِذَا
بِالْغَرِيبِ يَقِفُ عِنْدَ الْمَدْخَلِ ، وَبِاقَةُ سُتْرَتِهِ مَرْفُوعَةٌ إِلَى أَعْلَى ، وَحَافَةٌ



فَبَعَثَهُ مَرْجِيَهُ إِلَى أَسْفَلٍ ، وَكَانَ قَدْ بَدَّلَ بَنَظْلُونَهُ وَقَفَّازَهُ .

قَالَ : « كُلَّمَا عَجَلْتُمْ بِإِدْخَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، زِدْتُمْ مِنْ سُورِي . »

سَأَلَهُ فِيرْنَسَايْدُ : « هَلْ أَصَابَكَ أَدَى يَا سَيِّدِي ؟ إِنِّي آسِفٌ جِدًّا لِأَنَّ

الْكَلْبَ . . . »

أَجَابَهُ الْغَرِيبُ : « كَلَّا ! عَلَى الْإِطْلَاقِ ! إِنَّ جِلْدِي لَمْ يُجْرَحَ .

أَسْرِعُوا بِإِدْخَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . »

مَا إِنَّ وَضَعَ أَوَّلَ صُنْدُوقٍ فِي الرَّذْهَةِ حَتَّى مَضَى الْغَرِيبُ يَفْتَحُهَا ،

وَيَبْعَثُ الْقَشَّ عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ يُخْرِجُ مِنْهُ الزُّجَاجَاتِ : وَكَانَتْ زُجَاجَاتٍ

صَغِيرَةً سَمِيكَةً ، وَزُجَاجَاتٍ صَغِيرَةً رَفِيقَةً ، وَزُجَاجَاتٍ زُرْقَاءَ ،

وَزُجَاجَاتٍ مُسْتَدِيرَةً ، أَعْنَاقُهَا رَفِيعَةٌ ، وَزُجَاجَاتٍ خَضِرَاءَ كَبِيرَةً ،

وَزُجَاجَاتٍ بَيَاضَاءَ كَبِيرَةً ، وَزُجَاجَاتٍ عَصِيرٍ ، وَزُجَاجَاتٍ وَزُجَاجَاتٍ

وَزُجَاجَاتٍ .

وَأَخَذَ الْغَرِيبُ يَصِفُ الزُّجَاجَاتِ صُفُوفًا عَلَى الْمِنْضَدَةِ تَحْتَ

النَّافِذَةِ ، وَحَوْلَ جِدَارِ الرَّذْهَةِ ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ .

وَجِيءَ بِالصَّنَادِقِ وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ ، وَكَانَتْ كُلُّهَا مَمْلُوءَةً

بِالزُّجَاجَاتِ . وَأَفْرَغَ مِنَ الصَّنَادِقِ سِتَّةَ ، وَكُومَ الْقَشِّ كَوْمًا عَالِيًا فَوْقَ

الْأَرْضِ وَفَوْقَ الْمَائِدَةِ .

وَلَمَّا أَنْتَهَى الْغَرِيبُ مِنْ إِفْرَاقِ الصَّنَادِقِ مَضَى إِلَى النَّافِذَةِ ، وَشَرَعَ

فِي الْعَمَلِ ، دُونَ أَنْ يَحْفَلَ بِالْقَشِّ الْمَكُومِ ، أَوْ بِالْمِدْفَاقَةِ الَّتِي

انْطَفَأَتْ نِيرَانُهَا ، أَوْ بِصُنْدُوقِ الْكُتُبِ الَّذِي كَانَ خَارِجَ الْفُنْدُقِ ، أَوْ

بِالْحَقَائِبِ وَالْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى الَّتِي نُقِلَتْ إِلَى عُرْفَتِهِ بِالطَّابِقِ الْعُلُويِّ ،

وَلَمَّا أَحْضَرَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ هَوْلَ طَعَامِ الْغَدَاءِ وَهُوَ فِي حُجْرَتِهِ ؛ لَمْ

يَسْمَعْ صَوْتَهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَزَاحَتْ مُعْظَمَ الْقَشِّ ، وَوَضَعَتْ الطَّعَامَ عَلَى

الْمَائِدَةِ . وَعِنْدَئِذٍ أَلْتَقَتْ إِلَيْهَا نِصْفُ الْبِفَاتِيَّةِ ؛ ثُمَّ أَدَارَ وَجْهَهُ عَنْهَا ، وَلَكِنَّمَا

رَأَتْ أَنَّهُ خَلَعَ نَظَارَتَهُ ، وَكَانَتْ مَوْضُوعَةً أَمَامَهُ عَلَى الْمَائِدَةِ ؛ وَبَدَأَ لَهَا أَنَّهُ
بَغِيرَ عَيْنَيْنِ . وَلَيْسَ النَّظَارَةُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَالتَفَتَ إِلَيْهَا . وَهَمَّتْ بِإِبْدَاءِ
أَسْتِيائِهَا مِنَ الْقَشِّ الَّذِي عَلَى أَرْضِيَّةِ الْغُرْفَةِ ، وَلَكِنَّهُ سَبَقَهَا إِلَى الْكَلَامِ .
قَالَ غَاضِبًا كَعَادَتِهِ : « أَوْدُ أَلَّا تَدْخُلِي الْحُجْرَةَ دُونَ دَقِّ
أَلْبَابِ . »

قَالَتْ : « لَقَدْ دَقَقْتُ أَلْبَابَ ، وَلَكِنْ ... »

« أَتَنَاءَ اسْتِغْرَاقِي فِي الْعَمَلِ لَا أَقْبَلُ أَنْ ... لَا بُدَّ أَنْ أَطْلُبَ إِلَيْكَ
أَنْ ... »

قَالَتْ : « طَبْعًا يَا سَيِّدِي . لَكَ أَنْ تُغَلِّقَ أَلْبَابَ بِالْمِفْتَاحِ فِي أَيِّ
وَقْتٍ تَشَاءُ . »

قَالَ الْغَرِيبُ : « فِكْرَةٌ طَيِّبَةٌ جِدًّا . »

قَالَتْ : « هَذَا الْقَشُّ يَا سَيِّدِي ، إِذَا أَذِنْتَ لِي أَنْ أَقُولَ ... »
قَاطِعَهَا قَائِلًا : « لَا تَقُولِي شَيْئًا ، وَإِذَا كَانَ الْقَشُّ يُضَايِقُكَ فَأُضِيفِي
ذَلِكَ إِلَى فَاتُورَةِ الْحِسَابِ . »

وَكَانَ مِنَ الْغَرَابَةِ بِمَكَانٍ ، وَهُوَ وَاقِفٌ أَمَامَهَا بِطَبْعِهِ الْحَادِّ مُحِيطٌ بِهِ

الرُّجَاجَاتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِدَرَجَةٍ أَنْ ارْتَاعَتِ السَّيِّدَةُ هَوْلَ بِشِدَّةٍ . وَلَكِنَّهَا
كَانَتْ أَمْرًا حَكِيمَةً فَقَالَتْ : « أُرِيدُ إِذَا أَنْ أَعْرِفَ الْمَبْلَغَ الَّذِي تَعْتَقِدُ
أَنَّهُ ... »

« شِلْنِ ... أَضِيفِي شِلْنًا إِلَى فَاتُورَتِي . أَلَيْسَ الشِّلْنُ مَبْلَغًا كَافِيًا ؟ »

قَالَتْ السَّيِّدَةُ هَوْلَ : « لَا بَأْسَ . » ثُمَّ أَخَذَتْ مِفْرَشَ الْمَائِدَةِ ،
وَشَرَعَتْ تَبْسُطُهُ فَوْقَهَا .

« إِذَا كَانَ هَذَا يُرْضِيكَ ، فَمِنْ الطَّبِيعِيِّ ... »

اِقْتَضَبَ عِبَارَتَهُ ، وَأَوَّلَاهَا ظَهْرَهُ ، وَجَلَسَ .

ظَلَّ الْغَرِيبُ طَوَالَ الْعَصْرِ يَعْمَلُ صَامِتًا وَأَلْبَابُ مَوْضِدٌ بِالْمِفْتَاحِ .
وَسَمِعَ مَرَّةً وَاحِدَةً صَوْتَ أَصْطِدَامِ الرُّجَاجَاتِ مَعًا ، كَأَنَّ الْمِنْضَدَّةَ قَدِ
ارْتَقَطَتْ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ صَوْتُ تَهَشُّمِ رُجَاجٍ يَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ . وَسَمِعَ
بَعْدَ ذَلِكَ وَقَعَ خُطُوَاتٍ تَعْدُو بِسُرْعَةٍ جَيَّةٍ وَذَهَابًا فِي الْغُرْفَةِ ، وَخَشِيتِ
السَّيِّدَةُ هَوْلَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ خَطِيرًا ، فَمَضَتْ إِلَى أَلْبَابِ وَأَنْصَحَتْ ، دُونَ
أَنْ تَحْفِلَ بِأَنْ تَطْرُقَهُ .

وَسَمِعَتْهُ يَصِيحُ : « لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُوَاصِلَ الْعَمَلَ ! لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ

أَوَاصِلَ الْعَمَلِ ! ثَلَاثُمِئَةِ أَلْفٍ ، أَرْبَعُمِئَةِ أَلْفٍ ! قَدْ يَسْتَعْرِقُ هَذَا مِنِّي
الْعُمُرَ كُلَّهُ ! الصَّبْرُ ! يَا لِي مِنْ أَحَقِّ !

وَسَمِعَتِ السَّيِّدَةُ هُوْلَ وَقَعَ أَقْدَامٍ فِي غُرْفَةِ الْاسْتِقْبَالِ ، فَلَمْ
تَسْتَطِعِ الْبَقَاءَ لِتَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمَّا سَمِعَتْ . وَعِنْدَمَا عَادَتْ وَجَدَتِ الْغُرْفَةَ
سَاكِئَةً مَرَّةً أُخْرَى ، بِاسْتِثْنَاءِ صَرِيرِ خَافِئٍ يَصْدُرُّ عَنْ مَقْعَدِهِ ، وَرَنِينَ
زُجَاجَةٍ مِنْ حِينَ لآخر . لَقَدْ انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ ، وَعَادَ الْغَرِيبُ يُزَاوِلُ
عَمَلَهُ .

بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ ، جَاءَتْهُ بِالشَّيْءِ ، وَرَأَتْ زُجَاجًا مُحْطَمًا فِي
أَحَدِ أَرْكَانِ الْغُرْفَةِ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهَا : « أَضِيفِي هَذَا أَيْضًا إِلَى
فَاتُورَةِ الْحِسَابِ . سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَلَّا تُزْعِجَنِي ! وَإِذَا أَتَلَفْتُ شَيْئًا ،
فَأَضِيفِيهِ إِلَى الْحِسَابِ . »

ثُمَّ مَضَى يُوَاصِلُ الْكِتَابَةَ .

كَانَ فِيرْنَسَايْدُ وَصَاحِبُهُ تَيْدِي هَنْفِرِي فِي فُنْدُقٍ صَغِيرٍ خَارِجَ قَرْيَةِ
أَيْبِنَغ . قَالَ لَهُ : « سَأَفْضِي لَكَ بِشَيْءٍ . »

سَأَلَهُ تَيْدِي هَنْفِرِي : « مَا هُوَ ؟ »

أَجَابَ : « الْغَرِيبُ ! هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ ، وَالَّذِي عَضَّهُ
كَلْبِي ... إِنَّهُ أَسْوَدُ الْبَشَرَةِ ، أَوْ لَعَلَّ سَاقِيهِ وَحَدَّهُمَا عَلَى الْأَقْلَى
سَوْدَاوَانِ . لَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ ثُقُوبِ الْبَنْطَلُونِ وَالْقَفَازِ
الْمُزْرَقِينَ . طَبْعًا كَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ نَرَى شَيْئًا أَحْمَرَ اللَّوْنِ ، أَلَيْسَ
كَذَلِكَ ؟ وَلَكِنْ مَا رَأَيْنَاهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا سَوَادًا . نَعَمْ ، إِنَّهُ أَسْوَدُ الْبَشَرَةِ
كَقُبْعَتِي هَذِهِ . »

قَالَ هَنْفِرِي : « يَا إِلَهِي ! إِنَّ الْأَمْرَ لَعَجِيبٌ ! إِنَّ أَنْفَهُ أَحْمَرُ كَأَنَّهُ
طِلَاءٌ أَحْمَرُ اللَّوْنِ . »

قَالَ فِيرْنَسَايْدُ : « هَذَا صَحِيحٌ ، وَأَعْرِفُ ذَلِكَ . وَسَأَقُولُ لَكَ مَا
أَفَكَّرْتُ فِيهِ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ أَسْوَدُ فِي بَعْضِ أَجْزَاءِ جِسْمِهِ ، وَأَبْيَضُ فِي
أَجْزَاءٍ أُخْرَى ، وَلَا يَجْرُؤُ عَلَى إِظْهَارِ ذَلِكَ . إِنَّهُ مُوَلَّدٌ . لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ
أَشْيَاءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . وَهَذَا أَمْرٌ شَائِعٌ فِي تَرْبِيَةِ الْخَيْلِ كَمَا تَعْرِفُ . »

عَنْ أَنْ يَعْرِفُوا لَهُ عَمَلًا . قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُوَ إِنَّهُ اكْتَشَفَ أَشْيَاءَ ، وَإِنْ
حَادِثًا وَقَعَ لَهُ ، فَأَصْبَحَ يَكْرَهُ أَنْ يَرَى النَّاسَ وَجْهَهُ السَّمْلِيَّ ، بِالنَّدُوبِ
الْقَبِيحَةِ .

وَقَالَ الْبَعْضُ : « إِنَّهُ مُجْرِمٌ هَارِبٌ مِنَ الشَّرْطَةِ . » وَقَالَ آخَرُونَ :
« إِنَّ بَعْضَ أَجْزَاءِ جَسَمِهِ أَبْيَضُ وَالْبَعْضُ الْآخِرُ أَسْوَدُ ، وَإِنَّهُ لَوْ اخْتَارَ أَنْ
يَعْرِضَ نَفْسَهُ فِي الْأَسْوَاقِ لَجَنَى مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً . » وَظَنَّ
الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ مَجْنُونٌ لَا يُؤْذِي أَحَدًا . وَبَدَأَ آخِرًا بَعْضُ النِّسَاءِ
يَعْتَقِدْنَ أَنَّهُ شَبَحَ أَوْ سَاحَرَ .

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُحِبُّهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ دَائِمًا غَاضِبًا ، وَلَمْ يُظْهِرْ آيَةً مَوْدَّةٍ
لِأَحَدٍ . فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِشَوَارِعِ الْقَرْيَةِ تَحَنَّنَ النَّاسُ ، وَإِذَا مَضَى فِي سَبِيلِهِ
رَفَعَ الشُّبَّانُ يَاقَاتٍ مُعَاطِفِهِمْ ، وَأَرْخَوْا حَافَاتِ قُبْعَاتِهِمْ ، وَسَارُوا خَلْفَهُ
يَتَنَذَّرُونَ بِهِ . أَمَّا الدُّكْتُورُ كَاسُ فَقَدْ أَبْدَى أَهْتِمَامًا بِالضَّمَادَاتِ
وَالزُّجَاجَاتِ ، وَظَلَّ طَوَالَ شَهْرِي إِبْرَيْلِ وَمَايُو مُتَلَهِّفًا عَلَى مُحَادَثَةِ هَذَا
الْغَرِيبِ . وَأَخِيرًا ، وَفِي أَحَدِ الْأَعْيَادِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ لَا يُطِيقُ صَبْرًا ،
فَمَضَى لِمَزَارَتِهِ . وَدَهِشَ حِينَ وَجَدَ أَنَّ السَّيِّدَ هُوَ حَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ
لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ اسْمَ ضَيْفِهِ .

الفصل الرابع

السَّيِّدُ كَاسُ يَتَحَدَّثُ إِلَى الْغَرِيبِ

نَادِرًا مَا كَانَ الْغَرِيبُ يَخْرُجُ فِي النَّهَارِ ، أَمَّا فِي الْمَسَاءِ فَقَدْ دَابَّ عَلَى
الْخُرُوجِ مُتَدَثِّرًا حَتَّى عَيْنَيْهِ ، سِوَاءَ أَكَانَ الْجَوُّ بَارِدًا أَمْ غَيْرَ بَارِدٍ ،
وَكَانَ دَائِمًا يَخْتَارُ الطَّرِيقَ الْمُنْعَزِلَةَ . وَقَدْ فُوجِئَ عَامِلَانِ ، كَانَا عَائِلَتَيْنِ
إِلَى مَتَرَلَيْهِمَا ، بِنَظَارَتِهِ وَوَجْهِهِ الْمُضْمَدِ تَحْتَ قُبْعَتِهِ السُّودَاءِ الْكَبِيرَةِ ،
عِنْدَمَا خَرَجَ عَلَيْهِمَا مِنَ الظَّلَامِ .

وَذَاتَ مَرَّةٍ كَانَ تَيْدِي هَنْفَرِي خَارِجًا فِي التَّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ مِنْ أَحَدِ
الْمَتَاجِرِ ، فَفَزَعَ لِرُؤْيَيْهِ رَأْسَ الْغَرِيبِ الْأَبْيَضِ الْمُسْتَنْدِيرِ - لِأَنَّهُ كَانَ
يَمْسِي وَقُبْعَتُهُ فِي يَدِهِ - يَلْمَعُ فِي ضَوْءِ أَنْبَعَتْ فَجَاءَتْ مِنْ بَابِ الْمَتَجَرِ
الْمَفْتُوحِ . وَلَمْ يَكُنْ وَاضِحًا مَا إِذَا كَانَ الْغَرِيبُ يَكْرَهُ الْأَوْلَادَ أَكْثَرِمَا
يَكْرَهُونَهُ ، وَلَكِنْ مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ ثَمَّةَ كَرَاهِيَةٍ مُتَبَادِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ .

بِطَبِيعَةِ الْحَالِ كَانَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ فِي أَيْبَعِ ، وَكَانُوا عَاجِزِينَ

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُولُ : « لَقَدْ ذَكَرَ لِي اسْمًا ، وَلَكِنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ
بُوضُوحٍ . » وَلَمْ تَكُنْ صَادِقَةً فِي قَوْلِهَا ، فَقَدْ رَأَتْ أَنَّهُ مِنَ السُّحُفِ أَلَّا
تَعْرِفَ اسْمَ الرَّجُلِ .

وَتَنَاهَى إِلَى سَمْعِ كَاسِ أَلْفَاظُ شَتَمٍ وَسَبَابٍ دَاخِلَ حُجْرَةِ
الْجُلُوسِ ، فَمَضَى إِلَى الْبَابِ وَدَقَّهُ وَدَخَلَ .

قَالَ : « أَرْجُو الْمَعْذِرَةَ لِإِفْتِحَامِي حُجْرَتِكَ . » وَأَغْلَقَ الْبَابَ
خَلْفَهُ فِي وَجْهِ السَّيِّدَةِ هُولُ .

خِلَالَ الدَّقَائِقِ الْعَشْرِ التَّالِيَةِ ظَلَّتِ السَّيِّدَةُ هُولُ تَسْمَعُ أَصْوَاتًا ،
أَعْقَبَتْهَا صَيْحَةٌ دَهْشَةٍ ، ثُمَّ حَرَكَةُ أَقْدَامٍ ، وَصَوْتُ مَقْعَدٍ يُلْقَى جَانِبًا ،
وَضَحْكَةٌ ، وَوَقْعُ خُطَوَاتٍ تَتَجَهُّ بِسُرْعَةٍ نَحْوَ الْبَابِ . وَظَهَرَ كَاسُ شَاجِبِ
الْوَجْهِ ، جَا حِظَّ الْعَيْنَيْنِ . وَتَرَكَ وَرَاءَهُ الْبَابَ مَفْتُوحًا ، وَاجْتَنَزَرَ الرُّدْهَةَ ،
وَهَبَطَ الدَّرَجَ دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى السَّيِّدَةِ هُولُ . وَسَمِعَتْ وَقَعَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ
مُسْرِعُ الْخُطَى عَبْرَ الطَّرِيقِ وَقُبْعَتُهُ فِي يَدِهِ .

كَانَتِ السَّيِّدَةُ هُولُ وَاقِفَةً خَلْفَ مِنْضَدَةٍ تَتَطَلَّعُ إِلَى بَابِ حُجْرَةِ
الْجُلُوسِ الْمَفْتُوحِ ، ثُمَّ سَمِعَتْ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ يَضْحَكُ بِهَدْوٍ ،

وَطَرَقَ سَمْعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَقَعَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ يَعْبُرُ الْغُرْفَةَ . وَلَمْ يَكُنْ فِي
وُسْعِهَا أَنْ تَرَى وَجْهَهُ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ وَاقِفَةً فِيهِ . وَأَغْلَقَ بَابَ
حُجْرَةِ الْجُلُوسِ بِصَوْتٍ عَالٍ ، وَخَيَّمَ السُّكُونُ عَلَى الْمَكَانِ مِنْ
جَدِيدٍ .

مَضَى كَاسٌ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى بَيْتْنِغٍ ، رَجُلٍ الدِّينِ فِي الْقَرْيَةِ . وَدَخَلَ
عَلَيْهِ غُرْفَةً مَكْتَبِهِ الصَّغِيرَةَ ، وَبَدَأَ حَدِيثَهُ قَائِلًا : « هَلْ أَنَا مَجْنُونٌ ؟ هَلْ
أَبْدُو رَجُلًا مَجْنُونًا ؟ »

سَأَلَهُ بَيْتْنِغُ : « مَاذَا حَدَّثَ ؟ »
« هَذَا الرَّجُلُ . . . نَزِيلُ الْفُنْدُقِ . . . »
« مَا شَأْنُهُ ؟ »

إِرْتَمَى الطَّبِيبُ عَلَى أَحَدِ الْمَقَاعِدِ قَائِلًا : « قَدَّمَ لِي شَيْئًا أَشْرَبَهُ . »
وَعِنْدَمَا هَدَأَتْ أَعْصَابُهُ ، بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلَ كُوبًا مِنْ عَصِيرِ الْبُرْتَقَالِ ،
قَالَ : « لَقَدْ دَخَلْتُ حُجْرَتَهُ ، وَكَانَ قَدْ وَضَعَ يَدَيْهِ فِي جَيْبَيْهِ ، وَجَلَسَ
عَلَى كُرْسِيِّهِ . وَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي سَمِعْتُ أَنَّهُ مُهْتَمٌّ بِبَعْضِ الْمَسَائِلِ
الْعِلْمِيَّةِ ، فَرَدُّ بِالْإِيجَابِ . وَحَاوَلْتُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ ، فَاسْتَشَاطَ

غَضَبًا... ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ كَانَتْ لَدَيْهِ وَرَقَةٌ . وَرَقَةٌ مُهِمَّةٌ ، بَلْ فِي غَايَةِ
الْأَهْمِيَّةِ وَالْقِيَمَةِ . وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ قَائِمَةٍ بـ... وَسَأَلْتُهُ : هَلْ تَحْوِي
أَسْمَاءَ أَدْوِيَّةٍ ؟ فَكَانَ جَوَابُهُ : وَلَيْسَ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ ؟ وَعَلَى آيَةِ حَالٍ كَانَتْ
هَذِهِ الْوَرَقَةُ ذَاتَ قِيَمَةٍ عَظِيمَةٍ . وَقَدْ قَرَأَهَا ، وَوَضَعَهَا عَلَى الْجَنْصَةِ ،
وَحَوْلَ وَجْهِهِ عَنْهَا . وَهَبَّتْ رِيحٌ فَأَطَارَتِ الْوَرَقَةُ ، وَأَلْقَتْ بِهَا فِي نِيرَانِ
الْمِدْقَةِ وَاحْتَرَقَتْ ، وَرَأَى دُخَانَهَا يَتَصَاعَدُ فِي الْمِدْحَنَةِ . وَبَيْنَمَا كَانَ
يَحْكِي لِي هَذِهِ الْقِصَّةَ رَفَعَ ذِرَاعَهُ ، وَكَانَ كُمُهُ فَارِعًا ، وَكَانَ يُوَسِّعِي أَنْ
أَرَى خِلَالَ الْكُمِ كُلِّهِ ، وَلَسْتُ أَدْرِي مَا الَّذِي يَجْعَلُ الْكُمَ مَرْفُوعًا
وَمَفْتُوحًا مَا لَمْ يَكُنْ يَدَاخِلُهُ شَيْءٌ ؟

« سَأَلْتُهُ : "كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تُحَرِّكَ كُمًا فَارِعًا عَلَى هَذَا النَّحْوِ ؟"
« فَقَالَ : "كُمًا فَارِعًا ؟"

« قُلْتُ : "نَعَمْ ، كُمًا فَارِعًا ."

« قَالَ : "إِذَا فَهُوَ كُمٌ فَارِعٌ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ إِنَّكَ رَأَيْتَهُ كُمًا
فَارِعًا ."

« نَهَضَ وَاقِفًا ، فَنَهَضْتُ مِثْلَهُ . وَأَقْبَلَ نَحْوِي فِي ثَلَاثِ خُطَوَاتٍ
بَطِيئَةٍ ، وَوَقَفَ بِجَانِبِي تَمَامًا .

« قَالَ : "هَلْ قُلْتَ إِنَّهُ كُمٌ فَارِعٌ" فَأَجَبْتُ : "بِكُلِّ تَأَكِيدٍ . " وَفِي
هُدُوءٍ تَامٍ أَخْرَجَ كُمَهُ مِنْ جَيْبِهِ ثَانِيَةً ، وَرَفَعَ ذِرَاعَهُ أَمَامَ وَجْهِهِ ، كَأَنَّمَا
يُرِيدُ أَنْ يُرِينِي إِنَّا هَا مَرَّةً أُخْرَى ، وَفَعَلَ ذَلِكَ بِطَءٍ شَدِيدٍ لِلْعَايَةِ .
وَتَطَلَّعْتُ إِلَيْهِ مَبْهُورَ الْأَنْفَاسِ ، وَقُلْتُ وَأَنَا أَجْلُو صَوْتِي الْمُحْتَبَسِ :
"نَعَمْ ، إِنَّهُ فَارِعٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ ."

« بَدَأَ السَّخُوفُ يُدَاخِلُنِي ، فَقَدْ نَفَذَ بَصْرِي فِي الْكُمِ تَمَامًا . وَقَامَ
بِمَدِّهِ نَحْوِي مُبَاشِرَةً وَبِطَءٍ شَدِيدٍ - عَلَى هَذَا النَّحْوِ - حَتَّى صَارَ عَلَى بُعْدِ
بَضْعَةِ سَتِيْمَتَرَاتٍ مِنْ وَجْهِهِ . وَلَكِ أَنْ تَتَخَيَّلَ كُمًا فَارِعًا يَقْتَرِبُ مِنْكَ
يَتَلَكَّ الطَّرِيقَةَ ! وَعِنْدَيْدٍ ... »



« جَذَبَ أَنْفِي شَيْءٌ شَعَرْتُ كَأَنَّهُ سَبَابَةٌ وَلَهُمَا . »

أَخَذَ بِنْتِنِغ يَضْحَكُ .

قَالَ كَاس : « لَمْ يَكُنْ فِي أَلَكُم شَيْءٌ ! » وَارْتَفَعَ صَوْتُهُ حَتَّى صَارَ صُرَاخًا وَهُوَ يُنْطِقُ بِكَلِمَةِ أَلَكُم .

وَوَاصِلَ الطَّيِّبِ حَدِيثُهُ : « لَكَ أَنْ تَضْحَكَ كَمَا تَشَاءُ ، وَلَكِنِّي لَا أَكْتُمُكَ الْقَوْلَ إِنِّي كُنْتُ مَدْعُورًا ، فَضَرَبْتُ كُمَهُ بِشِدَّةٍ ، وَأَسْتَدْرْتُ وَغَادَرْتُ الْغُرْفَةَ عَدُوًّا ، وَتَرَكْتُهُ ... »

تَوَقَّفَ كَاسُ عَنِ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ وَاضِحًا أَنَّهُ خَائِفٌ ، وَأَسْتَدَارَ فِي يَأْسٍ وَقُنُوطٍ وَصَبَّ لِنَفْسِهِ كُوبًا آخَرَ مِنْ عَصِيرِ الْبُرْتُقَالِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَوْكُذْ لَكَ أَنَّنِي عِنْدَمَا ضَرَبْتُ كُمَهُ ، شَعَرْتُ كَأَنَّنِي أَضْرِبُ ذِرَاعًا حَقِيقِيَّةً . وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ أَيَّةِ ذِرَاعٍ ! »

فَكَّرَ السَّيِّدُ بِنْتِنِغ فِي الْأَمْرِ ، وَقَالَ : « إِنَّهَا حِكَايَةٌ غَرِيبَةٌ جِدًّا . » وَبَدَتْ عَلَى مَلَامِحِهِ عِلَامَاتُ الْحِكْمَةِ وَالْوَقَارِ وَهُوَ يُكْرِّرُ قَوْلَهُ : « إِنَّهَا حَقًّا حِكَايَةٌ غَرِيبَةٌ جِدًّا . »

الفصل الخامس

السَّرْقَةُ

وَقَعَتْ سَرْقَةٌ فِي بَيْتِ السَّيِّدِ بِنْتِنِغ فِي السَّاعَاتِ الْأُولَى مِنْ صَبَاحِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ التَّالِي لِإِمْهَرَجَانِ الرَّبِيعِ الَّذِي تُقِيمُهُ قَرْيَةُ أَيْبِنِغ . وَيَبْدُو أَنَّ زَوْجَةَ السَّيِّدِ بِنْتِنِغ صَحَتْ فَجَاءَتْ فِي لَحْظَاتِ السُّكُونِ الَّتِي تَسْبِقُ شُرُوقَ الشَّمْسِ ، وَقَدْ تَمَلَّكَهَا إِحْسَاسٌ قَوِيٌّ بِأَنَّ بَابَ حُجْرَةِ النَّوْمِ قَدْ فُتِحَ ثُمَّ أُغْلِقَ . فِي الْبِدَايَةِ لَمْ تَوْقِظْ زَوْجَهَا ، بَلْ جَلَسَتْ فِي الْفِرَاشِ تَرْهِفُ السَّمْعِ . ثُمَّ سَمِعَتْ بَوْضُوحَ وَقَعِ أَقْدَامِ حَافِيَةٍ آتِيَةٍ مِنَ الْحُجْرَةِ الْمُجَاوِرَةِ ، تَسِيرُ فِي الْمَمْشَى مُتَّجِهَةً إِلَى الدَّرَجِ . وَعِنْدَمَا أَيْقَنْتِ الْأَمْرَ ، بَادَرَتْ إِلَى إِيقَاطِ زَوْجِهَا السَّيِّدِ بِنْتِنِغ بِأَقْصَى مَا اسْتَطَاعَتْ مِنْ هُدُوءٍ . وَلَمْ يُشْعِلْ زَوْجُهَا الْمِصْبَاحَ ، وَلَئِنَّمَا تَنَاوَلَ نَظَارَتَهُ وَلَبِسَهَا ، وَارْتَدَى خُفَّيْنِ خَفِيفَيْنِ ، وَخَرَجَ مِنْ حُجْرَةِ النَّوْمِ لِيُنْصِتَ . وَسَمِعَ بَوْضُوحَ شَدِيدِ خُطَوَاتِ شَخْصٍ يَتَحَرَّكُ فِي حُجْرَةِ مَكْتَبِهِ فِي الطَّابَقِ

الْأَرْضِيَّ ، ثُمَّ سَمِعَ بَعْدَ ذَلِكَ عَطَسَةً قَوِيَّةً .

عِنْدَيْهِ عَادَ إِلَى حُجْرَةِ نَوْمِهِ ، وَتَسَلَّحَ بِقَضِيْبٍ ثَقِيلٍ النَّارِ فِي
السِّدْفَةِ ، وَهَبَطَ الدَّرَجَ بِأَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُ مِنْ سُكُونٍ ، فِي حِينِ أَنْ
رَوْجَتَهُ وَقَفَتْ أَعْلَى الدَّرَجِ .

كَانَتْ السَّاعَةُ إِذْ ذَاكَ حَوَالِي الرَّابِعَةِ ، وَقَدْ تَبَدَّدَتْ آخِرُ ظُلُمَاتِ
الَّيْلِ . وَكَانَ يُضِيءُ السَّمَاءُ نُورَ خَافَتٍ ، وَرَأَى بَابَ حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ
مُوَارِبًا . كَانَ كُلُّ شَيْءٍ سَاكِئًا فِيهَا عِداً صَرِيرَ الدَّرَجِ نَحْتِ قَدَمِي السَّيِّدِ
بَتْنِغٍ ، وَالْحَرَكَاتِ الْخَافَتَةِ فِي حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ . وَسَمِعَ صَوْتَ دُرْجٍ
يُفْتَحُ ، ثُمَّ خَشْخَشَةَ أَوْرَاقٍ ، وَبَعْدَهَا سَمِعَ صَوْتًا يَلْعُنُ وَيَسُبُّ ، ثُمَّ
صَوْتَ عَوْدٍ يُقَابُ يُشْعَلُ ، وَعِنْدَيْهِ غَمَرُ الْحُجْرَةِ ضَوْءٌ أَصْفَرٌ .

كَانَ السَّيِّدُ بَتْنِغٌ وَقَتَيْدٌ فِي الرَّدْهَةِ ، وَمِنْ خِلَالِ بَابِ الْغُرْفَةِ الْمُوَارِبِ
اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى الْمَكْتَبَ ، وَدُرْجًا مَفْتُوحًا ، وَشَمْعَةً مُضَاءَةً فَوْقَ
الْمَكْتَبِ . بَيَّنَّ أَنَّهُ لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ أَنْ يَرَى اللَّصَّ . وَظَلَّ وَاقِفًا فِي
الرَّدْهَةِ لَا يَذْهَبُ مَاذَا يَقَعُ . أَمَّا رَوْجَتُهُ فَقَدْ تَسَلَّلَتْ وَرَاءَهُ بِطُؤٍ ، شَاجِبَةً
الْوَجْهَ جَامِدَةً الْقِسْمَاتِ .

وَسَمِعَ السَّيِّدُ بَتْنِغٌ وَرَوْجَتُهُ رَنِينَ نُقُودٍ ، وَأَذْرَكَ أَنَّ اللَّصَّ عَثَرَ عَلَى

نَفَقَاتِ الْمَنْزِلِ ، وَهِيَ جُنَيْهَانِ وَعَشْرَةُ شِلِينَاتٍ ، ذَهَبًا وَفِضَّةً . وَأَنَارَ
هَذَا الصَّوْتُ غَضَبَ السَّيِّدِ بَتْنِغٍ ، فَشَدَّ قَبْضَتَهُ عَلَى قَضِيْبِ ثَقِيلِ النَّارِ ،
وَجَرَى دَاخِلًا إِلَى الْغُرْفَةِ تَتْبَعُهُ رَوْجَتُهُ .



قَالَ لَهَا : « تَعَالِي يَا عَزِيزَتِي ... » وَتَوَقَّفَ عَنِ الْكَلَامِ لِأَنَّ
الْحُجْرَةَ كَانَتْ خَالِيَةً تَمَامًا .

وَمَعَ ذَلِكَ كَانَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهَا سَمِعَا شَخْصًا يَتَحَرَّكُ فِي
الْحُجْرَةِ . وَلَبِثَا وَاقِفَيْنِ يَصِفُ دَقِيقَةً ، أَجْتَازَتْ بَعْدَهَا السَّيِّدَةُ بَتْنِغ
الْحُجْرَةِ ، وَنَظَرَتْ وَرَاءَ السُّتَارِ عَلَى حِينِ نَظَرِ زَوْجِهَا تَحْتَ الْمَكْتَبِ وَفِي
دَاخِلِ الْمِدْفَأَةِ ، وَأَخَذَ يُلَوِّحُ فِي الظُّلَامِ بِقَضِيبِ تَقْلِيلِ النَّارِ . ثُمَّ وَقَفَ
الْاِثْنَانِ سَاكِئَيْنِ وَالِدَّهْشَةَ فِي عُيُونِهَا .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ بَتْنِغ : « إِنِّي وَاثِقَةٌ تَمَامًا بِأَنَّ ... »

قَاطَعَهَا السَّيِّدُ بَتْنِغ قَائِلًا : « وَالشُّمْعَةُ ! مَنْ الَّذِي أَضَاءَ
الشُّمْعَةَ ؟ »

قَالَتِ السَّيِّدَةُ بَتْنِغ : « وَالذُّرْجُ ! لَقَدْ اخْتَفَتِ النَّقُودُ ! »

وَأَسْرَعَتْ إِلَى مَدْخَلِ الْبَيْتِ .

قَالَتْ : « مَنْ الَّذِي ... »

وَسَمِعَا عَطْسَةً قَوِيَّةً فِي الْمَمْشَى ، فَأَنْدَفَعَ الْاِثْنَانِ خَارِجِينَ ،
وَعِنْدَيْدِ أَنْصَفَقَ بَابُ الْمَطْبَخِ ، فَقَالَ السَّيِّدُ بَتْنِغ : « أَحْضِرِي

الشُّمْعَةَ . » ثُمَّ مَشَى أَمَامَهَا .

وَلَمَّا فَتَحَ بَابَ الْمَطْبَخِ رَأَى الْبَابَ الْخَلْفِيَّ يَنْفَتِحُ ، وَضَوْءُ
الشُّرُوقِ يَكْشِفُ الْحَدِيقَةَ أَمَامَ عَيْنَيْهِ . وَكَانَ مَوْقِنًا أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَخْرُجْ
مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَتَحَ الْبَابَ ، وَلَبِثَ مَفْتُوحًا بَرْهَةً ، ثُمَّ
أَنْصَفَقَ بِشِدَّةٍ .

خَرَجَا إِلَى الْحَدِيقَةِ يُفْتَشَانِهَا ، ثُمَّ ارْتَدَا إِلَى الْمَطْبَخِ عَائِدَيْنِ ،
وَكَانَ الْمَكَانُ خَالِيًا . وَأَغْلَقَا الْبَابَ الْخَلْفِيَّ بِالْمِزْلَاجِ ، وَفَتَّشَا
الْمَطْبَخَ وَجَمِيعَ الْغُرَفِ تَفْتِيشًا دَقِيقًا ، فَلَمْ يَجِدَا أَحَدًا ، وَمَعَ ذَلِكَ قَامَا
بِتَفْتِيشِ الطَّابِقَيْنِ الْعُلَوِيِّ وَالْأَرْضِيِّ .

بَزَغَ ضَوْءُ النَّهَارِ وَالرَّجُلُ وَزَوْجَتُهُ يُفْتَشَانِ الْبَيْتَ عَلَى نَوْرِ الشُّمْعَةِ
الذَّابِلِ .

قَالَ السَّيِّدُ بَتْنِغ : « لَقَدْ قُلْتُ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا إِنَّهُ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ
الْأَحْدَاثِ الْمُشِيرَةِ لِلدَّهْشَةِ ... »

قَاطَعَتْهُ السَّيِّدَةُ بَتْنِغ قَائِلَةً : « إِنَّ الْخَادِمَةَ آيَةَ يَا عَزِيزَتِي ، فَانْتَظِرْ
هُنَا حَتَّى تَدْخُلَ الْمَطْبَخَ ، ثُمَّ أَصْعُدْ إِلَى الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ . »

وَبَيْنَمَا كَانَ هُوَ واقِفًا فِي الْحُجْرَةِ سَمِعَ صَوْتَ زَوْجَتِهِ آتِيًا مِنَ
الْمَطْبَخِ فِي الطَّابِقِ السُّفْلِيِّ ، فَاسْتَدَارَ وَأَسْرَعَ بِالنُّزُولِ إِلَيْهَا .

قَالَ : « جِئَنِي ! إِنَّهُ غَيْرُ مُوجُودٍ فِي حُجْرَتِهِ ، وَالْبَابُ الْأَمَامِي غَيْرُ
مَوْصَدٍ بِالْمِزْلَاجِ . »

لَمْ تُذَكِّرِ السَّيِّدَةُ هُوَ فِي الْبِدَايَةِ مَا يَرْمِي إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّمَا حِينَ فَهِمَتْ
أَصْرَتْ عَلَى أَنَّ تَرَى الْحُجْرَةَ خَالِيَةً بِنَفْسِهَا ، وَتَقْدِّمُهَا هُوَ وَهُوَ يَقُولُ :
« إِنَّ لَمْ يَكُنْ فِي الْحُجْرَةِ ، فَإِنَّ مَلَابِسَهُ فِيهَا . وَلَكِنْ مَاذَا عَسَاهُ يَفْعَلُ
بِغَيْرِ مَلَابِسِهِ ؟ »

حِينَ خَرَجَا مِنَ الْمَطْبَخِ خُيِّلَ إِلَيْهِمَا أَنَّهَا سَمِعَا آيَابَ الْأَمَامِيِّ يَفْتَحُ
وَيُغْلِقُ ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا رَأَيَاهُ مَوْصَدًا ، وَلَمْ يَرِ بِمَا شَيْئًا عِنْدَهُ ، لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ
مِنْهُمَا كَلِمَةً وَاحِدَةً لِصَاحِبِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ .

أَسْرَعَتِ السَّيِّدَةُ هُوَ تَقْدِّمُ زَوْجَهَا فِي الْمَمَشَى ، وَصَعِدَتِ الدَّرَجَ
رَكْضًا . وَسَمِعَتْ شَخْصًا يَعْطِسُ عَلَى السُّلَّمِ . وَكَانَ هُوَ صَاعِدًا فِي
أَعْقَابِهَا وَيَبْعُدُ عَنْهَا بَيْتَ دَرَجَاتٍ ، فَظَنَّ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي عَطَسَتْ . أَمَّا هِيَ -
وَهِيَ الَّتِي تَقْدِّمُهُ - فَقَدْ ظَنَّتْ أَنَّ زَوْجَهَا هُوَ الَّذِي عَطَسَ .

الفصل السادس الأثاث الذي مَسَّهُ الْجُنُونُ

حِينَ نَزَلَ هُوَ إِلَى الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ فِي السَّاعَاتِ الْمُبَكَّرَةِ مِنَ
الْأَثْنَيْنِ التَّالِي لِمَهْرَجَانِ الرَّبِيعِ ، لَاحَظَ أَنَّ بَابَ حُجْرَةِ الْغَرِيبِ
مَفْتُوحٌ ، وَأَنَّ الْبَابَ الْأَمَامِيَّ لَمْ يَكُنْ مُغْلَقًا بِالْمِزْلَاجِ . وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ فِي
الْلَّيْلَةِ السَّابِقَةِ كَانَ مُسِكَا بِالشُّمْعَةِ يُبِيرُ لِزَوْجَتِهِ الْمَكَانَ وَهِيَ تَوْصِدُ
الْبَابَ بِالْمِزْلَاجِ . وَلَمَّا رَأَى هَذَا وَقَفَ مَكَانَهُ ، وَرَجَعَ وَصَعِدَ الدَّرَجَ
إِلَى الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ وَدَقَّ بَابَ حُجْرَةِ الْغَرِيبِ فَلَمْ يَسْمَعْ رَدًّا . فَدَقَّ
الْبَابَ مَرَّةً أُخْرَى ، ثُمَّ دَفَعَ الْبَابَ فَانْفَتَحَ ، وَدَخَلَ الْحُجْرَةَ .

كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَوَقَّعَ : رَأَى الْفِرَاشَ خَالِيًا ، وَكَذَلِكَ الْغُرْفَةَ . وَأَغْرَبَ
مِنْ هَذَا أَنَّهُ رَأَى مَلَابِسَ الْغَرِيبِ مُتَنَازِرَةً عَلَى الْمَقْعَدِ وَعَلَى الْفِرَاشِ ،
وَهِيَ الْمَلَابِسُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي يَمْلِكُهَا الضَّيْفُ - بِقَدْرِ عِلْمِهِ - وَرَأَى
كَذَلِكَ الضَّمَادَاتِ . أَمَّا قُبْعَتُهُ الْكَبِيرَةُ فَكَانَتْ مُعَلَّقَةً عَلَى عَمُودِ السَّرِيرِ .

دَفَعَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ بَابِ الْغُرْفَةِ بِقُوَّةٍ فَفَتَحَتْهُ ، وَوَقَفَتْ تَدِيرُ بَصَرَهَا
فِي أَرْجَاءِ الْحُجْرَةِ ، وَقَالَتْ : « مَا أَغْرَبَ هَذَا ! »

سَمِعَتْ سُعَالًا بَدَأَ لَهَا أَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْهَا ، فَاسْتَدَارَتْ ، وَأَذْهَشَهَا أَنَّ
تَرَى هُولَ بَعِيدًا عَنْهَا عِنْدَ رَأْسِ السُّلَمِ ، وَلَكِنَّهُ جَاءَ إِلَيْهَا بَعْدَ قَلِيلٍ .
وَأَنَحْنَتِ السَّيِّدَةُ هُولَ فَوْقَ الْفِرَاشِ ، وَدَسَتْ يَدَهَا تَحْتَ الْوِسَادَةِ ، ثُمَّ
تَحْتَ الْأَعْطِيَةِ ، وَقَالَتْ : « إِنَّ الْمَكَائِينَ بَارِدَانِ ، فَلَا بُدَّ أَنَّهُ قَامَ مُنْذُ
سَاعَةٍ أَوْ أَكْثَرٍ . »

وَبَيْنَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ هَذَا ، حَدَثَ مَا لَمْ تَكُنْ تَتَوَقَّعُهُ أَبَدًا : فَقَدْ جَمَعَتْ
أَعْطِيَةَ الْفِرَاشِ نَفْسَهَا ، وَتَكَوَّمَتْ فَجَاءَةً فِيمَا يُشْبِهُ تَلًّا ، ثُمَّ قَفَزَتْ بِعُنْفٍ
بَعِيدًا عَنِ الْفِرَاشِ ، كَأَنَّمَا أَلْقَتْ بِهَا يَدٌ خَفِيَّةٌ . أَمَّا قُبْعَةُ الْغَرِيبِ فَقَدْ
قَفَزَتْ مِنْ فَوْقِ عَمُودِ السَّرِيرِ ، وَطَارَتْ فِي الْهَوَاءِ ، وَأَصْطَدَمَتْ مُبَاشَرَةً
بِوَجْهِ السَّيِّدَةِ هُولَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ طَارَتْ صَابُونَةٌ مِنْ فَوْقِ الْحَوْضِ ،
وَأَلْقَى الْمَقْعَدُ أَوَّلًا مِعْطَفَ الْغَرِيبِ وَسِرْوَالَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ
مِنَ الْمَقْعَدِ ضِحْكَةً عَالِيَةً شَدِيدَةً الشَّبْهِ بِضِحْكَةِ الْغَرِيبِ ، ثُمَّ انْقَلَبَ
الْمَقْعَدُ بِحَيْثُ أَصْبَحَتْ أَرْجُلُهُ الْأَرْبَعُ مُوجَّهَةً إِلَى السَّيِّدَةِ هُولَ ، كَأَنَّمَا
تَتَّخِذُ مِنْهَا هَدَفًا ، ثُمَّ انْدَفَعَتْ نَجْوَاهَا بِسُرْعَةٍ ، فَصَرَخَتْ وَوَلَّتْ هَارِبَةً .

وَأَسْتَقَرَّتْ قَوَائِمُ الْمَقْعَدِ فَوْقَ ظَهْرِهَا بِلُطْفٍ وَثْبَاتٍ ، وَدَفَعَتْ بِهَا
وَبَزَوَّجَهَا إِلَى خَارِجِ الْحُجْرَةِ ، ثُمَّ أَنْصَفَقَ الْبَابُ وَرَاءَهُمَا بِعُنْفٍ ،
وَأَغْلِقَ بِالْفَتْحِ . وَبَدَأَ أَنَّ الْمَقْعَدَ وَالْفِرَاشَ أَخْذَا يَرْقُصَانِ لِلْحُظَّةِ ،
وَفَجَاءَ سَكَنٌ كُلُّ شَيْءٍ .

كَأَنَّ أَنْ يُغْشَى عَلَى السَّيِّدَةِ هُولَ وَهِيَ فِي الْمَمْشَى بَيْنَ ذِرَاعَيْ



زَوْجِهَا . وَاسْتَطَاعَ السَّيِّدُ هُولَ وَمِيلِي - وَكَانَتْ قَدْ ارْتَدَّتْ ثِيَابُهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ - أَنْ يُنْزِلَهَا إِلَى الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ بِصُعُوبَةٍ بِاللُّغَةِ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُولُ : « إِنَّهَا أَرْوَاحُ ! إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّهَا أَرْوَاحُ ! لَقَدْ قَرَأْتُ عَنْهَا فِي الصُّحُفِ . مَوَائِدُ وَمَقَاعِدُ تَرْقُصُ وَتَتَطَايَرُ ! »

وَوَاصَلَتْ حَدِيثُهَا قَائِلَةً : « أَغْلِقْ دُونَهُ الْبَابَ ، وَلَا تَدْعُهُ يَرْجِعْ مَرَّةً أُخْرَى ... لَقَدْ خَمَنْتُ ذَلِكَ تَقْرِيْبًا ... كَانَ يَنْبَغِي أَنْ أَعْرِفَ هَذَا ... هَذِهِ الْعَيُونُ ، وَهَذَا الرَّأْسُ الْمُضْمَدُ ، وَعَدَمُ قِيَامِهِ بِالصَّلَاةِ ... وَكُلُّ هَذِهِ الزُّجَاجَاتِ ... لَقَدْ أَسْكَنَ الْأَرْوَاحَ الْأَثَاثَ ... يَا إِلَهِي ! أَتَأْتِي الْقَدِيمَ الْغَالِي ! لَقَدْ كَانَتْ أُمِّي الْعَزِيزَةُ مُعْتَادَةً أَنْ تُجْلِسَ عَلَيَّ هَذَا الْمَقْعَدَ عِنْدَمَا كُنْتُ صَغِيرَةً ، وَالْآنَ يَرْتَفِعُ فِي وَجْهِي ! »

وَأَرْسَلَا مِيلِي عَبْرَ الشَّارِعِ لِتَوْقِظَ السَّيِّدَ سَانْدِي وَدَجَرَزَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ صَبَاحًا .

كَانَ السَّيِّدُ وَدَجَرَزَ زُجْلًا ذَكِيًّا خَصِيْفًا .

قَالَ : « إِنَّهُ سِحْرٌ . »

وَحِينَ جَاءَ إِلَى الْفُنْدُقِ كَانَ مُزْعَجًا لِلْغَايَةِ . وَسَأَلَاهُ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى

الْغُرْفَةِ فِي الطَّابِقِ الْأَعْلَى ، وَلَكِنَّهُ بَدَأَ مُتَأَنِّيًا مُتَبَاطِئًا ، وَآثَرَ أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيْهِمَا فِي الْمَمْشَى . وَعِنْدَئِذٍ جَاءَ السَّيِّدُ هَكَسْتَرُ ، وَشَارَكَهُمْ الْحَدِيثَ . وَجَرَى جَوَارٌ طَوِيلٌ ، دُونَ عَمَلِ شَيْءٍ .

قَالَ السَّيِّدُ سَانْدِي وَدَجَرَزَ : « فَلْنَسْتَعْرِضِ الْحَقَائِقَ أَوَّلًا ، وَلْنَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ عَلَى صَوَابٍ إِذَا اقْتَحَمْنَا بَابَ الْغُرْفَةِ . »

وَفَجْأَةً ، وَبِطَرِيقَةٍ تُثِيرُ الدَّهْشَةَ ، فُتِحَ بَابُ الْغُرْفَةِ فِي الطَّابِقِ الْأَعْلَى مِنْ يَلْقَاءِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ رَأَوْا الْغَرِيبَ يَهْطُ الدَّرَجَ مُتَلَفِّعًا كَعَادَتِهِ ، وَهُوَ يُحْمَلِقُ إِلَيْهِمْ مِنْ خِلَالِ نَظَارَتِهِ الْكَبِيرَةِ . وَكَانَ يُنْزِلُ بِطُءٍ وَجُمُودٍ مُحْمَلِقًا طَوَالَ الْوَقْتِ . وَاجْتَارَ الْمَمْشَى وَهُوَ لَا يَزَالُ يُحْمَلِقُ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ .

دَخَلَ الْبَهْوُ ، وَفَجْأَةً أَغْلَقَ الْبَابَ فِي وُجُوهِهِمْ غَاضِبًا . لَمْ يَتَفَوَّهْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِكَلِمَةٍ حَتَّى تَلَاشَى صَدَى أَنْصِفَاقِ الْبَابِ ، وَرَاحَ كُلُّ مِنْهُمْ يَتَفَرَّسُ فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ .

قَالَ السَّيِّدُ وَدَجَرَزَ : « لَمْ أَرِ فِي حَيَاتِي شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ... » بَدَأَ أَشَدَّ انْزِعَاجًا عَنْ ذِي قَبْلِ . وَقَالَ مُوجَّهًا الْحَدِيثَ إِلَى السَّيِّدِ هُولُ :

« لَوْ أَنِّي مَكَانَكَ لَذَهَبْتُ إِلَيْهِ وَحَدَّثْتُهُ فِي الْأَمْرِ . . . يَجِبُ أَنْ تَسْأَلَهُ

إيضاحاً . »

وَتَطْلُبُ الْأَمْرُ بَعْضَ الْوَقْتِ مِنَ السَّيِّدِ هُوَ لِيَقُومَ بِالْمُهِمَّةِ . وَقَرَعَ
الْبَابَ أَخِيرًا وَفَتَحَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ ، وَلَمْ يَزِدْ فِي قَوْلِهِ عَلَى : « مَعْدِرَةٌ ! »
فَقَالَ لَهُ الْغَرِيبُ : « إِذْهَبْ إِلَى الْجَحِيمِ ! وَأَقْبِلْ هَذَا الْبَابَ

وَرَاءَكَ ! »

وَكَانَ هَذَا كُلُّ شَيْءٍ .

الفصل السابع انكشاف أمر الغريب

فِي الْخَامِسَةِ وَالنُّصْفِ صَبَاحًا دَخَلَ الْغَرِيبُ إِلَى رَدْهَةِ فَنَدَّقُ " الْعَرَبِيَّةَ
وَالْحِيَادَ " ، وَلَبِثَ هُنَاكَ حَتَّى مُتَّصِفِ النَّهَارِ ، وَالسَّائِرُ مِنْ حَوْلِهِ
مُسَدَّلَةٌ ، وَالْبَابُ مُغْلَقٌ ، وَلَمْ يَقْتَرِبْ مِنْهُ أَحَدٌ .

لَمْ يَتَنَاوَلَ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ طَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَدَقَّ الْجَرَسَ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَفِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ جَاءَتْ الدَّقَّةُ عَالِيَةً وَطَوِيلَةً ، وَمَعَ ذَلِكَ
لَمْ يَلْبِ نِدَاءُهُ أَحَدٌ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُوَ : « أَلَمْ يَقُلْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى الْجَحِيمِ ؟ ! »
وَفِي الْحَالِ بَلَغَهُمْ نَبَأُ السَّرِقَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي مَنْزِلِ السَّيِّدِ بَتْنِغَ ،
فَجَعَلَهُمْ هَذَا النَّبَأُ يُفَكِّرُونَ . وَمَضَى هُوَ وَوَدَّجَرَزَ لِلْبَحْثِ عَنِ السَّيِّدِ
شَكْلُفُورْتِ لِاسْتِشَارَتِهِ فِي الْأَمْرِ . وَلَمْ يَصْعَدْ أَحَدٌ إِلَى الطَّابَقِ الْأَعْلَى ،
وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ الْغَرِيبُ . وَكَانَ يَذْرَعُ الْأَرْضَ مِنْ حِينٍ

لَاخِرَ جَيْتَةٍ وَذَهَابًا بِخَطَى سَرِيعةٍ ، وَسَمِعُوهُ يَلْعَنُ سَاخِطًا ، وَيُمَزِّقُ
أُورَاقًا ، وَيَهْتَشُّ رُجَاجَاتٍ .

وَزَادَ عَدَدُ الْجَمَاعَةِ الصَّغِيرَةِ ، وَجَاءَتِ السَّيِّدَةُ هَكَسْتَرُ ، وَأَنْضَمَّ
إِلَيْهِمْ بَعْضُ الشُّبَّانِ . وَأَنْهَالُ سَيْلٍ مِنْ أَسْئَلَةٍ لَا جَوَابَ لَهَا . وَحَاوَلَ
الشَّابُّ أَرْكِي هَارْكَرُ أَنْ يَخْتَلِسَ النَّظَرَ مِنْ تَحْتِ السَّتَائِرِ الْمُسْدَلَةِ ،
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرَى شَيْئًا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَنْضَمَّ إِلَيْهِ فِي الْحَالِ
جَمْعٌ آخَرٌ مِنْ شَبَابٍ أَيْبَنَ .

وَفِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ كَانَ الْغَرِيبُ فِي ظِلَامِ الْبَهْوِ يَشْعُرُ بِالْجُوعِ
وَالْخَوْفِ . وَكَانَ مُنْدَسًا فِي ثِيَابِهِ الدَّفَاقَةِ غَيْرِ الْمُرِيحَةِ ، وَرَاحَ يُحْمِلِقُ
إِلَى أُورَاقِهِ مِنْ خِلَالِ نَظَارَتِهِ الْقَائِمَةِ ، أَوْ يَهْزُ رُجَاجَاتِهِ الْقَدِيرَةَ ، أَوْ يَلْعَنُ
الصَّبِيَّةَ الَّذِينَ يَتَصَايَحُونَ خَارِجَ النُّوَافِدِ . وَكَانَ فِي رُكْنِ الْغُرْفَةِ بِجَانِبِ
الْمِدْفَاقَةِ حُطَامُ سِتِّ رُجَاجَاتٍ . وَمَلَأَتْ رَائِحَةُ الْغَارِ النَّفَاقَةَ الْهَوَاءَ .
وَفَجْأَةً ، عَقِبَ الظُّهْرِ ، فَتَحَ الْغَرِيبُ بَابَ الرَّدْهَةِ ، وَرَاحَ يُحْمِلِقُ
إِلَى الْأَشْخَاصِ الثَّلَاثَةِ أَوْ الْأَرْبَعَةِ الْمَوْجُودِينَ . وَنَادَى قَائِلًا :
« يَا سَيِّدَةُ هُول ! » فَأَسْرَعَ أَحَدُهُمْ وَاسْتَدْعَاهَا .

جَاءَتِ السَّيِّدَةُ هُولُ عَلَى الْفَوْرِ لَاهِيَةً قَلِيلًا وَغَاصِبَةً لِلْغَايَةِ . وَكَانَ
رُؤُوسُهَا لَا يَزَالُ غَائِبًا عَنِ الْفُنْدُقِ ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ قَدْ فَكَّرَتْ فِي الْأَمْرِ
طَوِيلًا ، وَجَاءَتْ مَعَهَا بِفَاتُورَةِ الْحِسَابِ الَّتِي لَمْ يُسَدِّدْهَا الْغَرِيبُ .
سَأَلَهَا : « لِمَاذَا لَمْ يُقَدِّمْ لِي طَعَامَ الْإِفْطَارِ ؟ مَا الَّذِي جَعَلَكَ
لَا تُحْضِرِينَ غَدَائِي ، أَوْ تَرُدِّينَ عَلَى الْجَرَسِ ؟ أَمْ تَعْتَقِدِينَ أَنَّي يُمَكِّنُ أَنَّ
أَعِيشَ بِلَا طَعَامٍ ؟ »

أَجَابَتْ السَّيِّدَةُ هُولُ : « لِمَ لَمْ تَدْفَعْ لِي حِسَابِي ؟ هَذَا مَا أُرِيدُ أَنْ
أَعْرِفَهُ . »

« أَلَمْ أَقُلْ لَكَ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِنِّي أَنْتَظِرُ وَصُولَ بَعْضِ
الْمَالِ ... ؟ »

« أَلَمْ أَقُلْ لَكَ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِنِّي لَنْ أَنْتَظِرَ ؟ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَشْكُو
إِذَا تَأَخَّرَ فَطُورُكَ قَلِيلًا ، عَلَى حِينٍ تَأَخَّرْتَ أَنْتَ فِي دَفْعِ الْحِسَابِ
خَمْسَةَ أَيَّامٍ . »

كَانَ جَوَابُ الْغَرِيبِ أَنْ سَبَّ وَلَعَنَ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هُولُ : « إِنِّي لَأَكُونُ مُمْتَنَةً لَكَ يَا سَيِّدِي إِذَا أَحْتَفَظْتَ

لِنَفْسِكَ بِسَبَابِكَ وَلَعْنَاتِكَ . »

مَضَى الْغَرِيبُ يَقُولُ : « اِسْمَعِي يَا سَيِّدَتِي الطَّيِّبَةُ . . . »

يَبْدَأُ أَنَّهَا قَاطَعَتُهُ قَائِلَةً : « لَا تَقُلْ لِي يَا سَيِّدَتِي الطَّيِّبَةُ . »

« لَقَدْ قُلْتُ لَكَ إِنَّ نُقُودِي لَمْ تَصِلْ بَعْدُ . »

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هَوْلًا : « نُقُودُكَ حَقًّا ! »

« إِنَّ مَا فِي جَيْبِي لَا يَتَجَاوَزُ . . . »

« إِنَّكَ أَخْبَرْتَنِي مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَكَ سِوَى جَنْبِي . »

« هَذَا صَحِيحٌ ، وَلَكِنِّي وَجَدْتُ نُقُودًا أُخْرَى . »

قَالَتِ السَّيِّدَةُ هَوْلًا : « إِنِّي لَا أَسْأَلُ أَيْنَ وَجَدْتَهَا ؟ »

دَقَّ الْأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ غَاضِبًا وَقَالَ : « مَاذَا تَقْصِدِينَ ؟ »

« أَقْصِدُ أَنِّي أَسْأَلُ أَيْنَ وَجَدْتَهَا ؟ وَقَبْلَ أَنْ تُسَدِّدَ الْحِسَابَ ،

وَقَبْلَ أَنْ أُعِدَّ لَكَ فَطُورَكَ ، وَقَبْلَ أَنْ أَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ،

يَجِبُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِأَمْرٍ أَوْ أَمْرَيْنِ مَا زِلْتُ لَا أَفْهَمُهُمَا ، وَمَا زَالَ غَيْرِي أَيْضًا

لَا يَفْهَمُهُمَا ، وَالْجَمِيعُ يَتَلَهَّفُونَ عَلَى أَنْ يَفْهَمُوا . أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ كَيْفَ

خَرَجْتَ مِنْ عُرْفَتِكَ ، وَكَيْفَ عُدْتَ إِلَيْهَا مَرَّةً أُخْرَى ؟ إِنَّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ

فِي هَذَا الْفُنْدُقِ يَدْخُلُونَ وَيَخْرُجُونَ مِنَ الْأَبْوَابِ - بَلْكَ هِيَ الْقَاعِدَةُ فِي

هَذَا الْفُنْدُقِ - وَهَذَا مَا لَمْ تَفْعَلْهُ أَنْتَ . . . وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَهُ هُوَ : كَيْفَ

دَخَلْتَ ؟ أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ . . . »

فَجَاءَ رَفَعَ الْغَرِيبُ قَبْضَتَهُ الْمَكْسُوءَةَ بِالْقَفَازِ وَدَقَّ الْأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ

قَائِلًا : « كَفَى ! »

أَطْلَقَهَا بِصَوْتٍ عَالٍ جِدًّا مِمَّا أَسْكَنَهَا عَلَى الْفُورِ .

« إِنَّكَ لَا تَعْرِفِينَ مَنْ أَنَا وَمَاذَا أَعْمَلُ ، وَلَكِنِّي سَأَكْشِفُ لَكَ كُلَّ

شَيْءٍ ، بِحَقِّ السَّمَاءِ سَائِبِينَ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ . »

عِنْدَيْكَ وَضَعَ يَدَهُ فَوْقَ وَجْهِهِ ، ثُمَّ أَبْعَدَهَا ، فَإِذَا وَجْهُهُ مُجَرَّدٌ

تَجْوِيفٌ أَسْوَدَ ، وَقَالَ : « هَيَّا أَنْظُرِي ! » ثُمَّ خَطَا إِلَى الْأَمَامِ نَاجِحِيَّتَهَا ،

وَنَاولَهَا شَيْئًا فَأَخَذَتْهُ دُونَ أَنْ تَعِيَ مَا هُوَ ؛ إِذْ كَانَتْ تُحْمَلِقُ إِلَى وَجْهِهِ ،

وَلَكِنْ عِنْدَمَا فَطِنَتْ إِلَى مَا هِيَ هَذَا الشَّيْءُ أَطْلَقَتْ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً ، وَالْقَتَّةُ

مِنْ يَدِهَا . . . كَانَ هَذَا الشَّيْءُ أَنْفًا - أَنْفَ الْغَرِيبِ ! أَنْفًا قَانِيًا أَحْمَرَ

الَّلَوْنِ ! وَتَدَخَّرَجَ الْأَنْفُ عَلَى الْأَرْضِ بِصَوْتٍ يُشْبِهُ صَوْتَ الْوَرَقِ

الْمَقْوَى الْأَجُوفِ .

تَطَايَرَتِ الضَّمَادَاتُ وَالشَّعْرُ الْمُسْتَعَارُ غَيْرَ الْمَشْيِ إِلَى نَاجِيَةِ
الرَّذَاهَةِ ، وَتَسَاقَطَ الْحَاضِرُونَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ، فَذَلِكَ الَّذِي كَانَ
يَقِفُ أَمَامَهُمْ مُتَّصِيًا - يَزَعِقُ وَيَصْرُخُ - كَانَ رَجُلًا حَتَّى مُكَيِّبِهِ ، وَبَعْدَ
ذَلِكَ لَا شَيْءَ !

تَنَاهَتِ الصَّرَخَاتُ إِلَى أَسْمَاعِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، فَمَضَوْا يَسْتَطْلِعُونَ
الْأَمْرَ غَيْرَ الطَّرِيقِ ، فَرَأَوْا الْقَوْمَ يَتَدَافَعُونَ مُنْطَلِقِينَ مِنَ الْفُنْدُقِ ،
وَشَاهَدُوا السَّيِّدَةَ هُولَ تَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَالسَّيِّدُ تَيْدِي هَنْفَرِي يَقْفِزُ
حَتَّى لَا يَسْقُطَ فَوْقَهَا ، ثُمَّ سَمِعُوا صُرَاخَ مَيْلِي الْمُرْعَبِ وَهِيَ تَخْرُجُ مِنَ
الْمَطْبَخِ رَاكِضَةً عَلَى صَوْتِ الْجَلِيَّةِ الَّتِي سَمِعَتْهَا ، حَتَّى إِذَا رَأَتْ
الْغَرِيبَ إِنْسَانًا بِلَا رَأْسٍ ؛ سَكَتَتْ صَرَخَاتُهَا فَجَاءَ .

وَأَحْتَشَدَ أَمَامَ بَابِ الْفُنْدُقِ كُلُّ مَنْ فِي الْقَرْيَةِ : الْكِبَارُ وَالصَّغَارُ ؛
وَكَانُوا حَوْلَ أَرْبَعِينَ شَخْصًا .

« مَاذَا كَانَ يَفْعَلُ ؟ »

« لَقَدْ هَاجَمَهُمْ بِسِكِّينٍ . »

« لَقَدْ سَمِعْتُ الْفَتَاةَ تَصْرُخُ . »



ثُمَّ رَفَعَ نَظَارَتَهُ عَنْ عَيْنَيْهِ ، فَحَقَّقَتْ قُلُوبُ مَنْ فِي الْبُهْوِ ، وَتَسَارَعَتْ
أَنْفَاسُهُمْ ، ثُمَّ خَلَعَ قُبْعَتَهُ ، وَنَزَعَ لِحْيَتَهُ ، وَكَذَلِكَ الضَّمَادَاتُ الَّتِي
تَحْجُبُ وَجْهَهُ .

كَانَ الْمَشْهَدُ أَمَامَهُمْ أَسْوَأَ شَيْءٍ وَقَعَتْ عَلَيْهِ أَبْصَارُهُمْ . وَجَرَتْ
السَّيِّدَةُ هُولَ صَوْبِ بَابِ الْفُنْدُقِ وَقَدْ فَخَرَتْ فَاهَا مِنَ الرَّعْبِ .

بَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَاضِرِينَ يَتَحَرَّكُ ، وَكَانُوا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ يَرَوْا
نُدُوبًا ، أَوْ جُرُوحًا ، أَوْ شَيْئًا دَسِيمًا مُقَرَّرًا ، وَلَكِنْ كَانَ كُلُّ مَا رَأَوْهُ - لَا
شَيْءَ !

« أُوَكِّدُ لَكُمْ أَنَّهُ بِغَيْرِ رَأْسٍ . »

« هُراء ! كلامٌ فارغ ! »

« لَقَدْ أَزَالَ الضَّمَادَاتِ . »

كانوا جميعًا يتحدَّثون في آنٍ واحدٍ . وَفَجْأَةً ظَهَرَ السَّيِّدُ هُوَلٌ قَادِمًا ،
وَكَانَ وَجْهُهُ شَدِيدَ الْإِحْمَرَارِ ، تَرْتَسِمُ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْعَزَمِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ
السَّيِّدُ بُوْبِي جِيْفِرْزُ شُرْطِي الْقَرْيَةِ ، يَتَّبِعُهُ السَّيِّدُ وَدَجْرُزُ الْوَقُورِ .

إِرْتَقَى السَّيِّدُ هُوَلٌ دَرَجَ الْفُنْدُقِ ، وَمَشَى صَوْبَ بَابِ الرَّدْهَةِ ،
فَوَجَدَهُ مَفْتُوحًا ، قَالَ : « قُمْ بِوَاجِبِكَ أَيُّهَا الشُّرْطِيُّ . »

دَخَلَ جِيْفِرْزُ إِلَى الرَّدْهَةِ ، وَتَبِعَهُ هُوَلٌ ، وَمِنْ وَرَائِهِمَا وَدَجْرُزُ . وَرَأَوْا
أَمَامَهُمُ الشُّبَحَ الَّذِي بِغَيْرِ رَأْسٍ ، وَفِي قَبْضَتِهِ الْمَكْسُوءَةُ بِالْقَفَازِ لُقْمَةً مِنْ
الْخُبْزِ ، وَفِي الْيَدِ الْأُخْرَى قِطْعَةً مِنَ الْجُبْنِ .

قَالَ هُوَلٌ : « هَا هُوَ ذَا ! »

انْبَعَثَ صَوْتُ غَاضِبٍ مِنْ فَوْقِ يَاقَةِ الشُّبَحِ يَقُولُ : « تَبًّا لَكُمْ ! مَا
هَذَا ؟ »

قَالَ الشُّرْطِيُّ جِيْفِرْزُ : « نَعَمْ يَا سَيِّدِي ، يَجِبُ أَنْ أَقْبِضَ عَلَيْكَ

بِرَأْسٍ كُنْتَ أَوْ بِغَيْرِ رَأْسٍ . »

صَاحَ الْغَرِيبُ وَهُوَ يَقْفِزُ إِلَى الْوَرَاءِ : « ائْتِعِدْ عَنِّي ! »

وَحَلَعَ الْغَرِيبُ قَفَازَهُ ، وَلَطَمَ بِهِ وَجْهَ الشُّرْطِيِّ ، وَفِي اللَّحْظَةِ
التَّالِيَةِ أَمْسَكَ جِيْفِرْزُ بِرُسْعِهِ الَّذِي لَا يَدَ لَهُ ، كَمَا قَبِضَ عَلَى عُنُقِهِ
الْخَفِيِّ ، وَتَلَقَّى الشُّرْطِيُّ رَكْلَةً غَنِيْفَةً جَعَلَتْهُ يَتَأَوَّهَ مُتَأَلِّمًا ، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ
مُتَشَبِّهًا بِغَرِيمِهِ ، وَأَصْطَدَمَا بِمَقْعَدٍ فِي طَرِيقِهِمَا فَسَقَطَ وَأَخْذَتْ صَوْتًا
عَالِيًا عِنْدَمَا هَوَى الْإِثْنَانِ عَلَى الْأَرْضِ .

قَالَ جِيْفِرْزُ مِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهِ يُخَاطِبُ الرِّجَالَ الْآخَرَيْنِ : « أَمْسِكُوا
بِقَدَمَيْهِ . »

وَحَاوَلَ هُوَلٌ أَنْ يُلَبِّيَ هَذَا الْأَمْرَ ، بَيِّدَ أَنَّهُ تَلَقَّى رَكْلَةً فِي صَدْرِهِ
كَادَتْ أَنْ تُفْقِدَهُ الْوَعْيَ . وَحِينَ رَأَى السَّيِّدُ وَدَجْرُزُ الْغَرِيبَ الَّذِي بَلَ
رَأْسٍ يَتَدَخَّرُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيجُثُّ عَلَى صَدْرِ جِيْفِرْزُ ، أَرْتَدَّ إِلَى
الْخَلْفِ صَوْبَ بَابِ ؛ فَاصْطَدَمَ بِالسَّيِّدِ هَكَسْتَرُ وَبِرَجُلٍ آخَرَ كَانَ قَادِمًا
لِمُسَاعَدَةِ الشُّرْطِيِّ . وَسَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ أَرْبَعُ رُجَاجَاتٍ وَتَهَشَّمَتْ ،
وَفَاحَتْ فِي الْغُرْفَةِ رَائِحَةُ قُوَّةٍ نَفَازَةٌ .

الأرض ، وبدا كأنه يلجس جذاء .

قال هكستر فجأة : « يا إلهي ! ليس هذا برجلٍ على الإطلاق !
إن الملابس خاوية ! انظروا ! لو أنكم نظرتُم من خلال ياقته لرأيتم
الأرض . إنني أستطيع أن أدخل ذراعي ... »

وبسط يده أمامه ، وبدا أنها اصطدمت بشيءٍ في الهواء ، فما كان منه
إلا أن سحبها وهو يطلق صيحة حادة من الدهشة .

وصاح صوت في نبرة غاضبة : « أرجوك أن تبعد أصابعك عن
عيني . فالواقع أنني كلي موجود هنا ، رأسي ويدي وقدمي ، وكل ما بقي
مني ، ولكن حدث أن أصبحت خفيًا لا أرى . وليس هذا مبررًا لكي
تدس أصابعك في عيني ، أ ليس كذلك ؟ »

كانت السترة وقتها واقفة منتصبة وهي مفكوكة الأزرار .
وجاء إلى الغرفة عدد آخر من الناس حتى أصبحت مزدحمة .
صاح هكستر ساخرًا : « خفي ! أ سمع أحدكم شيء كهذا من
قبل ؟ »

قال الصوت : « لعل الأمر غريب مذهل ، ولكنه ليس جريمة ،



ورغم أن الغريب كان قد طرح جيفرز على الأرض ، إلا أنه قال :
« إنني أستسلم . »

وفي اللحظة التالية هب واقفاً مبهور الأنفاس ، وتراءى المشهد
عجيباً ، وهو يغير رأس أويدين ، أما صوته فبدا كأنه صادر من فراغ .
ونفض جيفرز أيضاً واقفاً .

ومرر الغريب ذراعه على سترته ، وأنفكت أزرارها ، ثم انحى على

فَلِمَاذَا يُهَاجِمُنِي الشَّرْطِيُّ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ؟ »

قَالَ جِيْفَرَزُ : « لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَظُنُّ . إِنِّي فِي الْحَقِيقَةِ لَا أَرَاكَ ، وَلَكِنْ لَدَيَّ أَمْرٌ بِاعْتِقَالِكَ ، لَيْسَ لَأَنَّكَ لَا تَرَى ، وَإِنَّمَا لِأَنَّ بَيْنَنَا سُرْقَ . »
« وَمَاذَا إِذَا ؟ »

« يَبْدُو أَنَّ ... »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ . « هُراء ! كَلَامٌ فَارِغٌ ! »

« هَذَا مَا أَرْجُوهُ يَا سَيِّدِي . وَلَكِنْ لَدَيَّ أَوَامِرِي . »

وَفَجْأَةً جَلَسَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ ، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَهُ كَانَ قَدْ قَذَفَ إِلَى الْأَرْضِ بِجَمِيعِ ثِيَابِهِ عِدا الْقَمِيصِ .
صَاحَ جِيْفَرَزُ فَجْأَةً : « كُفَّ عَنْ هَذَا ! إِمْنَعُوهُ ! إِنَّهُ إِذَا خَلَعَ قَمِيصَهُ ... »

صَاحَ كُلُّ مَنْ فِي الْغُرْفَةِ : « أَمْسِكُوهُ . »

وَأَنْدَفَعُوا جَمِيعًا نَاحِيَةَ الْقَمِيصِ الْأَبْيَضِ ، وَكَانَ هُوَ الشَّيْءُ الْوَحِيدَ الَّذِي أَمَكَّنَ رُؤْيَاهُ مِنَ الرَّجُلِ الْغَرِيبِ .

وَلَطَمَ كُلُّ الْقَمِيصِ وَجْهَهُ هَوْلَ لَطْمَةٍ عَنِيْقَةٍ دَفَعَتْهُ إِلَى الْوَرَاءِ ،

فَأَصْطَدَمَ بِالْعُجُوزِ تَوَسَّعَ مُتَعَهِّدٍ دَفْنِ الْمَوْتِ ، وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ كَانَ الْقَمِيصُ قَدْ رُفِعَ إِلَى أَعْلَى ، مِثْلَمَا يَفْعَلُ الْمَرْءُ عِنْدَمَا يَهْمُ بِخَلْعِ قَمِيصِهِ . وَهَجَمَ جِيْفَرَزُ عَلَى الْقَمِيصِ ، وَتَشَبَّثَ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُفْلِحْ إِلَّا فِي الْمُسَاعَدَةِ عَلَى إِمْتَامِ خَلْعِهِ . وَتَلَقَّى جِيْفَرَزُ فِي فَكِّهِ لَكْمَةً جَاءَتْهُ مِنَ الْهَوَاءِ ، فَسَحَبَ هِرَاوَتَهُ وَضَرَبَ بِهَا ، فَأَصَابَ أَمَّ رَأْسِ هَنْفَرِي . وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ يَصِيحُ : « ائْتِبْهُ ! » وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ يَضْرِبُ لَا شَيْءَ . وَتَعَالَتْ أَصْوَاتُ الْجَمِيعِ : « أَمْسِكُوهُ ! أَقْفِلُوا أَلْبَابَ ! إِيَّاكُمْ أَنْ يَهْرُبَ ! لَقَدْ أَمْسَكْتُ شَيْئًا ! هَا هُوَ ذَا ! » وَكَانُوا يَضْرِبُونَ فِي وَقْتِ وَاحِدٍ ، وَأَخَذَ كُلُّ مِنْهُمْ يَقَعُ فَوْقَ الْآخِرِ . وَفَتَحَ سَانْدِي وَدَجَرَزَ أَلْبَابَ فَسَقَطُوا كُلُّهُمْ خَارِجَهُ . وَاسْتَمَرَّتِ الضَّرَبَاتُ ، وَكَبُرَتْ سِنُّ أَحَدِهِمْ ، وَتَوَرَّمَتْ أُذُنُ آخَرَ . وَأَصَابَتْ فَكَّ جِيْفَرَزَ لَكْمَةً شَدِيدَةً ، فَمَدَّ يَدَهُ لِيَتَحَسَّسَ الْهَوَاءَ ، وَلَمَسَتْ يَدُهُ شَيْئًا جَامِدًا يَقِفُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَكَسَرِ ، وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَانَ الْمُتَصَارِعُونَ الْمُتَهَاجِرُونَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الرُّدْهَةِ .

وَأَنْتَقَلَتِ الْمَعْرَكَةُ سَرِيعًا إِلَى بَابِ الْفُنْدُقِ . وَتَعَالَتْ صَيِّحَاتُ مُتَهَاجَةٍ : « أَمْسِكُوهُ ! رَجُلٌ خَفِيٌّ ! » وَأَنْدَفَعَ شَابٌّ غَرِيبٌ عَنِ الْمِنْطَقَةِ ، وَهَجَمَ كَغَيْرِهِ مُشَارِكًا فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَلَمَسَتْ يَدُهُ شَيْئًا

وَأَمْسَكَ بِهِ ، ثُمَّ أَفَلَتَتْ أَصَابِعُهُ مَا تَشَبَّثَ بِهِ ، ثُمَّ إِذَا بِهِ طَرِيحٌ فَوْقَ
جِسْمِ رَجُلٍ آخَرَ ، وَعَلَى بُعْدٍ مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ عَبْرَ الشَّارِعِ صَرَخَتْ
أَمْرَأَةٌ ؛ إِذْ أَحْتَكُ شَيْءًا بِهَا وَلَكِنْ دُونَ أَنْ تَرَاهُ . وَجَرَى أَحَدُ الْكِلَابِ وَهُوَ
يَعْوِي بِشِدَّةٍ وَدَخَلَ إِلَى فِنَاءٍ هَكَسْتَر . وَهَكَذَا ذَهَبَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ .

وَمَرَّتْ بُرْهَةٌ وَالْقَوْمُ لَا يَعْرِفُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ ، ثُمَّ رَاحُوا يَجْرُونَ
مُسْتَسِينَ مِثْلَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ عِنْدَمَا تُشْتَتَّى الرِّيحُ ، عَلَى حِينِ ظُلِّ جِيفِرْز
طَرِيحًا بِلا حَرَكَ عَلَى دَرَجِ السُّلَمِ .

الفصل الثامن

في الطريق

خَلَعَ السَّيِّدُ توماس مارفل - وَهُوَ أَفَاقٌ - جِذَاءَهُ وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ
الطَّرِيقِ يُبْرِدُ قَدَمَيْهِ ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِهَا بِحَسْرَةٍ .

وَكَانَ جِذَاؤُهُ خَيْرَ مَا لَيْسَ مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَكْرَهُهُ
لِقُبْحِ شَكْلِهِ وَعَدَمِ مُلَاقَمَةِ حَجْمِهِ لِقَدَمَيْهِ . وَقَالَ لِنَفْسِهِ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ
أَقْبَحُ جِذَاءٍ فِي الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا . »

وَسَمِعَ صَوْتًا يَقُولُ : « إِنَّهُ جِذَاءٌ عَلَى أَيْةٍ حَالٍ . »

قَالَ مارفل مُوَافِقًا : « نَعَمْ ، وَقَدْ جَادَ عَلَيَّ بِهِ الْبَعْضُ ، غَيْرَ أَنَّ
حَجْمَهُ أَكْبَرُ مِمَّا يَنْبَغِي ، وَقَدْ سَمِئْتُهُ . وَهَذَا مَا جَعَلَنِي أُسْتَجْدِي
النَّاسَ أَحْذِيَّةً أَحْذِيَّةً أَحْذِيَّةً . . فِي كُلِّ مَكَانٍ أُرْتَادُهُ . وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْ
جِذَاءً عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَسْتَعِينِي عَنْهُ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « هَذَا غَرِيبٌ ! »

« مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ وَأَنَا أَسْتَجِدِّي الْأَحَدِيَّةَ فِي هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ ، وَقَدْ
حَصَلْتُ عَلَى جَمِيعِ أَحَدِيَّتِي مِنْ هُنَا . وَالْآنَ أَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْجِذَاءِ ،
إِنَّهُ أَحْسَنُ مَا قَدَّمُوهُ لِي . »

وَأَدَارَ رَأْسَهُ لِيَرَى جِذَاءَ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ
يَجِدْ شَيْئًا . لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ جِذَاءٍ ، وَلَا سَاقَانِ ، وَلَا شَيْءٍ .

تَسَاءَلَ : « أَيْنَ أَنْتَ ؟ » وَلَمْ يَكُنْ يَرَى سِوَى الطَّرِيقِ ،
وَالْخَلَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَثَرٍ لِإِنْسَانٍ سِوَى نَفْسِهِ .

قَالَ : « أَتُرَانِي جُنْتُ ؟ لَا رَبِّبَ أَنِّي أَتَحَيَّلُ شَيْئًا . »

أَجَابَهُ الصَّوْتُ : « كَلَّا ، إِنَّكَ لَسْتَ مَجْنُونًا ، وَلَا تَتَحَيَّلُ
شَيْئًا . . . لَا تَخَفْ . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارْفُلُ : « أَخَافُ . . . أَخَافُ . . . تَعَالِ هُنَا . . . أَيْنَ
أَنْتَ ؟ »

قَالَ الصَّوْتُ : « لَا تَخَفْ . »

« بَلْ سَتَخَافُ أَنْتَ حَالًا . دَعْنِي أُمْسِكَ . أَمْحَتِي أَنْتَ فِي حُفْرَةٍ

تَحْتَ الْأَرْضِ ؟ »

وَلَمْ يَسْمَعْ جَوَابًا .

وَشَرَعَ السَّيِّدُ مَارْفُلُ يَرْتَدِّي مِعْطَفَهُ .

قَالَ : « أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْسِمَ بِأَنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا . »

« إِنَّكَ فِعْلًا سَمِعْتَ صَوْتًا . »

قَالَ مَارْفُلُ وَهُوَ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ ، وَيَمْسَحُ جَبْهَتَهُ بِيَدِهِ : « هَا هُوَ ذَا

مَرَّةً أُخْرَى . لَا شَكَّ أَنَّي جُنْتُ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « لَا تُكُنْ أَحْمَقَ . »

« إِنِّي . . . »

قَالَ الصَّوْتُ : « دَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ . . . إِنَّكَ تَعْتَقِدُ أَنِّي مُجَرَّدُ

خَيَالٍ . . . خَيَالٍ فَحَسْبُ . أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

قَالَ السَّيِّدُ مَارْفُلُ وَهُوَ يَحْكُ قَفَاهُ : « وَأَيُّ شَيْءٍ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ غَيْرَ

ذَلِكَ ؟ »

قَالَ الصَّوْتُ : « حَسَنٌ جِدًّا ، سَأُؤْمِكَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تُغَيِّرَ

« وَلَكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ »

« وَلَمْ يُجِرِ الصَّوْتُ جَوَابًا . »

وَمَرَقَ حَجَرٌ وَهُوَ يَصْفِرُ فِي الْهَوَاءِ ، وَكَادَ يُصِيبُ كَيْفَ السَّيِّدِ
 مَارِئِلَ . وَالتَّفَتَ وَرَاءَهُ فَرَأَى حَجَرًا يَقْفِزُ إِلَى أَعْلَى فِي الْهَوَاءِ ، وَتَتَوَقَّفُ
 بُرْهَةٌ مُعَلَّقًا ، ثُمَّ يَقَعُ عِنْدَ قَدَمَيْهِ . وَ أَصَابَ حَجَرٌ آخَرَ أَصَابِعَ قَدَمَيْهِ
 الْعَارِيَةِ ، فَاطْلَقَ مَارِئِلَ صَرْخَةً عَالِيَةً ، ثُمَّ أَخَذَ يَجْرِي ، وَسَقَطَ فَوْقَ
 شَيْءٍ لَمْ يَرَهُ ، ثُمَّ جَلَسَ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ لِيَسْتَرِيحَ .

« قَالَ الصَّوْتُ : « وَالْآنَ ، أَلَا تَرَاهُ تَرَانِي خِيَالًا ؟ »

وَتَحَامَلَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَنْهَضَ وَاقِفًا ، بَيِّدَ أَنَّهُ
 أَلْقِيَ عَلَى الْأَرْضِ فِي الْحَالِ ، وَتَدَخَّرَجَ عَلَى الْأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى .
 وَلَبِثَ مَكَانَهُ سَاكِئًا بُرْهَةً قَصِيرَةً .

« قَالَ الصَّوْتُ : « إِذَا قَاوَمْتَ بَعْدَ الْآنَ ، قَذَفْتُ رَأْسَكَ بِهَذَا
 الْحَجَرِ . »

« قَالَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ وَهُوَ يَجْلِسُ مُمَسِّكًا بِأَصْبُعِهِ الْمَجْرُوحِ : « لَقَدْ

قَضَيْتُ عَلَى ... إِنِّي لَا أَفْهَمُ شَيْئًا ... حِجَارَةٌ تَقْدِفُ بِنَفْسِهَا ...
 حِجَارَةٌ تَتَكَلَّمُ ... لَقَدْ قَضَيْتُ عَلَى . »

« قَالَ الصَّوْتُ : « الْأَمْرُ وَاضِحٌ جِدًّا . إِنِّي رَجُلٌ خَفِيٌّ . »

« قَالَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ وَهُوَ يَتَأَوَّهُ أَلَمًا : « قُلْ لِي شَيْئًا لَا أَعْرِفُهُ . أَيْنَ
 تَحْتَبِي ؟ كَيْفَ يَتَسَنَّى لَكَ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا ؟ الْحَقُّ أَنِّي لَا أَعْرِفُ . لَقَدْ
 هَزِمْتُ . »

« قَالَ الصَّوْتُ : « إِنِّي خَفِيٌّ لَا أَرَى . هَذَا هُوَ مَا أُرِيدُكَ أَنْ تَفْهَمَهُ . »

« بِمَقْدُورِ أَيِّ أَمْرٍ أَنْ يَرَى هَذَا ، فَلَا دَاعِيَ لَأَنْ يَتَوَرَّ غَضَبُكَ .

« وَالْآنَ أَنْبِئْنِي بِمَا أَجْهَلُ . أَيْنَ تَحْتَبِي ؟ »

« قُلْتُ لَكَ إِنِّي رَجُلٌ خَفِيٌّ ، وَتِلْكَ هِيَ الْمَسْأَلَةُ ، وَالَّذِي أُرِيدُ

« مِنْكَ أَنْ تَفْهَمَهُ هُوَ أَنْ ... »

« وَقَاطَعَهُ مَارِئِلَ قَائِلًا : « وَلَكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ »

« إِنِّي هُنَا عَلَى بَعْدِ خَمْسَةِ أُمْتَارٍ تَقْرِيْبًا مِنْكَ . »

« مُسْتَحِيلٌ ! إِنِّي لَسْتُ أَغْمَى . وَقَدْ تَقُولُ لِي بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّكَ لَسْتُ

« سِوَى هَوَاءٍ رَقِيقٍ . »

« نَعَمْ أَنَا .. هَوَاءٌ رَقِيقٌ . وَ أَنْتَ تَنْظُرُ مِنْ جِلَالِي . »

« مَاذَا تَقُولُ ؟ ! أَلَيْسَ لَكَ جِسْمٌ مَلْمُوسٌ ؟ »

« إِنِّي مُجَرَّدُ إِنْسَانٍ : جِسْمٌ صُلْبٌ ، يَحْتَاجُ طَعَامًا وَشَرَابًا ،

وَيَحْتَاجُ الْمَلَابِيسَ



أَيْضًا ... وَلَكِنِّي خَفِيٌّ غَيْرُ مَرِيٍّ ... أَتُرَاكَ فَهَمَّتْ مَا أَعْنِي ؟ جِسْمٌ

خَفِيٌّ ... خَفِيٌّ ... هَذَا هُوَ كُلُّ مَا هُنَالِكَ . »

« هَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ حَقِيقِيٌّ . »

« نَعَمْ ، إِنْسَانٌ حَقِيقِيٌّ . »

قَالَ مَارْفِلُ : « إِذَا دَعَنِي أَلَمِسُ يَدَكَ . إِذَا كُنْتُ حَقِيقِيًّا فَلَنْ يَكُونَ

الْأَمْرُ غَرِيبًا . »

وَتَحَسَّسَ بِأَصَابِعِهِ أَلْيَدَ الَّتِي أَطْبَقَتْ عَلَى رُسْغِهِ ، ثُمَّ تَحَسَّسَ الذَّرَاعَ

حَتَّى اسْتَقَرَّتْ أَصَابِعُهُ عَلَى الصُّدْرِ ، ثُمَّ لَمَسَتْ الْوَجْهَ الْمُلتَحِجِي .

وَبَدَتْ عِلَامَاتُ الدَّهْشَةِ الشَّدِيدَةِ عَلَى وَجْهِ مَارْفِلُ .

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « وَمَعَ ذَلِكَ ، فَلَيْسَ هَذَا بِالْأَمْرِ الشَّدِيدِ

الْغَرَابَةِ كَمَا تَظُنُّ . »

رَدَّ السَّيِّدُ تُوْمَاسُ مَارْفِلُ قَائِلًا : « إِنَّهُ عَلَى أَيَّةِ حَالٍ شَدِيدُ الْغَرَابَةِ

بِالنِّسْبَةِ لِي . وَلَكِنْ كَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا ؟ كَيْفَ تَفْعَلُهُ ؟ »

« هَذِهِ حِكَايَةٌ طَوِيلَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَفَضْلًا عَنْ هَذَا فَإِنَّ ... »

قَالَ السَّيِّدُ مَارْفِلُ مُقَاطِعًا : « أَقُولُ لَكَ إِنَّ الْأَمْرَ عَجِيبٌ جِدًّا . إِنِّي

لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْهَمَهُ . »

« إِنَّ الَّذِي أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهُ الْآنَ هُوَ إِنِّي فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمُسَاعَدَةِ .
نَعَمْ ، أُرِيدُ الْمُسَاعَدَةَ فِي الْحَالِ . لَقَدْ التَّقَيْتُ بِكَ فَجَاءَ وَأَنَا أَمْجُولُ
عَارِيَّ الْبَدَنِ مُجَرَّدًا مِنَ الثِّيَابِ . . . لا مُعِينَ لِي ، ثُمَّ رَأَيْتُكَ . . . »

صَاحَ مَارْقِلُ : « يَا إِلَهِي ! »

« كُنْتُ أَسِيرُ وَرَاءَكَ ، وَتَوَقَّعْتُ ، ثُمَّ عَاوَدْتُ سِيرِي ، وَتَوَقَّعْتُ مَرَّةً
أُخْرَى ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُعَاوَنَنِي ،
وَأَسْتَدْرْتُ رَاجِعًا إِلَيْكَ ، إِلَيْكَ أَنْتَ ، ثُمَّ . . . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارْقِلُ : « يَا إِلَهِي ! هَلْ لِي أَنْ أَسْأَلَكَ عَمَّا تَشْعُرُ بِهِ
وَأَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟ وَآيُّ عَوْنٍ تَحْتَاجُهُ أَيُّهَا الْخَفِيُّ ؟ »

أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُسَاعِدَنِي فِي الْحُصُولِ عَلَى ثِيَابٍ وَمَأْوَى ، ثُمَّ بَعْضُ
الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى . لَقَدْ تَرَكْتُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ أَطْوَلَ مِمَّا يَنْبَغِي . . . أَمَّا إِذَا
كُنْتُ لَا تُرِيدُ أَنْ تُسَاعِدَنِي . . . وَلَكِنَّكَ سَتُسَاعِدَنِي . . . لَا بُدَّ لَكَ أَنْ
تُسَاعِدَنِي . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارْقِلُ : « اِسْمَعْ ، لَا تَطْرَحْنِي أَرْضًا بَعْدَ الْآنَ ، وَدَعْنِي

أَنْصَرِفَ . . . يَجِبُ أَنْ أَسْتَعِيدَ هُدُوءَ أَغْصَابِي . . . إِنَّكَ كَذَبْتَ أَنْ تَكْسِرَ
أَصْبَعَ قَدَمِي ، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ عَجِيبٌ لَا يُصَدِّقُهُ الْعَقْلُ : أَرْضٌ خَلَاءٌ ،
وَسَمَاءٌ خَالِيَةٌ ، وَلَا شَيْءٌ يُرَى عَلَى مَسَافَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ إِلَّا الطَّبِيعَةُ . وَفَجْأَةً
يَنْبُعُ صَوْتُ آتٍ مِنَ السَّمَاءِ ! ثُمَّ حِجَارَةٌ وَقَبْضَةٌ يَدٍ ! يَا إِلَهِي ! »

قَالَ الصَّوْتُ : « تَمَسَّكَ يَا رَجُلُ ، إِذْ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقُومَ بِمَا
أُرِيدُهُ مِنْكَ . »

فَعَرَّ مَارْقِلُ فَمَهُ ، وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ .

عَادَ الصَّوْتُ يَقُولُ : « لَقَدْ وَقَعَ اخْتِيَارِي عَلَيْكَ . إِنَّكَ الْإِنْسَانُ
الْوَحِيدُ - بِاسْتِثْنَاءِ بَعْضِ الْحَمَقَى مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ - الَّذِي يَعْرِفُ أَنْ
ثَمَّةَ شَيْئًا أَسْمُهُ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ . يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُعِينًا لِي . أَرْجُوكَ
سَاعِدَنِي ، وَسَوْفَ أَجَازِيكَ خَيْرَ الْجَزَاءِ . إِنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ ذُو بَأْسٍ
وَسُلْطَانٍ . » وَأَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ بَرْهَةً لِيُعْطِسَ عَطَسَةً عَالِيَةً .

ثُمَّ قَالَ : « لَكِنْ إِذَا خَدَعْتَنِي ، وَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ مَا أَقُولُهُ لَكَ . . . »
مَرَّةً أُخْرَى كَفَّ عَنْ مُتَابَعَةِ الْحَدِيثِ ، وَرَبَّتْ عَلَى كَتِفِ السَّيِّدِ
مَارْقِلُ بِشِدَّةٍ ، فَأَطْلَقَ مَارْقِلُ صَيْحَةً فَرَعَ حِينَهَا شَعْرَ بِلْمَسَةِ يَدِهِ ، وَقَالَ

وَهُوَ يَتَّبِعُ : « إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَخْذَعَكَ ، وَلَا يَخْطُرَنَّ ذَلِكَ بِإِلَّاكَ ، مَهْمَا فَعَلْتَ . . كُلُّ مَا أَبْغِيهِ هُوَ أَنْ أَسَاعِدَكَ . قُلْ لِي فَقَطْ مَا تُرِيدُنِي أَنْ أَفْعَلَهُ ، وَ مَهْمَا يَكُنْ ذَلِكَ الَّذِي تُرِيدُهُ مِنِّي فَسَوْفَ أَفْعَلُهُ رَاضِيًا . »

وَفِي حَوَالِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ دَخَلَ السَّيِّدُ مَارْفُلَ الْقَرْيَةِ مِنْ نَاحِيَةِ اللَّتَالِ . وَكَانَ قَصِيرَ الْقَامَةِ بَدِينًا ، عَلَى رَأْسِهِ قُبْعَةٌ قَدِيمَةٌ قَدِرَةٌ ، وَبَدَا مَكْدُودًا مُتَعَبًا لَاهِثَ الْأَنْفَاسِ . وَكَانَتْ عِلَامَاتُ الْخَوْفِ ظَاهِرَةً عَلَى وَجْهِهِ ، وَبَدَا كَأَنَّهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ . وَتَذَكَّرَ بَعْضُ رِجَالِ الْقَرْيَةِ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ مِنْ قَبْلُ ، وَشَاهَدَهُ السَّيِّدُ هَكَسْتَرُ يَرْتَقِي دَرَجَاتِ الْفُنْدُقِ وَيَتَّجِعُ إِلَى الرَّدْهَةِ . وَسَمِعَ هَكَسْتَرُ أَصْوَاتًا مِنْ دَاخِلِ الرَّدْهَةِ تَطْلُبُ مِنْهُ أَلَّا يَدْخُلَهَا .

قَالَ هُوَلُ : « هَذِهِ غُرْفَةٌ خَاصَّةٌ فَلَا تَدْخُلَهَا . »

وَأَغْلَقَ السَّيِّدُ مَارْفُلَ بَابَ الرَّدْهَةِ ، وَارْتَدَّ مُتَّجِعًا إِلَى قَاعَةِ الْجُلُوسِ ، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ غَادَرَ الْمَكَانَ مُنْصَرِفًا وَهُوَ يَمْسَحُ فَمَهُ كَأَنَّهُ قَدْ شَرِبَ شَيْئًا .

الفصل التاسع

في فندق "العربة و الجياد"

كَانَ السَّيِّدَانِ كَاسٌ وَبَتْنِغٌ فِي رَدْهَةِ الْفُنْدُقِ يُفْتَشَانِ مَتَاعَ الْغَرِيبِ ، أَمَلًا فِي أَنْ يَجِدَا شَيْئًا يُفَسِّرُ لَهَا أَحْدَاثَ ذَلِكَ الصَّبَاحِ . وَكَانَ جِيْفِرُزُ قَدْ أَفَاقَ مِنْ سَقَطَتِهِ ، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ . أَمَّا السَّيِّدَةُ هُوَلُ فَقَدْ رَتَبَتْ مَلَابِسَ الْغَرِيبِ ، وَنَحَنَّتْهَا جَانِبًا . وَعَثَرَ السَّيِّدُ كَاسٌ عَلَى ثَلَاثَةِ كُتُبٍ ضَخْمَةٍ تَحْتَ النَّافِذَةِ حَيْثُ كَانَ الْغَرِيبُ يَعْمَلُ .

قَالَ كَاسٌ لِبَتْنِغِ : « الْآنَ سَنَهْتَدِي إِلَى شَيْءٍ . »

وَلَكِنْ مَا إِنْ فَتَحَا الْكُتُبَ حَتَّى أَلْفَيَا نَفْسَيْهِمَا عَاجِزِينَ عَنْ قِرَاءَةِ شَيْءٍ . وَرَاحَ كَاسٌ يُقَلِّبُ الصَّفَحَاتِ ، ثُمَّ قَالَ : « هَذَا غَرِيبٌ ! إِنِّي لَا أَفْهَمُ شَيْئًا ! »

سَأَلَهُ السَّيِّدُ بَتْنِغِ : « أَلَمْ تَجِدْ صُورًا ؟ لَا شَيْءٌ يُبَيِّنُ ؟ »

أَجَابَهُ السَّيِّدُ كَاسٌ : « هَاكَ الْكُتُبُ . افْحَصْهَا بِنَفْسِكَ . إِنَّهَا

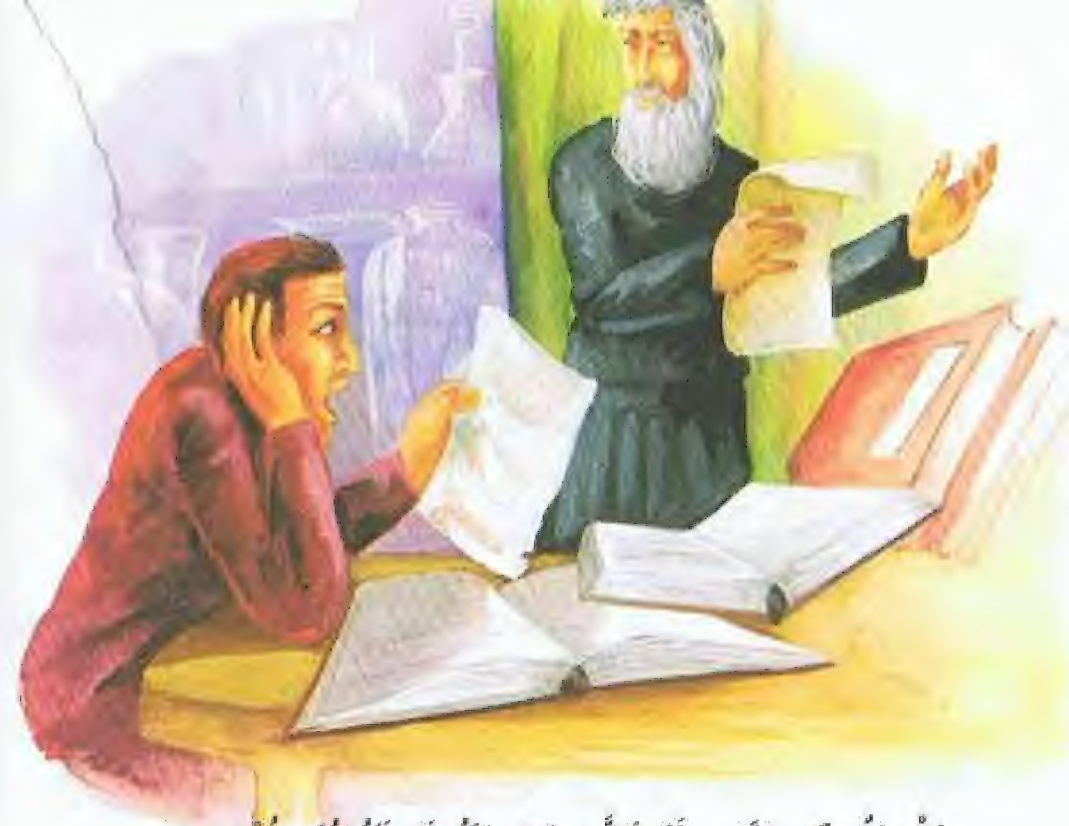
إِسْمَ السَّيِّدِ بَنَتِغَ وَقَالَ : « فَلْنَعَاوِدِ الْآنَ النَّظَرَ فِي الْكُتُبِ ، فَلَيْسَ
ثُمَّ شَكٌّ فِي أَنَّ أَشْيَاءَ غَرِيبَةً حَدَّثَتْ فِي الْقَرْيَةِ ، وَلَكِنِّي مَعَ هَذَا لَا أَسْتَطِيعُ
أَنْ أَصَدِّقَ أَنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا أَسْمُهُ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ . نَعَمْ ، لَا أَسْتَطِيعُ . . . »
« لَا ، وَمَعَ ذَلِكَ أُوَكِّدُ لَكَ أَنَّنِي أَسْتَطَعْتُ أَنْ أَرَى مِنْ خِلَالِ كُمْ
قَمِيصِهِ . »

سَأَلَهُ السَّيِّدُ بَنَتِغَ : « أ وَائِقُ أَنْتَ بِذَلِكَ ؟ أ وَائِقُ تَمَامًا ؟ »
« وَائِقُ كُلُّ الْوَثُوقِ ، وَقَدْ قُلْتُ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ لَدَيَّ أَذَى شَكٍّ فِيهِ .
وَلْنَعُدِ الْآنَ إِلَى الْكُتُبِ . »

ثُمَّ مَضِيَ يُقَلِّبَانِ الصَّفَحَاتِ ، وَلَكِنَّهَا عَجَزَا عَنْ قِرَاءَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ
مِنْ لُغَتِهَا الْغَرِيبَةِ . وَفَجْأَةً أَحْسَسَ السَّيِّدُ بَنَتِغَ شَيْئًا يُمَسِّكُ بِقَفَاهُ ، حَتَّى إِنَّهُ
لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ .

« يَا كَمَا أَنْ تَتَحَرَّكَ أَيُّهَا التَّافِهَانِ وَإِلَّا حَطَّمْتُ رَأْسَيْكُمَا . »
وَتَطَلَّعَ السَّيِّدُ بَنَتِغَ إِلَى كَاسِ الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ شَاجِبًا مِنْ شِدَّةِ
الْهَلَعِ .

قَالَ الصَّوْتُ : « يُؤْسِفُنِي أَنْ أَكُونَ خَشِينًا عَنِيفًا ، وَلَكِنْ مَتَى تَعَلَّمْتُمَا



مَكْتُوبَةً بِالْيُونَانِيَّةِ ، أَوْ لَعَلَّهَا الرُّوسِيَّةُ أَوْ أَيَّةُ لُغَةٍ أُخْرَى . »

فُتِحَ أَلْبَابُ فَجْأَةً ، وَاسْتَدَارَ الرَّجُلَانِ يَتَطَلَّعَانِ ، فَإِذَا الْقَادِمُ هُوَ
السَّيِّدُ مَارْزُقِلُ ، وَلَيْثَ بُرْهَةً مُمَسِّكًا بِأَلْبَابٍ وَهُوَ مَفْتُوحٌ ، ثُمَّ قَالَ :
« مَعْدِرَةٌ ! »

قَالَ السَّيِّدُ كَاسُ : « أَرْجُوكَ أَنْ تُغْلِقَ أَلْبَابَ . »
وَعِنْدَئِذٍ أَنْصَرَفَ السَّيِّدُ مَارْزُقِلُ .

قَالَ كَاسُ : « إِنَّ أَعْصَابِي . . . إِنَّ أَعْصَابِي الْيَوْمَ مُضْطَرِبَةٌ ، فَقَدْ
أَجْفَلْتُ فَرَعًا عِنْدَمَا فُتِحَ أَلْبَابٌ عَلَى هَذَا النَّحْوِ . »

الْعَبَثُ بِمُقْتَنِيَاتٍ غَيْرِكُمَا ؟ »

وَأَصْطَدَمَ أَنْفَانِ بِالْمَائِدَةِ ، وَوَاصَلَ الصَّوْتُ حَدِيثَهُ قَائِلًا : « كَيْفَ
تَدْخُلَانِ حُجْرَةَ غَرِيبٍ دُونَ أَنْ يَطْلُبَ إِلَيْكُمَا ذَلِكَ ؟ أَنْصِتَا إِلَيَّ ! إِنِّي
رَجُلٌ قَوِيٌّ الْبَنِيَّةِ ، وَفِي وَسْعِي أَنْ أَقْتُلَكُمَا كَلَيْكُمَا إِذَا شِئْتُ وَأَفِرُّ هَارِبًا دُونَ
أَنْ يَرَانِي أَحَدٌ . وَلَكِنْ إِذَا أَطْلَقْتُ سَرَاحُكُمَا فَعِدَانِي أَنْ تَفْعَلَا مَا
أُرِيدُهُ . »

قَالَ السَّيِّدُ بَشْتِغَ : « نَعِدُكَ بِذَلِكَ . »

وَتَحَلَّتِ الْيَدَانِ عَنْ عُنُقِي الرَّجُلَيْنِ ؛ فَأَعْتَدَلَا وَاقِفَيْنِ ، وَقَدْ تَضَرَّجَ
وَجْهُمَا أَحْمِرَارًا .

قَالَ الصَّوْتُ : « إِيَّاكُمَا أَنْ تَتَحَرَّكَا . هَا هُوَذَا قَضِيبٌ تَقْلِبُ النَّارَ فِي
يَدَيْ ؛ أَمْ تَرِيَانِيهِ ؟ »

وَرَأَى الْقَضِيبَ يَتَارَجِحُ فِي الْهَوَاءِ ، وَيَلْمِسُ أَنْفَ السَّيِّدِ بَشْتِغَ .
« وَالْآنَ أَيْنَ مَلَابِسِي ؟ حَقِيقَةُ الْجَوْ دَافِقٌ هَذِهِ الْأَيَّامَ حَتَّى لَيْسْتَطِيعَ
الرَّجُلُ الْخَفِيُّ أَنْ يَتَجَوَّلَ مُجَرَّدًا مِنَ الثِّيَابِ ، وَلَكِنْ الْمَسَاءُ بَارِدٌ .
لِذَلِكَ فَإِنِّي فِي حَاجَةٍ إِلَى بَعْضِ الْمَلَابِسِ ، وَإِلَى هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ
أَيْضًا . »

الفصل العاشر

الرَّجُلُ الْخَفِيُّ يَتَمَلَّكُهُ الْغَضَبُ

بَيْنَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ تَحْدُثُ فِي الرُّدْهَةِ ، وَ عَلَى حِينٍ وَقَفَ السَّيِّدُ
هَكَسَرَ يَرْقُبُ السَّيِّدَ مَارْفِلٌ وَهُوَ مُسْتَنِدٌّ إِلَى بَوَابَةِ الْفُنْدُقِ يُدَخِّنُ غَلِيُونَهُ ،
كَانَ السَّيِّدُ هَوْلٌ عَلَى قَيْدِ خُطَوَاتِ يَتَبَادُلُ الْحَدِيثَ مَعَ السَّيِّدِ تَيْدِي
هَنْفَرِي .

وَفَجْأَةً دَوَّتْ خَبْطَةٌ عَالِيَةٌ فَوْقَ بَابِ الرُّدْهَةِ ، أَعْقَبَتْهَا صَرْخَةٌ ، ثُمَّ
سَادَ السُّكُونُ .

صَاحَ تَيْدِي هَنْفَرِي : « مَا هَذَا ؟ »

وَرَدَّدَ صَوْتٌ مِنَ الدَّاخِلِ : « مَا هَذَا ؟ »

وَنَظَرَ السَّيِّدُ هَوْلٌ وَتَيْدِي إِلَى أَلْبَابِ .

قَالَ هَوْلٌ : « حَدَثَ شَيْءٌ سَيِّئٌ . »

وَأَرْهَفَ الرَّجُلَانِ السَّمْعَ قِتْرَةً طَوِيلَةً ، وَمِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الْمَوْصَدِ
سَمِعَا أَصْوَاتًا غَرِيبَةً ، كَأَنَّ شَيْئًا يَسْقُطُ أَرْضًا ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ
حَادَّةٌ .

وَأَرْتَفَعَ صَوْتُ يَقُولُ : « لا ... لا ... لا تَفْعَلْ هَذَا . » ثُمَّ سَادَ
الصَّمْتُ .

وَفِي صَوْتٍ خَافِتٍ هَمَسَ هَنْفَرِي مُتَعَجِّبًا : « مَا هَذَا ؟ ! »

وَتَسَاءَلَ هُوَ : « أَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ ؟ »

وَجَاءَ صَوْتُ السَّيِّدِ بِنْتِنِغْ مُجِيبًا : « كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ ! عَلَى مَا
يُرَامُ ! لَا تَدْخُلْ . »

وَوَقَفَا يُنْصِتَانِ .

وَسَمِعَا السَّيِّدَ بِنْتِنِغْ يَقُولُ : « لَا أَسْتَطِيعُ . أَقُولُ لَكَ يَا سَيِّدِي إِنِّي
لَنْ أَفْعَلَ هَذَا . »

وَسَأَلَ هَنْفَرِي : « مَنْ الَّذِي يَتَكَلَّمُ الْآنَ ؟ »

أَجَابَهُ هُوَ : « السَّيِّدُ كَاسَ فِيهَا أَعْتَقِدُ . هَلْ تَسْمَعُ شَيْئًا آخَرَ ؟ »

ثُمَّ سَادَ السُّكُونُ .

قَالَ هُوَ : « يَبْدُو أَنَّ أَحَدًا أَلْقَى بِالْمَائِدَةِ عَلَى الْأَرْضِ . »

وظَهَرَتْ زَوْجَةُ هُوَ ، وَحِينَ أَنْبَأُوهَا بِمَا حَدَثَ أَبَتْ أَنْ تُصَدِّقَ أَنَّ
شَيْئًا غَرِيبًا كَانَ يَحْدُثُ ، وَ قَالَتْ : « لَعَلَّهُمْ يُزِيحُونَ الْمَقَاعِدَ
وَالْمِنْضَدَةَ . »

تَسَاءَلَ السَّيِّدُ هَنْفَرِي : « أَلَمْ أَسْمَعْ صَرِيرَ النَّافِذَةِ ؟ »

فَسَأَلَتْهُ زَوْجَةُ هُوَ : « أَيُّهُ نَافِذَةٌ ؟ »

وَأَجَابَهَا هَنْفَرِي : « نَافِذَةُ الرَّدْمَةِ . »

وَوَقَفَ الْجَمِيعُ يُنْصِتُونَ ، وَكَانَتْ زَوْجَةُ هُوَ تَنْظُرُ أَمَامَهَا مُبَاشَرَةً
فَوَقَعَتْ عَيْنَاهَا عَلَى بَابِ الْفُنْدُقِ الْأَلَمِجِ ، وَ الطَّرِيقِ الْخَالِيِ النُّظِيفِ ،
وَوَاجِهَةِ مَتَجَرِّ هَكَسْتَرِ وَهِيَ تَتَأَلَّقُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَرَ شَيْئًا
مِنْ هَذَا . وَفَجْأَةً انْفَتَحَ بَابُ الْمَتَجَرِّ ، وَظَهَرَ هَكَسْتَرُ نَفْسُهُ يُحَدِّقُ بِعَيْنَيْهِ
مِنْ قَرِطِ الْأَنْفِعَالِ ، وَيُلَوِّحُ بِذِرَاعَيْهِ .

صَاحَ هَكَسْتَرُ : « قِفْ أَيُّهَا اللَّصُّ ! » وَجَرَى صَوْبَ أَبْوَابِ الْفِنَاءِ ،
ثُمَّ تَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ .

وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ صَدَرَتْ مِنَ الرَّدْهَةِ حَلْبَةٌ ، وَ سَمِعَ صَرِيرُ نَافِذَةٍ
تُغْلَقُ .

وَأَنْدَفَعَ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى الشَّارِعِ هَوْلٌ وَهَنْفَرِي وَسَائِرُ الْمَوْجُودِينَ فِي
الْفُنْدُقِ . وَ شَاهَدُوا شَخْصًا يَجْرِي صَوْبَ طَرِيقِ التَّلِّ ، وَ شَاهَدُوا السَّيِّدَ
هَكَسَرَ يَقْفِيزُ فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ يَسْقُطُ عَلَى وَجْهِهِ وَ كَتِفِهِ . وَ جَرَى هَوْلٌ
وَإِثْنَانِ مِنَ الْعُمَّالِ إِلَى آخِرِ الشَّارِعِ ، فَرَأَوْا السَّيِّدَ مَارِئِلَ يَتَوَارَى وَرَاءَ
جِدَارِ أَحَدِ الْمَبَانِي .

بَيَّدَ أَنَّ هَوْلٌ لَمْ يَكُنْ يَجْرِي بِضَمِّ خُطَوَاتٍ حَتَّى أَطْلَقَ صَرْخَةً عَالِيَةً
وَسَقَطَ عَلَى جَنْبِهِ جَازِبًا مَعَهُ أَحَدَ الْعَامِلِينَ . وَ لَحِقَ بِهِمَا الْعَامِلُ الثَّانِي ،
وَ طَرَحَ هُوَ أَيْضًا أَرْضًا . وَ عِنْدَئِذٍ أَقْبَلَ الْحَشْدُ الْقَادِمُ مِنَ الْقَرْيَةِ ،
وَ دَهَشَ أَوَّلُ الْقَادِمِينَ عِنْدَمَا رَأَى هَكَسَرَ وَ هَوْلٌ وَاقِعِينَ عَلَى الْأَرْضِ .
وَ فَجْأَةً حَدَثَ شَيْءٌ لِقَدَمَيْهِ فَإِذَا بِهِ رَاقِدٌ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَ الْحَشْدُ الْقَادِمُ
يَتَسَاقَطُ فَوْقَهُ ، وَ اللَّعْنَاتُ تَنْهَالُ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ الْغَاضِبِينَ .

عِنْدَمَا جَرَى هَوْلٌ وَهَنْفَرِي وَ الْعَامِلَانِ مِنَ الْفُنْدُقِ إِلَى الطَّرِيقِ بَقِيَتْ
رَوْجَةُ هَوْلٍ وَحْدَهَا فِي الْمَطْعَمِ . وَ فَجْأَةً فُتِحَ بَابُ الرَّدْهَةِ وَ بَرَزَ عَلَى عَتَبَتِهِ
السَّيِّدُ كَاسٌ ، وَ دُونَ أَنْ يُحَوَّلَ إِلَيْهَا بَصَرُهُ قَفَزَ يَطْوِي الدَّرَجَ مُتَجَهًّا إِلَى

الطَّرِيقِ صَارِخًا : « أَمْسِكُوهُ ! لَا تَدْعُوهُ يَرْمِي الْكُتُبَ الَّتِي فِي يَدِهِ ! فَمَا
دَامَ مُمَسِّكًا بِالْكِتَابِ فَسَتَمَكِّنُونَ مِنْ مَعْرِفَةِ مَكَانِهِ . »

بَيَّدَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ مَارِئِلَ ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ كَانَ
قَدْ أَعْطَاهُ الْكِتَابَ لِيَحْمِلَهَا عَنْهُ وَ هُوَ فِي الْفِنَاءِ .

وَ كَانَتْ عَلَامَاتُ الْغَضَبِ وَ التَّصْمِيمِ بَادِيَةً عَلَى وَجْهِ السَّيِّدِ كَاسٌ ،
أَمَّا ثِيَابُهُ فَكَانَ شَأْنُهَا عَجِيبًا . . . فَبَدَلًا مِنَ الْبَنْطَلُونِ كَانَ يُلْفُ حَوْلَ بَطْنِهِ
وَسَاقِيَهُ مِفْرَشٌ أَلْمَائِدَةُ ، وَ كَانَ لَا يَزَالُ يَصِيحُ : « أَمْسِكُوهُ ! لَقَدْ اسْتَوَلَى
عَلَى بَنْطَلُونِي ! لَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَى كُلِّ ثِيَابِ السَّيِّدِ بَتْنُغ ! »

وَ عِنْدَمَا بَلَغَ نَاصِيَةَ الطَّرِيقِ لِيَنْضَمَّ إِلَى حَشْدِ النَّاسِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ
يُطْرَحُ أَرْضًا ، فَأَخَذَ يَرْكُلُ الْأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ . وَ دَاسَ أَحَدُهُمْ عَلَى أُصْبُعِهِ ،
وَ أَخَذَ يُجَاهِدُ لِلنُّهُوضِ عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَأَضْطَدَمَ بِهِ شَيْءٌ وَالْقَاهُ ثَانِيَةً عَلَى
رُكْبَتَيْهِ . وَ رَأَى النَّاسَ جَمِيعًا يَرْكُضُونَ عَائِدِينَ إِلَى الْقَرْيَةِ ، فَانْتَصَبَ عَلَى
قَدَمَيْهِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ، فَإِذَا بِهِ يَتَلَقَّى لَطْمَةً خَلْفَ أُذُنِهِ ، فَاسْرَعَ عَائِدًا إِلَى
فُنْدُقِ الْقَرْيَةِ بِأَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُ مِنْ سُرْعَةٍ . وَ فِي طَرِيقِهِ قَفَزَ مُتَخَطِّيًا
هَكَسَرَ الَّذِي كَانَ جَالِسًا عَلَى الْأَرْضِ .

وَبَعْدَ أَنْ صَعِدَ بَصَفَ سُلَمِ الْفُنْدُقِ ، سَمِعَ صَيْحَةَ غَضَبٍ
مُفَاجِئَةً تَجَاوَزَتْ فِي شِدَّتِهَا صَوْتَ الْجَلْبَةِ السَّائِدَةِ ، ثُمَّ صَوْتُ صَفْعَةٍ
سُدَّتْ إِلَى وَجْهِ شَخْصٍ مَا . وَأَذْرَكَ أَنَّ صَيْحَةَ الْغَضَبِ كَانَتْ لِلرَّجُلِ
الْخَفِيِّ .

وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ كَانَ السَّيِّدُ كَاسٌ قَدْ عَادَ إِلَى الرَّدْهَةِ .
قَالَ وَهُوَ يَنْدَفِعُ إِلَى الدَّاخِلِ : « إِنَّهُ عَائِدٌ يَا بَنَتِغ ! انْجُ بِنَفْسِكَ ! »
وَ كَانَ السَّيِّدُ بَنَتِغَ وَاقِفًا عِنْدَ النَّافِذَةِ يُحَاوِلُ أَنْ يَسْتَرَّ جَسَدَهُ
بِالسَّجَادَةِ وَيَأْخُذِي الصُّحُفَ ، فَسَأَلَهُ - وَقَدْ بَلَغَتْ دَهْشَتُهُ حَدًّا كَادَتْ
مَعَهُ مَلَابِسُهُ تَسْقُطُ عَنْ جَسَدِهِ - : « مَنْ الْعَائِدُ ؟ »

أَجَابَ كَاسٌ : « الرَّجُلُ الْخَفِيُّ . » وَأَنْدَفَعَ نَحْوَ النَّافِذَةِ وَهُوَ
يُرَدِّدُ : « خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَهْرُبَ مِنْ هُنَا ، أَسْرَعُ ! إِنَّهُ يُقَاتِلُ كَالْمَجْنُونِ ! »
وَبَعْدَ لَحْظَةٍ كَانَ فِي الْفَنَاءِ .

وَسَمِعَ السَّيِّدُ بَنَتِغَ جَلْبَةً صِرَاعٍ عَنِيفٍ فِي الْمَمْشَى ، فَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُ
عَلَى أَنْ يُغَادِرَ الْمَكَانَ . وَخَرَجَ مِنَ النَّافِذَةِ ، وَأَنْطَلَقَ يَجْرِي عَبْرَ شَارِعِ
الْقَرْيَةِ بِأَسْرَعٍ مَا تَسْتَطِيعُ سَاقَاهُ السَّمِيتَانِ أَنْ تُحْمِلَاهُ .

الفصل الحادي عشر

السَّيِّدُ مَارْقِلُ يُحَاوِلُ رَفْضَ الْمُهَمَّةِ

كَانَ السَّيِّدُ مَارْقِلُ يَسِيرُ مُتَأَلِّمًا وَسَطَ الْحِرَاجِ الْكَثِيفَةِ مُتَّجِهًا إِلَى
بِرَامِبِلْهَرِشْت . وَكَانَ تَعِيسًا وَهُوَ يَحْمِلُ ثَلَاثَةَ كُتُبٍ وَبَعْضَ الْمَلَابِيسِ
الْمَلْفُوفَةِ فِي مِقْرَشٍ مَائِدَةٍ أَزْرَقِ اللَّوْنِ .

وَكَانَ يُصَاحِبُهُ صَوْتُ ، وَتَمْسِكُ بِهِ بِقُوَّةٍ يَدَانِ غَيْرِ مَرْتَبِتَيْنِ .
قَالَ الصَّوْتُ مُرَدِّدًا : « لَوْ أَنَّكَ حَاوَلْتَ أَنْ تَهْرُبَ مَرَّةً أُخْرَى ... لَوْ
أَنَّكَ حَاوَلْتَ أَنْ تَهْرُبَ مَرَّةً أُخْرَى فَسَأَقْتُلَكَ . »

أَجَابَ السَّيِّدُ مَارْقِلُ : « إِنِّي لَمْ أُحَاوِلْ أَنْ أَهْرُبَ . »

إِنْهَالَ الصَّوْتُ عَلَيْهِ بِالسَّبَابِ وَاللَّعْنَاتِ ، ثُمَّ سَكَتَ . وَبَدَأَ السَّيِّدُ
مَارْقِلُ مُتَعَبًا مِنْهُوَكَ الْقَوَى ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَأْلَفُ الْعَمَلَ الشَّاقَّ . وَسَادَ
الصَّمْتُ بُرْهَةً مِنَ الْوَقْتِ ، ثُمَّ قَالَ الصَّوْتُ : « يَجِبُ أَنْ أُفِيدَ مِنْكَ .
إِنَّكَ مَخْلُوقٌ مُسْكِنٌ ، وَلَكِنِّي مُضْطَرٌّ إِلَى ذَلِكَ . »

قَالَ مَارِئِلُ : « نَعَمْ إِنِّي رَجُلٌ مُسْكِينٌ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « صَدَقْتَ . »

قَالَ مَارِئِلُ : « إِنِّي لَسْتُ قَوِيًّا . » وَسَكَتَ قَلِيلًا ثُمَّ كَرَّرَ قَوْلَهُ :
« إِنِّي لَسْتُ قَوِيًّا . فَقَلْبِي ضَعِيفٌ ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ مَا تَبْغِيهِ
مِنْهُ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « بَلْ سَأَجْعَلُكَ تَفْعَلُ مَا أُرِيدُ . »

قَالَ مَارِئِلُ : « لَيْتَنِي مِتُّ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « وَاصِلِ الْمَشْيِ ! سِرْ ! تَحَرَّكْ ! »

قَالَ مَارِئِلُ : « يَا لَهَا مِنْ قَسْوَةٍ . »

قَالَ الصَّوْتُ : « أَصُمْتُ ! سَأَعْمَلُ عَلَى أَنْ أَجْعَلَكَ مُرْتَاحًا . وَلَكِنْ
الْزَمِ السُّكُوتَ ؛ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَفَكِّرَ . »

وَبَعْدَ قَلِيلٍ تَرَاءَتْ لَهَا أَنْوَارُ قَرْيَةٍ .

قَالَ الصَّوْتُ : « سَأُبْقِي يَدَيَّ عَلَى كَيْفِكَ ، فَادْخُلِ الْقَرْيَةَ وَسِرْ
فِيهَا ، وَلَا تُحَاوِلْ أَنْ تَقُولَ شَيْئًا لِأَحَدٍ . »



تَطْلَعُ السَّيِّدُ مَارِئِلَ إِلَى الْبَحَارِ بِعَيْنَيْنِ يَتَجَلَّى فِيهِمَا الرَّغْبُ ، وَرَدَّدَ فِي
أَقْبُصَابٍ : « جَدًّا . »



الفصل الثاني عشر في ميناء آستو

في العاشرة من صباح اليوم التالي ، جلس السيد ماريِل خارج
فندق صغير في ميناء آستو ، وهو قدير حزين ، تكاد الدموع تطفّر من
عينيه ، و بجانبه الكتب الثلاثة ، ولكنها هذه المرة كانت مربوطة
بخط . أما الثياب فقد تركها في الجراج القريبة من برامبلهرست .
كان السيد ماريِل جالساً على أريكة عند الباب ، وزعم أنه لم يكن
يلقى أي اهتمام من أحد ، إلا أنه كان مُنفعلاً متوتر الأعصاب .
وبعد انقضاء قراءة الساعة - وماريِل جالس مكانه - خرج من
الفندق بحار عجوز في يده صحيفة ، وأستوى جالساً بجانبه على
الأريكة .

قال البحار : « طقس جميل اليوم . »

أَدَارَ الْبَحَارُ بَصْرَهُ فِيمَا حَوْلَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يَفْعَلُهُ ، ثُمَّ
اسْتَقَرَّتْ عَيْنَاهُ عَلَى ثِيَابِ السَّيِّدِ مَارِئِلَ الَّتِي غَلَاها التُّرَابُ ، وَعَلَى الْكُتُبِ
الَّتِي بِجَوَارِهِ . وَسَمِعَ خَشْخَشَةً تُقَوِّدُ تُلْقَى فِي جَيْبِ جَارِهِ ، وَرَأَى أَنَّ
السَّيِّدَ مَارِئِلَ لَيْسَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ نَقودًا
كَثِيرَةً .

سَأَلَهُ الْبَحَارُ فَجَاءَهُ : « أَهَذِهِ كُتُبٌ ؟ »

هَبَّ السَّيِّدُ مَارِئِلَ وَاثِقًا ، وَنَظَرَ إِلَى الْكُتُبِ قَائِلًا : « آه . . . نَعَمْ !
نَعَمْ إِنَّهَا كُتُبٌ ! »

فَقَالَ الْبَحَارُ : « إِنَّ فِي الْكُتُبِ أَشْيَاءَ غَرِيبَةً . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ : « نَعَمْ . »

قَالَ الْبَحَارُ : « وَفِي خَارِجِهَا أَشْيَاءَ غَرِيبَةً . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ : « هَذَا صَحِيحٌ . »

قَالَ الْبَحَارُ : « فَنَحْنُ الصُّحُفُ مَثَلًا أَشْيَاءَ غَرِيبَةً . »

« صَدَقْتَ »

قَالَ الْبَحَارُ : « فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ شَيْءٌ غَرِيبٌ . فِيهَا قِصَّةُ رَجُلٍ
خَفِيٍّ . »

ثُمَّ رَوَى لِلسَّيِّدِ مَارِئِلَ الشَّطْرَ الْأَكْبَرَ مِمَّا نَشَرَتْهُ الصَّحِيفَةُ عَنِ
الرَّجُلِ الْخَفِيِّ . وَأَرَدَفَ : « إِنِّي لَا أَحِبُّ هَذَا ، فَقَدْ يَكُونُ فِي أَيِّ
مَكَانٍ ، وَقَدْ يَكُونُ هُنَا فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ يَسْتَمِعُ إِلَى حَدِيثِنَا . وَتَحِيلُ أَنَّهُ إِنْ
أَرَادَ أَنْ يَسْرِقَ أَوْ يَقْتُلَ ، فَمَا الَّذِي سَيَمْنَعُهُ ؟ »

وَبَدَأَ أَنَّ السَّيِّدَ مَارِئِلَ كَانَ يُنْصِتُ إِلَى أَقْلٍ صَوْتٍ .

قَالَ : « الْوَاقِعُ أَنَّ . . . » وَخَفَضَ مِنْ صَوْتِهِ وَقَالَ : « لَقَدْ تَصَادَفَ
أَنْ عَرَفْتُ شَيْئًا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الْخَفِيِّ . »

سَأَلَهُ الْبَحَارُ : « أَنْتَ ؟ »

قَالَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ : « نَعَمْ ، أَنَا ! »

وَلَمْ يَبْدُ عَلَى الْبَحَارِ أَنَّهُ صَدَّقَ السَّيِّدَ مَارِئِلَ .

وَشَرَعَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ يَقُولُ : « لَقَدْ حَدَّثَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا
النَّحْوِ . . . »

وَفَجْأَةً تَغَيَّرَتْ مَلَامِحُ وَجْهِهِ ، وَهَبَّ مِنْ مَقْعَدِهِ يَتَأَوَّهُ مِنَ الْأَلَمِ .

سَأَلَهُ الْبَحَارُ : « مَاذَا حَدَّثَ ؟ »

قَالَ السَّيِّدُ مَارْقِلُ : « أَعْتَقِدُ . . . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أَنْصَرِفَ . »

قَالَ الْبَحَارُ : « وَلَكِنَّكَ كَذَبْتَ تُحَدِّثُنِي عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الْخَفِيِّ . »
وَبَدَأَ عَلَى السَّيِّدِ مَارْقِلُ الِاسْتِغْرَاقَ فِي التَّفَكُّيرِ .

وَقَالَ صَوْتُ : « هَذَا كَذِبٌ . »

وَوَافَقَ السَّيِّدُ مَارْقِلُ قَائِلًا : « نَعَمْ ، هَذَا كَذِبٌ . »

قَالَ الْبَحَارُ : « إِنَّهُ مَنْشُورٌ فِي الصَّحِيفَةِ . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارْقِلُ بِصَوْتٍ عَالٍ : « نَعَمْ ، وَلَكِنَّهَا قِصَّةٌ كَاذِبَةٌ . وَأَنَا
أَعْرِفُ الرَّجُلَ الَّذِي ابْتَدَعَهَا فَلَيْسَ ثَمَّةُ شَيْءٍ اسْمُهُ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ . »

« وَلَكِنْ مَا رَأَيْتَ فِيهَا نَشْرَتَهُ الصَّحِيفَةُ ؟ أَمْ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ . . . »

قَالَ السَّيِّدُ مَارْقِلُ مُوَكَّدًا : « لَيْسَ فِيهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ صَحِيحَةٌ . »

وَحَدَّقَ إِلَيْهِ الْبَحَارُ وَالصَّحِيفَةُ فِي يَدِهِ ، وَتَلَقَّتْ السَّيِّدُ مَارْقِلُ حَوْلَهُ .

وَقَالَ الْبَحَارُ : « اِنْتَظِرْ قَلِيلًا . » ثُمَّ قَامَ وَأَخَذَ يَقُولُ بِطُءٍ : « أَمْ تُرِيدُ

أَنْ تَقُولَ . . . ؟ »

أَجَابَهُ السَّيِّدُ مَارْقِلُ مُقَاطِعًا : « نَعَمْ ، هَذَا مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهُ . »

« إِذَا لِمَاذَا تَرَكْتَنِي أُرَوِّي لَكَ كُلَّ هَذَا ؟ مَا الَّذِي كُنْتَ تَرْمِي إِلَيْهِ

حِينَ جَعَلْتَنِي أَبْدُو سَادَجًا مُغْفَلًا أَرَدُّدُ عَلَيْكَ قِصَّةً كَاذِبَةً ؟ »

ارْتَفَعَ صَوْتُ يَقُولُ : « تَقَدَّمْ ! » وَفَجْأَةً أَدِيرَ السَّيِّدُ مَارْقِلُ ، وَبَدَأَ

يَمْشِي قَفْزًا بِطَرِيقَةٍ غَرِيبَةٍ .

قَالَ الْبَحَارُ وَقَدْ تَبَاعَدَتْ سَاقَاهُ ، وَوَقَفَ يَرْقُبُ الرَّجُلَ وَهُوَ يَتَبَعُهُ :

« أَيُّهَا الشَّيْطَانُ الْأَحْمَقُ ! سَوْفَ أُرِيكَ ، أَيُّهَا الْأَحْمَقُ الْمُغْفَلُ ! إِنَّهَا

مَنْشُورَةٌ هُنَا فِي الصَّحِيفَةِ ! »

عِنْدَئِذٍ حَدَّثَ شَيْءٌ عَجِيبٌ . . . شَيْءٌ سَمِعَهُ الْبَحَارُ وَرَأَاهُ بِمِلْءِ

عَيْنَيْهِ : حَفَنَةٌ مِنَ النُّقُودِ الْمَعْدِنِيَّةِ تَسِيرُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا مُلْتَصِقَةً

بِالْجِدَارِ . وَقَدْ رَأَى صَدِيقُ الْبَحَارِ هَذَا الْمَشْهَدَ الْعَجِيبَ صَبَاحَ ذَلِكَ

الْيَوْمِ نَفْسِهِ . وَلَمَّا حَاوَلَ أَنْ يَأْخُذَ النُّقُودَ لَطَمَتْهُ يَدٌ غَيْرُ مَرِيئَةٍ فَطَرَحَتْهُ

أَرْضًا ، وَلَمَّا وَقَفَ عَلَى رِجْلَيْهِ كَانَتْ النُّقُودُ قَدْ اخْتَفَتْ .

وَكَانَتْ قِصَّةُ النُّقُودِ الطَّائِرَةِ حَقِيقِيَّةً لَا يُدَاخِلُهَا الشُّكُّ ؛ فَقَدْ كَانَتْ

النُّقُودُ تَمُشِي بِهُدُوءٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْمُجَاوِرَةِ ، حَتَّى مِنْ الْمَصْرِفِ
وَالْمَتَاجِرِ وَالْفَنَادِقِ ، وَكَانَتْ تَتَّخِذُ طَرِيقَهَا إِلَى جَيْبِ السَّيِّدِ مَارْفُلٍ .
وَقَدْ سَمِعَ الْبَحَّارُ هَذِهِ الْقِصَّةَ .

الفصل الثالث عشر

الرجُلُ الَّذِي فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ

فِي السَّاعَاتِ الْأُولَى مِنْ مَسَاءِ أَحَدِ الْأَيَّامِ كَانَ الدُّكْتُورُ كَيْمَبُ جَالِسًا
فِي مَكْتَبِهِ الْقَائِمِ عَلَى التَّلِّ الَّذِي يُشْرِفُ عَلَى قَرْيَةِ بَرْدُوكِ . وَكَانَتْ غُرْفَةُ
الْمَكْتَبِ أُنِيقَةً صَغِيرَةً فِي الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ ، وَلَهَا ثَلَاثُ نَوَافِذَ تَنْطُلُ عَلَى
الشَّمَالِ وَالْغَرْبِ وَالْجَنُوبِ ، وَتَنْتَظِمُ جُذُرَانَهَا رُفُوفٌ مُكَدَّسَةٌ بِالْكِتَابِ ،
وَبِهَا مَكْتَبٌ عَرِيضٌ . وَكَانَ الدُّكْتُورُ كَيْمَبُ طَوِيلَ الْقَامَةِ ، نَحِيفَ
الْجِسْمِ ، فِي حَوَالِي الْخَامِسَةِ وَالثَّلَاثِينَ ، بِرَأْسِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ شَعْرِ كَانَ أَشَقَرَ
فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ . وَكَانَ جَالِسًا إِلَى مَكْتَبِهِ مُنْهَمِكًا فِي الْكِتَابَةِ .

وَحَدَّثَ أَنْ رَفَعَ عَيْنَيْهِ عَنْ عَمَلِهِ ، فَرَفَعَتَا عَلَى مَنْظَرِ الْغُرُوبِ وَرَاءَ
التَّلِّ الْمُقَابِلِ لِمَنْزِلِهِ . وَمَرَّتْ دَقِيقَةٌ وَهُوَ جَالِسٌ ، وَقَلَمُهُ فِي فَمِهِ ،
يَتَأَمَّلُ بِإِعْجَابٍ لَوْنَ شَمْسِ الْغُرُوبِ الذَّهَبِيِّ الْمُتَأَلِّقِ ؛ وَعِنْدَئِذٍ لَمْ يَحِ
شَيْعًا ضَمِيلًا لِرَجُلٍ يَجْرِي عَلَى التَّلِّ مُتَجَهًّا نَاجِيَتَهُ . وَكَانَ ذَا قَامَةٍ تَمِيلُ

إِلَى الْقِصْرِ ، ضَّئِيلَ الْجِسْمِ ، عَلَى رَأْسِهِ قُبْعَةٌ قَدِيمَةٌ قَدِرَةٌ ، وَ كَانَ
يَجْرِي بِسُرْعَةٍ . وَ نَهَضَ الدُّكُورُ كَيْمَبَ ، وَ اتَّجَهَ إِلَى النَّافِذَةِ ، وَ رَاحَ
يُحْمَلِقُ نَاحِيَةَ التَّلِّ ، وَ يُتَابِعُ بَبْصَرِهِ الشَّيْخَ الضَّئِيلَ الَّذِي يَرْكُضُ هَاطِلًا
التَّلَّ . وَ قَالَ لِنَفْسِهِ : « يَبْدُو أَنَّهُ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ . »

وَ تَوَارَى الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَجْرِي وَرَاءَ بَعْضِ الْبُيُوتِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى
الظُّهْرِ ، وَ اخْتَفَى مَرَّةً أُخْرَى - وَ كَانَ لَا يَزَالُ يَجْرِي .

أَمَّا الَّذِينَ كَانُوا عَلَى كَتَبٍ مِنْهُ ، فَقَدْ رَأَوْا عِلَامَاتِ الرَّعْبِ بِأَدْيِهِ عَلَى
وَجْهِهِ . وَلَمْ يَكُنْ يَنْظُرُ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا ، وَإِنَّمَا كَانَتْ عَيْنَاهُ الْوَاسِعَتَانِ
تُحْدِقَانِ إِلَى مَهِيطِ التَّلِّ حَيْثُ تُلْقِي مَصَابِيحُ الشَّارِعِ بِأَنْوَارِهَا ، وَ حَيْثُ
يَرْحُمُ النَّاسُ الطَّرِيقَ .

وَمَا مَرَّ بِإِنْسَانٍ إِلَّا تَوَقَّفَ عَنِ الْمَسِيرِ وَحَمَلَقَ إِلَى الطَّرِيقِ . وَ أَخَذَ
النَّاسُ ، وَقَدْ غَشِيَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْخَوْفِ يَتَسَاءَلُونَ عَمَّا يَدْفَعُ هَذَا الرَّجُلَ
إِلَى أَنْ يَجْرِيَ بِسُرْعَةٍ عَلَى هَذَا التَّنَحُّو .

وَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَبِأَعْلَى التَّلِّ ، نَبَحَ كَلْبٌ كَانَ يَلْهُو فِي
الطَّرِيقِ ، وَ جَرَى تَحْتَ بَوَابَةٍ . وَ بَيْنَمَا كَانَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ ، إِذَا بِشَيْءٍ



- بِرِيحٍ أَوْ يَوْقَعُ أَقْدَامُ ، أَوْ بِصَوْتٍ مِثْلَ صَوْتِ أَنْفَاسٍ قَوِيَّةٍ - يَنْدَفِعُ
مَارًّا بِهِمْ .

صَرَخَ النَّاسُ ، وَ اتَّبَعُوا عَنْ عُرْضِ الطَّرِيقِ ، وَعَلَا صُرَاخُهُمْ
عِنْدَمَا أَنْدَفَعَ هَذَا الشَّيْءُ مَارًّا بِهِمْ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ .

وَكَانُوا يَصْرُخُونَ فِي الشَّارِعِ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّكَنَ مَارْقِلُ مِنْ بُلُوغِ نِصْفِ
الطَّرِيقِ . وَأَخَذُوا جَمِيعًا يَرْكُضُونَ إِلَى دَوْرِهِمْ ، وَيُغْلِقُونَ الْأَبْوَابَ
وَرَاءَهُمْ ، وَ يَتَنَاقَلُونَ خَبْرًا وَاحِدًا . وَسَمِعَهُ مَارْقِلُ ؛ فَانْدَفَعَ إِلَى
الطَّرِيقِ . وَ سَبَقَهُ الْخَوْفُ إِلَى النَّاسِ ، وَسَرَّعَانَ مَا مَلَكَهُمْ ؛ وَلَمْ
تَمُضْ إِلَّا لَحْظَةٌ حَتَّى سَادَ الْبَلَدَةَ كُلُّهَا ، وَأَخَذَ الْجَمِيعُ يَصْرُخُونَ :
« الرَّجُلُ الْخَفِيُّ قَادِمٌ ! الرَّجُلُ الْخَفِيُّ ! »

الفصل الرابع عشر

في "جولي كريكي تارز"

"جولي كريكي تارز" فُنْدُقٌ صَغِيرٌ يَقَعُ عِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ . وَكَانَ عَامِلُ
مَطْعَمِ الْفُنْدُقِ مُسْتَنِدًّا إِلَى ذِرَاعَيْهِ الْحُمْرَاوِينَ الْمُكْتَبِزَتَيْنِ عَلَى مَبْضَدَةٍ
وَهُوَ يَتَحَدَّثُ مَعَ حَوْذِيِّ عَنِ الْجِيَادِ .

وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ ذُو لِحْيَةٍ سَوْدَاءٍ يَتَنَاوَلُ بَسْكَوِيَّتًا وَ جُبْنًا وَهُوَ
يَتَحَدَّثُ إِلَى شُرْطِيٍّ يُلْكِنُهُ أَمْرِيكِيَّةً .

قَالَ الْحَوْذِيُّ مُحَاوِلًا النَّظَرَ إِلَى مَا وَرَاءَ التَّلِّ مِنْ خَلْفِ السَّتَائِرِ
الْصَّفْرَاءِ الْمُسَيَّحَةِ الْمُسْدَلَةِ عَلَى نَافِذَةِ الْفُنْدُقِ : « لِمَ هَذَا الصِّيَاخُ ؟ »
وَمَرَّ أَحَدُهُمْ خَارِجَ الْفُنْدُقِ مُسْرِعًا .

قَالَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ : « لَعَلَّهُ حَرِيقٌ . »

وَفُتِحَ الْبَابُ بِدَفْعَةٍ قَوِيَّةٍ ، وَدَخَلَ مَارْقِلُ مُنْدَفِعًا ، وَهُوَ يَبْكِي ، بِدُونِ

قُبْعَةٍ ، وَقَدْ تَمَزَّقَتْ يَاقَتُهُ سُرَّتِيهِ . وَحَاوَلَ أَنْ يُغْلِقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ ، وَكَانَ
بِصَفِّ مَفْتُوحٍ ، وَمَرْبُوطًا بِشَرِيطٍ .

وَصَاحَ بِصَوْتٍ مُتَقَطِّعٍ مِنْ شِدَّةِ الرَّعْبِ : « قَادِمٌ ! إِنَّهُ قَادِمٌ ! الرَّجُلُ
الْخَفِيُّ وَرَائِي ! بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنْقِذُونِي ! النَّجْدَةُ ! النَّجْدَةُ ! »

قَالَ الشَّرْطِيُّ : « أَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ . مَنْ هُوَ هَذَا الْقَادِمُ ؟
مَا الْخَبِيرُ ؟ »

وَمَشَى إِلَى الْبَابِ ، وَفَكَ الشَّرِيطَ ، فَانْصَفَقَ الْبَابُ ، وَاعْلَقَ
الرَّجُلُ الْمُلْتَحِي الْبَابَ الثَّانِي .

قَالَ مَارْقِلُ بَاكِيًا : « دَعُونِي أَخْتَبِي ! أَغْلِقُوا عَلَيَّ فِي أَيِّ مَكَانٍ . أُؤَكِّدُ
لَكُمْ أَنَّهُ يَتَعَقَّبُنِي ، وَقَدْ هَرَبْتُ مِنْهُ وَقَالَ إِنَّهُ سَيَقْتُلُنِي ، وَسَيَفْعَلُ . »
قَالَ لَهُ الرَّجُلُ ذُو اللَّحْيَةِ السُّودَاءِ : « إِنَّكَ الْآنَ فِي أَمَانٍ ، وَالْبَابُ
مُغْلَقٌ كَمَا تَرَى . . وَلَكِنْ لِمَ كُلُّ هَذَا ؟ »

قَالَ مَارْقِلُ : « خَبِّئُونِي ! » ثُمَّ أَطْلَقَ صَرْخَةً مُدَوِّيَّةً حِينَ رَعَزَعَتْ
فَجَاءَ خَبْطَةٌ قَوِيَّةُ الْبَابِ الْمُغْلَقِ . وَأَعْقَبَتِ الْخَبْطَةُ طَرَفَاتٍ مُتَابِعَةً
وَزَعِيقَ خَارِجِ الْبَابِ .

صَاحَ الشَّرْطِيُّ : « مَنْ هُنَاكَ ؟ »

وَصَرَخَ مَارْقِلُ : « إِنَّهُ سَيَقْتُلُنِي . . . إِنْ مَعَهُ مَدْيَةٌ أَوْ مَا أَشْبَهَ .
لَا تَفْتَحُوا الْبَابَ . . . أَرْجُوكُمْ أَلَّا تَفْتَحُوا الْبَابَ . . آيْنَ أَخْتَبِي ؟ »
تَسَاءَلَ ذُو اللَّحْيَةِ السُّودَاءِ وَإِخْدَى يَدَيْهِ وَرَاءَهُ : « أَهَذَا هُوَ إِذَا
الرَّجُلُ الْخَفِيُّ ؟ أَظُنُّ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِكَيِّ نَرَاهُ . »

وَفَجْأَةً تَهَشَّمَتْ نَافِذَةُ الْفُنْدُقِ ، وَتَعَالَتْ الصَّرَخَاتُ ، وَرَاحَ النَّاسُ
يَجْرُونَ فِي الشَّارِعِ . وَاعْتَلَى الشَّرْطِيُّ مَقْعَدًا ، وَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ النَّافِذَةِ
مُحَاوِلًا أَنْ يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ الَّذِي يَطْرُقُ الْبَابَ . ثُمَّ نَزَلَ مِنْ فَوْقِ الْمَقْعَدِ
وَقَالَ : « إِنَّهُ ذَلِكَ الَّذِي تَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ . »

وَوَقَفَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ أَمَامَ بَابِ الرِّدْهَةِ الَّتِي كَانَ السَّيِّدُ مَارْقِلُ
مُخْتَبِئًا فِيهَا ، وَرَاحَ يُحَدِّثُ إِلَى النَّافِذَةِ الْمُهَشَّمَةِ ، ثُمَّ أَتَتْهُ نَاجِيَةُ الرَّجُلَيْنِ
الْآخَرَيْنِ .

وَفَجْأَةً سَادَ السُّكُونُ الْمَكَانَ ، فَقَالَ الشَّرْطِيُّ : « أَتَمَتِ لَوْ أَنَّ
عَصَايَ مَعِي ! فَإِذَا فَتَحْنَا الْبَابَ دَخَلَ ، وَلَنْ يَمْنَعَهُ شَيْءٌ . »
قَالَ الْحُوذِيُّ بِبَيْرَةٍ قَلْبِي : « لَا تَتَعَجَّلْ فَتَحِ الْبَابَ . »

قَالَ ذُو اللَّحْيَةِ السُّودَاءُ : « افْتَحُوا الْبَابَ ، فَإِذَا دَخَلَ ... »
وَأَبْرَزَ يَدَهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ مُمَسِّكَةً بِمُسَدَّسٍ .

قَالَ الشَّرْطِيُّ : « هَذَا لَا يَجُوزُ . تِلْكَ جَرِيمَةٌ قَتْلٍ . »

رَدَّ ذُو اللَّحْيَةِ : « إِنِّي أَعْرِفُ قَانُونَ هَذِهِ الْبِلَادِ . سَأُطْلِقُ النَّارَ عَلَى
سَاقِيهِ . افْتَحِ الْبَابَ . »

أَجَابَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ : « كَيْفَ أَفْتَحُهُ وَ الْمُسَدَّسُ وَرَاءَ
ظَهْرِي ؟ »

قَالَ الرَّجُلُ ذُو اللَّحْيَةِ السُّودَاءُ : « سَرَى ! » ثُمَّ تَقَدَّمَ وَ مُسَدَّسُهُ
مُعَدٌّ فِي يَدِهِ ، وَ فَتَحَ بِنَفْسِهِ قُفْلَ الْبَابِ ، وَ أَخَذَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ وَالْحَوَظِيُّ
وَ الشَّرْطِيُّ يَتَلَفَّتُونَ حَوْلَهُمْ .

قَالَ ذُو اللَّحْيَةِ السُّودَاءُ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ ، وَقَدْ آرَتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ ،
وَوَقَفَ مُوَاجِهًا الْبَابَ ، وَ مُسَدَّسُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ : « ادْخُلْ ! » وَلَكِنْ أَحَدًا
لَمْ يَدْخُلْ ، وَ ظَلَّ الْبَابُ مُغْلَقًا .

انْقَضَتْ خَمْسُ دَقَائِقَ دُونَ أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ ، فَسَأَلَ مَارْزِلُ : « هَلْ
كُلُّ أَبْوَابِ الْفُنْدُقِ مُغْلَقَةٌ ؟ إِنَّهُ يَمُرُّ آلَانٌ بِالْأَبْوَابِ الْخَلْفِيَّةِ . »

قَالَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ : « هُنَاكَ بَابُ الْفِنَاءِ ، وَ الْبَابُ الْخَاصُّ .
وَبَابُ الْفِنَاءِ ... » وَ انْطَلَقَ يَجْرِي مُغَادِرًا الْمَكَانَ .
وَ عَادَ بَعْدَ دَقِيقَةٍ وَ فِي يَدِهِ سِكِّينٌ حَادَّةٌ طَوِيلَةٌ ، وَقَالَ : « كَانَ بَابُ
الْفِنَاءِ مَفْتُوحًا . »

عَقَّبَ الْحَوَظِيُّ قَائِلًا : « لَعَلَّهُ آلَانٌ دَاخِلُ الْفُنْدُقِ . »

أَعَادَ ذُو اللَّحْيَةِ السُّودَاءُ مُسَدَّسَهُ إِلَى جَنِبِهِ ، وَ فِيهَا هُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ
أَنْكَسَرَ قُفْلُ الْبَابِ ، وَ انْدَفَعَ شَيْءٌ بِجَوَارِهِمْ وَ تَجَاوَزَهُمْ ، وَ فَتِحَ بَابُ الرَّدْهَةِ
بِعُنْفٍ . وَ تَنَاهَتْ إِلَى أَسْمَاعِهِمْ صَرْخَةٌ أَطْلَقَهَا مَارْزِلُ ، فَحَقُّوا إِلَى
نَجْدَتِهِ . وَ أَطْلَقَ ذُو اللَّحْيَةِ مُسَدَّسَهُ ، وَ تَهَشَّمَتِ الْمِرْأَةُ الَّتِي تَتَصَدَّرُ



الرَّذْمَةَ ، وَتَنَازَرَتْ شَطَايَاهَا عَلَى الْأَرْضِ .

وَعِنْدَمَا دَخَلَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ إِلَى الْغُرْفَةِ رَأَى مَارِئِلَ يُقَاوِمُ عِنْدَ
الْبَابِ الْمُقْضِي إِلَى الْفِنَاءِ وَالْمَطْبَخِ . ثُمَّ رَأَى الْبَابَ يُفْتَحُ عَلَى
مِصْرَاعَيْهِ ، وَرَأَى مَارِئِلَ يُجْرُ عَلَى الْأَرْضِ إِلَى الْمَطْبَخِ .

كَانَ الشَّرْطِيُّ يُحَاوِلُ أَنْ يَتَخَطَّى عَامِلَ الْمَطْعَمِ ، فَلَمَّا تَسَنَّى لَهُ
ذَلِكَ ؛ أُنْذِفَ مُسْرِعًا وَالْحُوذِيُّ وَرَاءَهُ ، وَقَبِضَ عَلَى يَدِ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ
الَّتِي تُمْسِكُ بِمَارِئِلَ ، وَلَكِنَّهُ تَلَقَّى لَكْمَةً فِي وَجْهِهِ طَرَحَتْهُ أَرْضًا .
وَعِنْدَئِذٍ اسْتَطَاعَ الْحُوذِيُّ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى شَيْءٍ وَصَاحَ : « لَقَدْ
أَمْسَكْتُهُ . »

قَالَ عَامِلُ الْمَطْعَمِ : « هَا هُوَ ذَا ! »

وَسَقَطَ السَّيِّدُ مَارِئِلَ فَجَاءَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَحَاوَلَ أَنْ يَزْحَفَ خَلْفَ
الرَّجُلِ الْمُتَقَاتِلِينَ . وَاسْتَمَرَ الْقِتَالُ مَرَّةً بِجَوَارِ الْبَابِ وَمَرَّةً أُخْرَى بَعِيدًا
عَنْهُ . وَسُمِعَ صَوْتُ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ حِينَ دَاسَ الشَّرْطِيُّ عَلَى
قَدَمِهِ ، فَصَرَخَ مُتَأَلِّمًا ، ثُمَّ أَنْهَالَتْ لَكَمَاتُهُ فِي كُلِّ أُنْجَاهٍ . وَصَرَخَ الْحُوذِيُّ
فَجَاءَهُ ، وَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ أَصَابَتْ مَعِدَتَهُ رَكْلَةٌ . وَأَنْصَفَقَ بَابُ

الْمَطْبَخِ بَعْدَ أَنْ تَسَلَّلَ مِنْهُ السَّيِّدُ مَارِئِلَ . وَأَلْقَى الرُّجَالُ الَّذِينَ فِي
الْمَطْبَخِ أَنْفُسَهُمْ يُقَاتِلُونَ الْهَوَاءَ .

وَصَاحَ الرَّجُلُ ذُو اللَّحْيَةِ : « أَيْنَ ذَهَبَ ؟ هَلْ خَرَجَ ؟ »
أَجَابَ الشَّرْطِيُّ وَهُوَ يَمْضِي إِلَى الْفِنَاءِ مُسْرِعًا ، ثُمَّ يَتَوَقَّفُ : « مِنْ
هَذَا الطَّرِيقِ . »

وَرَأَى حَجْرًا يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ ، وَيَمُرُّ بِمُحَاذَةِ رَأْسِهِ ، ثُمَّ يَسْقُطُ
فَوْقَ مِنْضِدَةِ الْمَطْبَخِ .

صَاحَ ذُو اللَّحْيَةِ : « سَأْرِيهِ . » وَأَطْلَقَ خَمْسَ رَصَاصَاتٍ مُتتَالِيَةٍ فِي
الْأُنْجَاهِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ الْحَجَرُ .

وَكَانَ يُطْلِقُ النَّارَ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ حَتَّى تَغْطِيَ كُلَّ أُنْجَاهِ
الْفِنَاءِ الصَّغِيرِ الضَّيِّقِ .

وَأَعْقَبَ ذَلِكَ سُكُونٌ ، ثُمَّ قَالَ : « هَيَّا بِنَا نَتَلَمَسُ جُثَّتَهُ . »

الفصل الخامس عشر زائر الدكتور كيمب

كَانَ الدُّكْتُورُ كِمْبُ جَالِسًا إِلَى مَكْتَبِهِ ، مُنْهَمِكًا فِي الْكِتَابَةِ ، حِينَ سَمِعَ دَوِيَّ الطَّلَقَاتِ النَّارِيَّةِ الْمُتَابِعَةِ .

وَوَضَعَ الْقَلَمَ فِي فَمِهِ قَائِلًا : « مَا هَذَا ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يُطْلِقُ النَّارَ فِي بَرْدُوك ؟ تُرَى مَا الَّذِي يَجْرِي آلَانَ ؟ »

وَمَضَى إِلَى النَّافِذَةِ الْمُطْلِقَةِ عَلَى النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَفَتَحَهَا وَأَطْلَعَ بِرَأْسِهِ مِنْهَا ، وَحَدَقَ فِي آتِجَاهِ الْقَرْيَةِ ، وَقَالَ : « يَبْدُو أَنَّ ثَمَّةَ حَشْدًا مِنَ النَّاسِ عِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ بِالقُرْبِ مِنْ فُنْدُقِ " الكريكتارز " ، ثُمَّ أَخَذَتْ عَيْنَاهُ تَجُولَانِ بِأَرْجَاءِ الْقَرْيَةِ حَتَّى اسْتَقَرَّتَا عَلَى الْأَصْوَاءِ الْمُسْبِغَةِ مِنَ السُّفُنِ الرَّاسِيَةِ بَعِيدًا . وَكَانَ الْقَمَرُ لَا يَزَالُ هِلَالًا يُطِلُّ عَلَى التَّلِّ نَاحِيَةَ الْغَرْبِ ، وَ النُّجُومُ مُضِيئَةٌ مُتَلَائِفَةٌ .

وَبَعْدَ خَمْسِ دَقَائِقَ أَغْلَقَ الدُّكْتُورُ كِمْبُ النَّافِذَةَ ، وَعَادَ إِلَى

مَكْتَبِهِ . وَبَعْدَ قُرَابَةِ السَّاعَةِ دُقَّ جَرَسُ الْبَابِ الْأَمَامِيِّ ، وَلَبِثَ فِي مَكَانِهِ مُنْصِتًا ، ثُمَّ سَمِعَ وَقَعَ خُطَوَاتِ الْخَادِمَةِ وَهِيَ تَتَجَهُّ إِلَى الْبَابِ ، وَتَوَقَّعَ أَنَّ يَسْمَعَ خُطَاَهَا وَهِيَ تَرْتَقِي الدَّرَجَ فِي طَرِيقِهَا إِلَيْهِ ، يَبْدُ أَنَّهَا لَمْ تَحْضُرْ .

قَالَ الدُّكْتُورُ كِمْبُ : « إِنِّي لِأَعْجَبُ ! مَنْ كَانَ هَذَا ؟ ! »

وَحَاوَلَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ عَمَلَهُ ، وَلَكِنَّهُ أَخْفَقَ ، فَزَابِلَ مَقْعَدَهُ ، وَنَزَلَ مِنْ حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ ، وَدَقَّ الْجَرَسَ ، وَنَادَى الْخَادِمَةَ حِينَ رَأَاهَا تَجْتَازُ الْبَهْوَ .

سَأَلَهَا : « مَنْ كَانَ ذَلِكَ الطَّارِقُ ؟ أ هُوَ مُورَّعُ الْبَرِيدِ يَحْمِلُ إِلَيَّ خِطَابًا ؟ »

أَجَابَتْ : « كَلَّا يَا سَيِّدِي . لَقَدْ دُقَّ الْجَرَسُ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا . »

رَجَعَ الدُّكْتُورُ كِمْبُ إِلَى حُجْرَةِ مَكْتَبِهِ ، وَهُوَ يَرْدُدُ فِي نَفْسِهِ : « إِنَّهُ لِأَمْرٍ عَجِيبٍ يُبِيرُ قَلْبِي ! »

وَمَا إِنْ أَنْقَضَتْ لَحَظَاتٌ حَتَّى كَانَ مُسْتَعْرِقًا فِي عَمَلِهِ ، وَكَانَ

السُّكُونُ يَشْمَلُ الْحُجْرَةَ فِيهَا عِدَا دَقَاتِ السَّاعَةِ الرَّتِيَّةِ ، وَصَرِيرَ الْقَلَمِ
وَهُوَ يَجْرِي عَلَى الْوَرَقِ .

وَبَلَغَتِ السَّاعَةُ الثَّانِيَةَ بَعْدَ مُتَنَصِّفِ اللَّيْلِ قَبْلَ أَنْ يَفْرَغَ الدُّكْتُورُ
كِمْبَ مِنْ عَمَلِهِ ، فَهَضَّ وَارْتَقَى الدَّرَجَ صَاعِدًا إِلَى مِخْدَعِهِ . وَبَعْدَ أَنْ
خَلَعَ سُرَّتَهُ وَقَمِيصَهُ أَحْسَ بِالْعَطَشِ ، فَأَخَذَ شَمْعَةً وَنَزَلَ إِلَى قَاعَةِ
الطَّعَامِ طَلَبًا لِلْمَاءِ .

وَكَانَ الْعَمَلُ الْعِلْمِيُّ الَّذِي يُمَارِسُهُ الدُّكْتُورُ كِمْبَ قَدْ جَعَلَهُ رَجُلًا
دَقِيقًا قَوِيَّ الْمُلَاحَظَةِ ، فَرَأَى - وَهُوَ يَعْبُرُ الْبَهْوَ - بُقْعَةً دَاكِئَةً عَلَى
الْأَرْضِ بِجَوَارِ السَّلَمِ .

وَصَعِدَ الدَّرَجَ مُتَمَهِّلًا ، وَفَجْأَةً أَخَذَ يَتَسَاءَلُ عَنْ مَا هِيَ هَذِهِ الْبُقْعَةُ
الذَّاكِئَةُ . وَعَادَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْبَهْوِ ، وَأَنْحَنَى فَوْقَ الْبُقْعَةِ وَلَمَسَهَا ،
وَأَدْرَكَ أَنَّ لَهَا كَثَافَةً الدَّمِ الْمَتَجَمِّدِ وَلَوْنَهُ .

وَعَادَ وَصَعِدَ السَّلَمَ وَهُوَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ وَيَفْكُرُ فِي بُقْعَةِ الدَّمِ . وَفَجْأَةً
رَأَى شَيْئًا جَعَلَهُ يَتَوَقَّفُ عَنِ السَّيْرِ ؛ فَقَدْ رَأَى دَمًا عَلَى مِقْبَضِ الْبَابِ .

وَنَظَرَ إِلَى يَدِهِ ، فَوَجَدَهَا نَظِيفَةً ، وَ عِنْدَمَا نَزَلَ مِنْ مَكْتَبِهِ تَذَكَّرَ أَنَّ

بَابَ حُجْرَتِهِ كَانَ مَفْتُوحًا ، وَأَنَّهُ لَمْ يَلْمَسِ الْمِقْبَضَ قَطُّ . وَمَضَى إِلَى
مِخْدَعِهِ ، وَمَلَامَحُ وَجْهِهِ هَادِئَةٌ ، وَإِنْ كَانَ أَشَدَّ عَزْمًا وَتَضَمُّيًا مِنْ
عَادَتِهِ الْمَالُوفَةِ . وَ تَطَلَّعَ إِلَى الْفِرَاشِ ، فَإِذَا بِبِرْكَةِ دَمٍ تَتَوَسَّطُهُ ،
وَمُلَاعَةُ السَّرِيرِ مُمَرَّقَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ لَاحَظَ هَذَا وَهُوَ فِي الْحُجْرَةِ مِنْ
قَبْلُ . أَمَّا النَّاحِيَةُ الْأُخْرَى مِنَ الْفِرَاشِ فَقَدْ بَدَتْ وَكَانَتْ ثَمَّةَ شَخْصًا يَرْقُدُ
عَلَيْهَا .

عِنْدَئِذٍ خَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتًا خَافِتًا يَقُولُ : « يَا إِلَهِي ! أَهَذَا
أَنْتَ يَا كِمْبَ ؟ » بَيِّدَ أَنْ كِمْبَ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُؤْمِنُونَ بِالْأَصْوَاتِ
الْخَفِيَّةِ .

لَيْتَ كِمْبَ مَكَانَهُ يُحَدِّقُ فِي الْفِرَاشِ . أَمَا كَانَ هَذَا حَقًّا صَوْتًا ؟ وَأَدَارَ
بَصَرَهُ فِيهَا حَوْلَهُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ شَيْئًا . بَيِّدَ أَنَّهُ سَمِعَ
بُوضُوحٍ شَيْئًا يَتَحَرَّكُ عَبْرَ الْحُجْرَةِ ، وَدَاخِلَهُ شُعُورٌ غَرِيبٌ ، فَاسْرَعَ
وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَوَقَفَ أَمَامَهُ . وَفَجْأَةً أَبْصَرَ ضِمَادَةً مُلَوَّنَةً بِالدَّمِ ، مُعَلَّقَةً
فِي الْهَوَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفِرَاشِ .

وَنَظَرَ إِلَيْهَا بِدَهْشَةٍ ، وَكَانَتْ ضِمَادَةً فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا ، وَكَانَتْ
مَعْقُودَةً بِطَرِيقَةٍ صَحِيحَةٍ ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ خَاوِيَةً . وَهُمْ بِأَنْ يُمَسِّكَهَا ،

وَلَكِنَّ لَمَسَةَ يَدِ أَوْفَقَتَهُ مَكَانَهُ ، وَسَمِعَ صَوْتًا عَلَى مَقَرَّتِهِ مِنْهُ ، يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ .

قَالَ الصَّوْتُ : « كَيْمَب ! »

فَقَالَ كَيْمَبُ وَقَدْ فَتَحَ فَمَهُ مِنْ فَرَطِ دَهْشَتِهِ : « آه ! »

قَالَ الصَّوْتُ : « إِنِّي رَجُلٌ خَفِيٌّ . »

لَيْتَ كَيْمَبُ بَرْهَةً مُطِيقًا فَمَهُ لَا يَتَكَلَّمُ ، وَإِنَّمَا يُحَدِّقُ إِلَى الضَّمَادَةِ ، ثُمَّ قَالَ مُتَسَائِلًا : « الرَّجُلُ الْخَفِيُّ ١٩ ؟ »

وَكُرِّرَ الصَّوْتُ : « نَعَمْ ، إِنِّي رَجُلٌ خَفِيٌّ . »

قَالَ كَيْمَبُ : « حَسِبْتُ الْأَمْرَ أَكْذُوبَةً . » وَتَسَاءَلَ : « هَلْ تَضَعُ ضِمَادَةً ؟ »

أَجَابَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « نَعَمْ . »

عَقَّبَ كَيْمَبُ بِقَوْلِهِ : « فَهَمْتُ ! » ثُمَّ أَرْدَفَ : « أَلَيْسَ هَذَا هُرَاءً ؟ لَا بُدَّ أَنْ فِي الْأَمْرِ خُدْعَةٌ . » وَخَطَا إِلَى الْأَمَامِ فَجَاءَهُ ، وَمَدَّ يَدَهُ فِي أَنْجَاهِ الضَّمَادَةِ ، فَاصْطَلَمَتْ بِأَصَابِعِ خَفِيَّةٍ .

« إِهْدَا يَا كَيْمَبُ ! سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَهْدَا ! إِنِّي فِي مَسِيرِ الْحَاجَةِ إِلَى

السُّعَادَةِ ! كُفَّ عَنْ هَذَا . »

وَأَطْبَقَتْ عَلَى ذِرَاعِ كَيْمَبِ يَدٌ خَفِيَّةٌ ، وَتَشَبَّثَتْ بِهَا ، وَصَاحَ الصَّوْتُ : « كَيْمَبُ ! تَمَاسُكَ وَاهْدَا ! »

وَعَمَلَتْ كَيْمَبُ رَغْبَةً فِي أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ الْيَدِ الَّتِي تَقْبِضُ عَلَى ذِرَاعِهِ ، وَلَكِنَّ الْيَدَ الْخَفِيَّةَ تَشَبَّثَتْ بِكَفِّهِ ، وَفَجْأَةً دَفَعَ إِلَى الْخَلْفِ دَفْعَةً قَوِيَّةً فَوَقَعَ عَلَى الْفِرَاشِ ، وَفَتَحَ فَمَهُ لِيُطْلِقَ صَرْخَةً ، وَلَكِنَّ قَبْلَ أَنْ تَنْطَلِقَ الصَّرخَةُ حُشِرَ طَرَفُ الْمَلَأَةِ بَيْنَ أَسْنَانِهِ ، فَعَجَزَ عَنِ الصَّيَاحِ . وَكَانَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ مُمَسِّكًا بِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ ذِرَاعَاهُ طَلِيقَتَيْنِ ؛ فَحَاوَلَ أَنْ يَضْرِبَ وَ يَرْكُلَ بِعُنْفٍ .

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « أَضْعِ إِلَى صَوْتِ الْعَقْلِ يَا رَجُلُ ! سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَتَعَقَلَ . إِنَّكَ بِهَذَا سَتَجْعَلُنِي أُجْنُ ! كُفَّ عَنِ الْمُقَاوَمَةِ ، وَارْقُدْ هَادِنًا ! قُلْتُ لَكَ أَرْقُدْ هَادِنًا ! »

مَضَى كَيْمَبُ يُقَاوِمُ لِحِظَّةٍ أُخْرَى ، ثُمَّ هَذَا وَسَكَنَ .

قَالَ : « دَعْنِي أَنْهَضُ ، وَسَاطِلُ مَكَانِي لَا أَغَادِرُهُ . أَتَرَكْنِي أَجْلِسُ هَادِنًا دَقِيقَةً . »

وَأَعْتَدَلْ جَالِسًا ، وَتَحَسَّسْ عُقَّةُ .

إِنِّي مُجَرَّدُ شَخْصٍ عَادِيٍّ - شَخْصٍ كُنْتُ تَعْرِفُهُ ، ثُمَّ أَصْبَحَ خَفِيًّا . هَلْ تَذْكُرُ غَرِيفِينَ ؟

تَسْأَلُ كِمْبُ : « غَرِيفِينَ ؟ »

أَجَابَ الصَّوْتُ : « نَعَمْ ، غَرِيفِينَ . . . الطَّالِبُ الَّذِي كَانَ أَصْغَرَ مِنْكَ سِنًا . »

« وَلَكِنْ مَا عَلاَقَةُ هَذَا بِغَرِيفِينَ ؟ »

« إِنِّي أَنَا غَرِيفِينَ . »

فَكَرَّرَ كِمْبُ ثُمَّ قَالَ : « هَذِهِ صَدَمَةٌ غَنِيْفَةٌ ، وَلَكِنْ أَيُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الشَّيْطَانِ يُحَوِّلُ الْمَرْءَ إِلَى رَجُلٍ خَفِيٍّ ؟ ! »

« لَيْسَ هَذَا مِنْ أَعْمَالِ الشَّيْطَانِ . إِنَّهُ عَمَلٌ شَرِيفٌ وَبَسِيطٌ لِلْغَايَةِ . »

« إِنَّهُ عَمَلٌ زَهِيْبٌ ! كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ . . . ؟ »

قَاطَعَهُ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ بِقَوْلِهِ : « إِنِّي جَرِيحٌ وَآتَالَمُ وَمَنْهُوْكَ الْقَوَى . كِمْبُ ! إِنَّكَ إِنْسَانٌ . وَأَرْجُوكَ أَنْ تَهْدَأَ ، وَتَقْدِّمَ لِي طَعَامًا

وَشَرَابًا ، وَتَتَرَكْنِي أَجْلِسُ هُنَا . »

وَأَخَذَ كِمْبُ يُحَدِّقُ إِلَى الضَّمَامَةِ وَهِيَ تَتَحَرَّكُ فِي الْحُجْرَةِ ، ثُمَّ رَأَى مَقْعَدًا يَنْزِلُقُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَسْتَقِرُّ بِجَوَارِ الْفِرَاشِ . وَسَمِعَ صَرِيرَةً ، وَشَاهَدَهُ يَنْخَفِضُ قَلِيلًا كَأَنَّمَا جَلَسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . فَفَرَكَ عَيْنَيْهِ ، وَتَحَسَّسَ عُقَّةَ مَرَّةً أُخْرَى ، وَقَالَ وَهُوَ يَضْحَكُ ضِحْكَةً بِلَهَاءٍ : « هَذَا يَفُوقُ مَا تَفْعَلُهُ الْأَشْبَاحُ . »

« حَمْدًا لِلَّهِ . إِنَّكَ آلَانَ تَبْدُو أَكْثَرَ تَعَقُّلاً ! »

قَالَ كِمْبُ وَهُوَ يَفْرُكُ عَيْنَيْهِ : « أَوْ أَكْثَرَ غَبَاءً . »

« أَعْطِنِي كَوْبًا مِنْ عَصِيرِ اللَّيْمُونِ ، فَالْعَطَشُ يَكَادُ يَقْتُلُنِي . »

« وَلَكِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ هَبْنِي قُمْتُ وَمَشَيْتُ ، فَهَلْ أَصْطَلِمُ بِكَ ؟ هَلْ أَنْتَ هُنَاكَ ؟ فَلْيَكُنْ . . . أَتُرِيدُ كَوْبًا مِنْ عَصِيرِ اللَّيْمُونِ ؟ وَلَكِنْ أَيْنَ أَقْدَمُهُ لَكَ ؟ »

أَخَسَّ كِمْبُ بِالْكُوبِ يُنْتَرِعُ مِنْ يَدِهِ ، فَأَقْلَبَتْهُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، وَتَرَكَهُ يَسْبِغُ فِي الْهَوَاءِ وَيَسْتَقِرُّ عَلَى مَسَافَةٍ نِصْفِ مِثْرٍ مِنَ الْمَقْعَدِ ، فَأَخَذَ يُحَدِّقُ إِلَيْهِ قَائِلًا : « إِنِّي لَا أَصَدِّقُ هَذَا ! أَتُرَانِي جُنُنْتُ ؟ » قَالَ الصَّوْتُ : « هُرَاءُ ! أَصْغِرْ إِلَيَّ ! إِنِّي جَائِعٌ ، وَالْجَوْ شَدِيدٌ

الْبُرُودَةَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى رَجُلٍ مُجَرَّدٍ مِنَ الثِّيَابِ .

قَالَ كَيْمَبُ : « أَ تُرِيدُ طَعَامًا ؟ »

أَفْرَغَ كُوبُ الْلَّيْمُونِ نَفْسَهُ ، وَقَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ وَهُوَ يَضَعُهُ عَلَى الْمِنْضَدَةِ : « أَيْمُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي شَيْئًا أُرْتَدِيهِ ؟ »

وَجَاءَهُ كَيْمَبُ بِبَعْضِ الثِّيَابِ وَ سَأَلَهُ : « أَ تُنَاسِبُكَ هَذِهِ ؟ »

وَأَخَذَتِ الْمَلَاسِيسُ مِنْ يَدِهِ ، وَلَبِثَتْ مُعَلَّقَةً فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ زُرُرَتْ وَاسْتَقَرَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ جَالِسَةً عَلَى الْمَقْعَدِ .

قَالَ كَيْمَبُ : « هَذَا شَيْءٌ يَفْقِدُ الْمَرْءَ عَقْلَهُ ، وَلَمْ أَرْ لَهُ مِثْلًا فِي حَيَاتِي . »

« إِلَيَّ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ . »

مَضَى كَيْمَبُ إِلَى الْمَطْبَخِ وَ عَادَ بِبَعْضِ الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ ، وَوَضَعَهُمَا عَلَى الْمِنْضَدَةِ أَمَامَ ضَيْفِهِ .

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « لَا دَاعِيَ لَأَنْ تُحْضِرَ سَكِينًا ! »

وَأَرْتَفَعَتْ قِطْعَةُ لَحْمٍ وَ تَعَلَّقَتْ فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ أَخْتَفَتْ مَضْحُوبَةً

بِصَوْتِ الْمَضْغِ .

قَالَ : « إِنِّي أُحِبُّ دَائِمًا أَنْ أَكُونَ مُرْتَدِيًا ثِيَابِي وَأَنَا أَتَنَاوُلُ الطَّعَامَ . »

« هَلْ ذِرَاعُكَ سَلِيمَةٌ ؟ »

« إِنِّهَا تُولِمُنِي قَلِيلًا . »

« هَذَا أَمْرٌ يُشِيرُ إِلَى الْجُنُونِ ! »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « إِنَّهُ أَمْرٌ مَعْقُولٌ جِدًّا ! »

تَسَاءَلَ كَيْمَبُ : « لَكِنْ كَيْفَ أُصِيبْتُ ؟ لِمَ إِذَا كَانَتْ الطَّلَقَاتُ ؟ كَيْفَ

بَدَأَ إِطْلَاقُ النَّارِ ؟ »

« لَقَدْ قَابَلْتُ رَجُلًا ، وَ حَاوَلْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ يُسَاعِدُنِي . لَعَنَهُ اللَّهُ

عَلَيْهِ ! لَقَدْ حَاوَلَ أَنْ يَسْرِقَ نُقُودِي ، وَ قَدْ سَرَقَهَا فِعْلاً . »

« أ هُوَ أَيْضًا رَجُلٌ خَفِيٌّ ؟ »

« كَلَّا . »

« وَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ ؟ »

« أ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِمَزِيدٍ مِنَ الطَّعَامِ قَبْلَ أَنْ أُرَوِّيَ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ ؟ إِنِّي جَائِعٌ ، وَالْجُرْحُ يُؤْلِمُنِي ، وَأَنْتَ تُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَحْكِيَ لَكَ حِكَايَاتٍ ! »

نَهَضَ كَيْمَبُ وَاقِفًا وَ سَأَلَهُ : « وَ أَنْتَ ، هَلْ أَطْلَقْتَ النَّارَ ؟ »
أَجَابَهُ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « كَلَّا ، لَمْ أَطْلُقْ نَارًا ، وَ الَّذِي أَطْلَقَ النَّارَ رَجُلٌ أَحْمَقٌ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ بَصَرِي مِنْ قَبْلُ . وَفَزَعَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . . . فَرَعُوا مِنِّي . لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا ! قُلْتُ لَكَ أُرِيدُ مَزِيدًا مِنَ الطَّعَامِ يَا كَيْمَبُ . »

أَجَابَ كَيْمَبُ : « سَأَرَى إِنْ كَانَ فِي الطَّابَقِ السُّفْلِيِّ طَعَامٌ . وَ أَخْشَى أَلَّا يَكُونَ لَدَيَّ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا . »

وَعَادَ كَيْمَبُ بِمَزِيدٍ مِنَ الطَّعَامِ ، وَ بَعْدَ أَنْ أَكَلَهُ الضَّيْفُ طَلَبَ إِلَيْهِ كَيْمَبُ أَنْ يُحَاوَلَ النَّوْمَ .

الفصل السادس عشر

الرَّجُلُ الْخَفِيُّ يَنَامُ

رَغِمَ أَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ كَانَ جَرِيحًا مَنُهِوَكَ الْقُوَى ، إِلَّا أَنَّهُ ابْنُ أَنْ يَطْلُمَيْنَ إِلَى وَعْدِ كَيْمَبَ بِأَنَّهُ لَنْ يُحَاوَلَ أَحَدُ الْقَبْضِ عَلَيْهِ . فَفَحَصَ نَافِذَتَي حُجْرَةِ النَّوْمِ ، وَأَزَاحَ السَّائِرَ وَفَتَحَ النَّافِذَتَيْنِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْرُبَ عَنْ طَرِيقَيْهَا كَمَا قَالَ لَهُ كَيْمَبُ . وَ كَانَ اللَّيْلُ خَارِجَ الْمَنْزِلِ سَاكِئًا لِلْغَايَةِ ، وَ كَانَ الْقَمَرُ يَتَهَيَّأُ لِأَنْ يَتَوَارَى وَرَاءَ الْتَلٍّ . ثُمَّ فَحَصَ مِفْتَاحَ بَابِ حُجْرَةِ النَّوْمِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ رِضَاهُ التَّامَّ ، وَوَقَفَ بِجَانِبِ الْمِدْفَأَةِ ، وَنَدَّتْ عَنْ صَدْرِهِ تَنْهِيدَةٌ تُوْحِي بِالْكَسَلِ وَالرَّغْبَةِ فِي النَّوْمِ .

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « يُؤَسِّفُنِي أَلَّا أَسْتَطِيعَ أَنْ أَخْبِرَكَ بِمَا فَعَلْتُهُ اللَّيْلَةَ . إِنِّي مُرْهَقٌ ، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ ضَرْبٌ مِنَ الْحِمَاقَةِ دُونَ رَيْبٍ . إِنَّهُ لَأَمْرٌ فَظِيعٌ ! وَلَكِنْ صَدَّقَنِي يَا كَيْمَبُ ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ ، رَغِمَ حُجَجُكَ ، مُمَكِّنَةٌ . . . لَقَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى اكْتِشَافِ هَامٍّ ، وَفَصَدْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ سِرًّا ،

وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ ؛ إِذْ لَا بُدَّ لِي مِنْ مُسَاعِدَةٍ . وَأَنْتَ ... إِنَّا نَسْتَطِيعُ
مَعًا أَنْ نَفْعَلَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْعَظِيمَةِ ... وَلَكِنْ إِلَى الْغَدِ . وَالْآنَ
يَا كِمْبُ يَجِبُ أَنْ أَنَامَ وَ إِلَّا فَسَامُوتُ . »

الفصل السابع عشر كَيْفَ تَصْبِحُ خَفِيًّا ؟

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الْتَالِي تَنَاهَتْ إِلَى سَمْعِ كِمْبُ جَلْبَةٌ عَالِيَةٌ ؛ فَمَضَى
لِيُوقِظَ ضَيْفَهُ .

سَأَلَ كِمْبُ حِينَ سَمَحَ لَهُ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ بِالْدُّخُولِ : « مَا
الْخَبَرُ ؟ »

وَكَانَ الْجَوَابُ : « لَا شَيْءَ . »

قَالَ كِمْبُ : « وَلَكِنَّهَا ضَعْفٌ شَدِيدٌ . »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « كُنْتُ غَاضِبًا . وَقَدْ نَسِيتُ ذِرَاعِي ،
وَهَامَيْتُ ذِي تُؤْلِمُنِي . »

سَأَلَهُ كِمْبُ : « أَمْ مِنْ عَادَتِكَ أَنْ تَتَوَرَّعَ غَضَبًا ؟ »

« هَذَا صَحِيحٌ . »

« إِنَّ قِصَّتَكَ مَنْشُورَةٌ بِأَكْمَلِهَا فِي الصُّحُفِ . »

وَأَخَذَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ يَسْبُ وَ يَلْعَنُ .

قَالَ كِمْبُ : « تَعَالَ وَ تَنَاوَلْ فَطُورَكَ . وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ نَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ
آخَرَ ، يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ عَنْكَ الْمَزِيدَ . » وَكَانَ قَدْ اسْتَوَى جَالِسًا ، وَعَلَى
وَجْهِهِ سِمَاتُ الْجَدِّ وَ الْاهْتِمَامِ .

قَالَ غَرِيفِينَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « إِنَّ الْأَمْرَ فِي غَايَةِ الْبَسَاطَةِ . »
صَحَّحَكَ كِمْبُ وَ قَالَ : « إِنَّ الْأَمْرَ بِلاَ شَكٍّ بَسِيطٌ لِلْغَايَةِ بِالنِّسْبَةِ
إِلَيْكَ ، وَ لَكِنْ ... »

« نَعَمْ ، لَقَدْ بَدَأَ الْأَمْرُ لِي فِي الْبِدَايَةِ عَجِيبًا بِلاَ شَكٍّ . وَلَكِنَّا سَوْفَ
نَقُومُ بِأَعْمَالٍ عَظِيمَةٍ يَا صَدِيقِي ! لَقَدْ اكْتَشَفْتُ السِّرَّ بِادِيَّ ذِي بَدْءٍ وَ أَنَا
فِي كُلِّيَّةٍ شِيرْلُستو . »

« شِيرْلُستو ؟ »

« نَعَمْ ، فَبَعْدَ أَنْ غَادَرْتُ لَنْدُنَ اتَّحَقَّقْتُ بِكُلِّيَّةٍ شِيرْلُستو . وَ أَنْتَ
تَعْرِفُ أَنَّي كُنْتُ دَائِمًا شَدِيدَ الْاهْتِمَامِ بِالضُّوءِ . »

« بِالضَّبْطِ . »

« قُلْتُ لِنَفْسِي : " سَأُكْرِسُ حَيَاتِي لِهَذَا الْفَرْعِ مِنَ الْعُلُومِ . . إِنَّهُ
أَمْرٌ يَسْتَحِقُّ جَهْدِي . " وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَدَى حِمَاقَتِنَا فِي الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ
الْعُمُرِ . »

قَالَ كِمْبُ : « حَمَقَى آنَذَاكَ وَ حَمَقَى آلَانِ ، وَكَأَنَّ الْمَعْرِفَةَ
فَحَسْبُ تُرْضِي الْإِنْسَانَ ! »

وَاسْتَطَرَدَّ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « لَقَدْ اكْتَشَفْتُ طَرِيقَةً لِتَغْيِيرِ جِسْمِ
الْإِنْسَانِ ، أَوْ أَيِّ جِسْمٍ آخَرَ . . . » وَعِنْدَئِذٍ أَوْضَحَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ -
وَبِعِبَارَةٍ أَدَقَّ - أَوْضَحَتْ ثِيَابُ الرَّجُلِ الْجَالِسَةِ أَمَامَ كِمْبُ كَيْفَ اخْتَفَى
أَحَدُ طَلَبَةِ الْعُلُومِ . وَكَانَ شَرْحًا طَوِيلًا اسْتَهْلَهُ بِأَنْ ذَكَرَ كِمْبُ قَائِلًا :
« إِذَا أَخَذْتَ قِطْعَةً مِنَ الزُّجَاجِ وَ سَحَقْتَهَا فَإِنَّهَا تَتَحَوَّلُ إِلَى مَسْحُوقٍ أَيْضًا
صَلْدٍ مِثْلَ الْمِلْحِ ، وَلاَ يُمَكِّنُ الرُّؤْيَةَ مِنْ خِلَالِهِ . وَلَحْمُ الْإِنْسَانِ ،
وَ الْوَرَقُ الْأَبْيَضُ ، وَالْقَمَاشُ ، وَالشَّعْرُ ، كُلُّهَا فِي الْوَاقِعِ مُكَوَّنَةٌ مِنْ
نَوْعٍ مِنَ الْمَسَاحِقِ . وَ تُحَلَّلُ الْحَبِيبَاتُ الدَّقِيقَةُ لِهَذِهِ الْمَسَاحِقِ
الضُّوءِ الَّذِي يَسْقُطُ عَلَيْهَا فَلَا يَنْفُذُ مِنْهَا ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّا نَرَى لَحْمَ
الْإِنْسَانِ وَالْوَرَقَ . »

« وَإِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْسُطَ وَ تُسَوِّيَ الْحَبِيبَاتِ الْمُحَطَّمَةَ بِحَيْثُ

لَا تُحْلَلُ الضُّوءُ فَإِنَّهَا لَنْ تَبْدُو صَلْدَةً . وَ عِنْدَيْدِ سَيَنْفُذُ مِنْهَا الضُّوءُ مِثْلَمَا
يَنْفُذُ مِنِّي ضَوْءُ الشَّمْسِ . وَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُجَرَّبَ هَذَا بِقِطْعَةٍ مِنَ الْوَرَقِ
الْأَبْيَضِ وَقِطْرَةٍ مِنَ الزَّيْتِ . فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَضَعَ قَلِيلًا مِنَ الزَّيْتِ عَلَى
الْوَرَقَةِ ، وَ عِنْدَيْدِ سَتَرَى الْأَشْيَاءَ مِنْ خِلَالِهَا . وَإِذَا كَانَ الزَّيْتُ مِنْ نَوْعٍ
جَيِّدٍ تَمَامًا ، وَالْوَرَقَةُ مِنْ نَوْعٍ رَدِيٍّ تَمَامًا ، فَإِنَّكَ سَتَمَكِّنُ مِنْ أَنْ تَرَى مَا
هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَى الْوَرَقَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى .

« وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّ الزَّيْتَ نَاعِمٌ رَقِيقٌ ، وَبِذَلِكَ يُنْعَمُ السَّطْحُ
الْخَشِينُ لِكُلِّ حُبِيْبَةٍ مِنْ حُبِيْبَاتِ الْمَسْحُوقِ .

« وَقَدْ أَكْشَفْتُ شَيْئًا يَقْعَلُ بِلَحْمِ الْإِنْسَانِ مَا يَقْعَلُهُ الزَّيْتُ
بِالْوَرَقِ ، وَتَأْثِيرُهُ كَامِلٌ رَائِعٌ حَتَّى إِنَّهُ مَا مِنْ ذَرَّةٍ فِي جَسَدِي تَصُدُّ الضُّوءَ ،
فَكَأَنَّكَ بِذَلِكَ حَوَّلْتَ الزُّجَاجَ الْمَسْحُوقَ إِلَى زُّجَاجٍ سَلِيمٍ مِثْلَ زُّجَاجِ
هَذِهِ النَّافِذَةِ ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .

وَتَنَاوَلَ الْجَوَارُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ - شَأْنٌ مَا يَجْرِي بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنَ الْعُلَمَاءِ -
كُلُّ أَنْوَاعِ الْمَسَائِلِ وَالْإِيضَاحَاتِ . وَاسْتَوَلَى الْعَجَبُ الشَّدِيدُ عَلَى
كِمْبَ حَتَّى إِنَّهُ نَسِيَ أَنَّ صَدِيقَهُ كَانَ خَفِيًّا لَا يُرَى .

قَالَ الصَّوْتُ : « نَعَمْ ، لَقَدْ أَكْشَفْتُ هَذَا كُلَّهُ ، وَ كَانَ طَرِيقُ

الْبَحْثِ أَمَامِي مَفْتُوحًا ، وَ عِنْدَيْدِ ، وَ بَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنَ الْإِهْتِمَامِ وَالْعَمَلِ
فِي السِّرِّ ، عَرَفْتُ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا . وَقَدْ أَذْرَكْتُ هَذَا وَأَنَا
مَغْلُوبٌ عَلَى أَمْرِي . وَكَانَ هَذَا بَعْدَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ مِنَ السَّرِيَّةِ وَالْعَنَاءِ .
سَأَلَهُ كِمْبَ : « لِمَ إِذَا أَذْرَكْتَ أَنَّكَ لَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا ؟ »

أَجَابَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ مَالٌ . » وَذَهَبَ مَرَّةً أُخْرَى
إِلَى النَّافِذَةِ يُحَدِّثُ فِيهَا وَرَاءَهَا .

ثُمَّ أَدَارَ رَأْسَهُ قَائِلًا : « لَقَدْ سَرَقْتُ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ . . نَعَمْ سَرَقْتُ
أَبِي ، وَلَمْ يَكُنْ أَمَالُ مَالِهِ ، فَانْتَحَرَ بِأَنْ أَطْلَقَ النَّارَ عَلَى نَفْسِهِ . »

الفصل الثامن عشر في المنزل الواقع في شارع غريت بورتلاند

مَضَتْ لَحْظَةً وَ كَيْمَب يَجْلِسُ صَامِتًا يُحْمِلُ إِلَى ظَهْرِ هَذَا
الشَّخْصِ الَّذِي بِلا رَأْسٍ ، وَالْوَاقِعِ عِنْدَ النَّافِذَةِ يُطْلُ مِنْهَا . ثُمَّ نَهَضَ
وَاقِفًا ، وَ أَمْسَكَ ذِرَاعَ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ ، وَ أَبْعَدَهُ عَنِ النَّافِذَةِ قَائِلًا :
« إِنَّكَ مُتَعَبٌ مَكْدُودٌ . فَيَيْنَا أَجْلِسُ أَنَا ، تَتَمَشَّى أَنْتَ فِي أَرْجَاءِ
الْعُرْفَةِ . إِلَيْكَ مَقْعَدِي فَأَجْلِسُ . »

وَوَقَفَ بَيْنَ غَرِيفَيْنِ وَ أَقْرَبَ نَافِذَةً مِنْهُ حَتَّى يَحُولَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مُشَاهَدَةِ
مَا يَجْرِي فِي الْخَارِجِ .

إِنْقَضَتْ فِتْرَةٌ وَ غَرِيفَيْنِ جَالِسٌ لَا يُدْ بِالصَّمْتِ ، ثُمَّ شَرَعَ يُتَابِعُ
قِصَّتَهُ .

قَالَ : « كُنْتُ قَدْ تَرَكْتُ الْكُلِّيَّةَ عِنْدَمَا حَدَثَ ذَلِكَ ، وَكَانَ فِي دَيْسَمْبَرِ
الْمَاضِي . وَ قَدْ نَزَلْتُ بِغُرْفَةٍ فِي لَنْدَنَ فِي مَنَزِلٍ كَبِيرٍ فِي شَارِعِ غَرِيتِ

بُورْتْلَانْد . بَدَأَ الْأَمْرُ عِنْدِي أَشْبَهَ بِحُلْمٍ . . . تِلْكَ الزَّيَارَةُ الْقَصِيرَةُ
لَأَبِي فِي بَيْتِنَا الْعَتِيقِ ، ثُمَّ الْعُودَةُ إِلَى غُرْفَتِي . لَقَدْ خِيلَ إِلَيَّ عِنْدَئِذٍ أَنِّي
أَفْقْتُ مِنْ حُلْمٍ عَلَى الْأَشْيَاءِ الْحَقِيقِيَّةِ . هُنَا كَانَتْ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي
عَرَفْتُهَا وَ أَحَبَّيْتُهَا . . . هُنَا كَانَتْ الْمُعْذَاتُ تَنْتَظِرُنِي . . . وَ التَّجَارِبُ
مُهَيَّأَةٌ تَتَرَقَّبُ عَوْدَتِي . . . وَ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ صُعُوبَةٍ تَعْتَرِضُ الطَّرِيقَ ، فِيمَا
عَدَا تَخْطِيطَ التَّفَاصِيلِ .

وَسَوْفَ أَخْبِرُكَ ، إِنْ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا ، يَا كَيْمَبُ بِالتَّفَاصِيلِ الْمُعْقَدَةِ
الْمُتَشَابِكَةِ ، إِذْ إِنَّنَا لَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَّا إِلَى أَنْ نَنْظُرَ فِيهَا .

إِنِّي مَا زِلْتُ أَذْكَرُ الْقَلِيلَ مِنْهَا ، أَمَّا مُعْظَمُهَا فَمَدُونٌ بِالرُّمُوزِ فِي تِلْكَ
الْكُتُبِ الَّتِي أَخْفَاهَا ذَلِكَ الْأَفَاقُ ، الَّذِي يَتَّبِعِي أَنْ نَتَعَقَّبَهُ وَ نَقْبِضَ
عَلَيْهِ . فِي الْبِدَايَةِ أَجْرَيْتُ التَّجَرِبَةَ عَلَى قِطْعَةٍ مِنَ الصَّوْفِ الْأَبْيَضِ ،
وَكَانَ أَغْرَبُ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا أَنْ تَرَاهَا تَتَلَاشَى كَالدُّخَانِ وَ تَخْتَفِي .

« وَكَذْتُ لَا أَصَدِّقُ أَنِّي فَعَلْتُ هَذَا ، وَ أَذْخَلْتُ يَدِي فِي الْفَرَاغِ ،
فَلَمَسْتُ قِطْعَةَ الصَّوْفِ جَامِدَةً مُتَجَسِّدَةً . نَعَمْ شَعُرْتُ بِهَا ، وَ أَلْقَيْتُ بِهَا
عَلَى الْأَرْضِ ، وَ عَانَيْتُ شَيْئًا مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي الْإِهْتِدَاءِ إِلَيْهَا ثَانِيَةً . »
« عِنْدَئِذٍ سَمِعْتُ صَوْتًا خَلْفِي ، وَ حِينَ اسْتَدْرْتُ رَأَيْتُ عِنْدَ النَّافِذَةِ

قِطْعَةً بَيْضَاءَ شَدِيدَةَ الْقَدَارَةِ . وَخَطَرْتُ بِرَأْسِي فِكْرَةً ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي :
"كُلُّ شَيْءٍ مُهِمٌّ لَكَ" وَ مَضَيْتُ إِلَى النَّافِذَةِ فَفَتَحْتُهَا ، وَنَادَيْتُ الْقِطْعَةَ
بِصَوْتٍ رَقِيقٍ فَدَخَلَتْ . وَكَانَتْ الْمَسْكِينَةُ ظَمْأى ، فَقَدَّمْتُ إِلَيْهَا قَلِيلًا مِنْ
اللَّبَنِ ، وَ بَعْدَهَا أَخَذَتْ تَتَجَوَّلُ فِي الْغُرْفَةِ وَتَتَشَمَّمُ أَرْكَانَهَا لِتَأْتِفَ
الْمَكَانَ . وَأَثَارَتَهَا قَلِيلًا قِطْعَةً الصَّوْفِ الْخَفِيَّةِ ، وَلَيْتَكَ رَأَيْتَهَا وَهِيَ
تَبْصُقُ عَلَيْهَا ، وَ لَكِنِّي أَرَحْتُهَا بِأَنْ حَمَلْتُهَا إِلَى فِرَاشِي .

سَأَلَ كِمْبُ : «وَعِنْدَيْكَ جَعَلْتَهَا خَفِيَّةً ؟»

أَجَابَ : «نَعَمْ ، وَقَدْ اسْتَفْرَقَ ذَلِكَ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ .»

سَأَلَ كِمْبُ : «أَتُرِيدُ أَنْ تَقُولَ إِنَّ فِي الدُّنْيَا أَلَانَ قِطْعَةً خَفِيَّةً ؟»

أَجَابَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : «وَلَمْ لَا ؟ إِنَّ لَمْ تَكُنْ قَدْ قُبِلْتَ !»

قَالَ كِمْبُ : «لِمَ لَا ؟ وَاصِلُ حَدِيثِكَ .»

وَصَمَتَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ بِضَعِّ دَقَائِقٍ ، ثُمَّ قَالَ : «كَانَتِ الْفِكْرَةُ
الْوَحِيدَةُ الْوَاضِحَةُ فِي ذَهْنِي هِيَ أَنَّ الْعَمَلَ يَجِبُ أَنْ يَكْتَمَلَ ، وَأَنْ
يَصِلَ إِلَى نِهَائِهِ بِسُرْعَةٍ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعُدْ لَدَيَّ مِنَ الْمَالِ إِلَّا النَّزْرُ
الْقَلِيلُ . وَبَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ عُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَتَنَاوَلْتُ الطَّعَامَ ،

وَأَوَيْتُ إِلَى الْفِرَاشِ دُونَ أَنْ أُخْلَعَ ثِيَابِي .

«وَصَحَوْتُ فَجَاءَتْ عَلَى طَرَقَاتٍ عَالِيَةٍ فَوْقَ بَابِي ، وَكَانَ الطَّارِقُ هُوَ

صَاحِبُ الْمَنْزِلِ ، وَقَالَ إِنِّي كُنْتُ أُوذِي قِطْعَةً فِي الْمَسَاءِ ، وَ إِنَّهُ عَلَى
يَقِينٍ مِنْ هَذَا ، إِذْ كَانَ يَسْمَعُ مُوَاءَهَا ، وَ إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ
الْمَوْضُوعِ . وَ أَجَبْتُهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي غُرْفَتِي أَيْتُ قِطْعَةً فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ ؛

فَقَالَ إِنَّ الْجَلْبَةَ الَّتِي تُحَدِّثُهَا تَجَارِبِي تُسْمَعُ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ الْبَيْتِ . وَكَانَ
عَلَى حَقٍّ فِي هَذَا ، ثُمَّ خَطا إِلَى دَاخِلِ الْغُرْفَةِ ، وَسَأَلَنِي عَمَّا أَفْعَلُ ، وَقَالَ
إِنَّ هَذَا الْمَنْزِلَ كَانَ دَائِمًا مَنْزِلًا مُحْتَرَمًا . وَ أَخِيرًا ثَارَ غَضَبِي ، فَدَفَعْتُهُ
خَارِجَ الْحُجْرَةِ ، وَ أَوْصَدْتُ الْبَابَ ، فَأَثَارَ صَجَّةٍ أَمَامَ بَابِي ، وَلَكِنِّي
لَمْ أُخْفِلْ بِهِ ، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ أَنْصَرَفَ .

«وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ أَدْرِي مَاذَا يَنْوِي أَنْ يَفْعَلَ ، وَلَا حَتَّى مَا يَسْتَطِيعُ

أَنْ يَفْعَلَهُ . وَ كَانَ أَتِيْقَالِي إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ مَعْنَاهُ تَأْجِيلُ التَّجْرِبَةِ . وَلَمْ
يَكُنْ لَدَيَّ آنَذَاكَ إِلَّا عِشْرُونَ جُنْيَهَا ، مُعْظَمُهَا مَوْدَعٌ فِي الْمَصْرِفِ . وَلَوْ
أَنَّهُ اسْتَدْعَى الشُّرْطَةَ لَقَامُوا بِتَفْتِيشِ غُرْفَتِي ، فَمَا عَسَايَ أَنْ أَفْعَلَ ؟

«أَنْ أُخْفِيَ طَبْعًا ! وَ هَذَا مَا فَعَلْتُهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ .

«فِي الْبِدَايَةِ أَحْسَسْتُ بِأَلَالِمِ وَالْمَرَضِ وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كُنْتُ

أَبْكِي وَأَنْتَجِبُ . وَكُنْتُ أَكْلَمُ نَفْسِي بِصَوْتِ عَالٍ ، وَلَكِنِّي صَمَدْتُ وَلَمْ
أَسْتَسْلِمَ . وَلَنْ أُنْسِيَ أَبَدًا مَشْهَدَ يَدَيَّ : لَقَدْ أَصْبَحْنَا بَيضَاوَيْنِ
كَالْوَرَقِ ، وَبَعْدَيْدٍ ، وَفِي بُطْءٍ ، أَصْبَحْنَا شَبِيهَتَيْنِ بِالزُّجَاجِ . وَبَعْدَ
ذَلِكَ تَلَا شَتَا وَأَخْتَفْنَا . فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ أَنْتَابَنِي ضَعْفُ كَأَنِّي طِفْلٌ صَغِيرٌ ،
وَكُنْتُ أَمْشِي عَلَى قَدَمَيْنِ لَا أَرَاهُمَا .

« وَنِمْتُ طَوَالَ فَتْرَةِ الصُّبْحِ ، وَسَجَبْتُ الْمَلَأَةَ فَوْقَ عَيْنِي
لَأَحْجُبَ عَنْهَا الضُّوْءَ . وَأَيْقَظُنِي صَوْتُ طَرَقَاتٍ عَلَى بَابِي ، وَكَانَتْ قُوِّي
قَدْ عَادَتْ إِلَيَّ ، فَجَلَسْتُ فِي الْفِرَاشِ أَرْهِفُ السَّمْعَ ، وَسَمِعْتُ لَغَطًا
يَتَرَدَّدُ . وَإِنْ هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى تَكَرَّرَتْ الطَّرَقَاتُ عَلَى أَلْبَابٍ ،
وَتَعَالَتْ أَصْوَاتُ تُنَادِينِي ، وَلَكِنِّي أَكْسِبُ بَعْضَ الْوَقْتِ أَجِبْتُهَا . وَكَانَتْ
نَافِذَتِي تُطَلُّ عَلَى سَطْحِ الْبَيْتِ ، فَتَسَلَّلْتُ مِنْهَا ، وَاعْلَقْتُهَا وَوَقَفْتُ
خَارِجَهَا أَرْقُبُ مَا يَجْرِي ، وَدَخَلُ إِلَى الْحُجْرَةِ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ
صَاحِبُ الْمَنْزِلِ وَوَلَدَاهُ .

« وَبِمُكْنِكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ الدَّهْشَةَ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِمْ عِنْدَمَا وَجَدُوا
الْحُجْرَةَ خَالِيَةً . وَهُرَعُ أَحَدُ الشَّابِّينِ إِلَى النَّافِذَةِ مِنْ قُوْرِهِ ، وَفَتَحَهَا
وَأَظْلُ مِنْهَا . وَكَانَ وَجْهُهُ الْمُلْتَحِي قَرِيبًا مِنِّي يَكَادُ يَلَامِسُنِي ، وَخَدَّقَ

بِنَظَرِهِ مِنْ خِلَالِي ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْآخَرَانِ . ثُمَّ مَضَى الْأَبُ الْعَجُوزُ إِلَى
الْفِرَاشِ وَبَحَثَ نَحْتَهُ .

« وَبَيْنَمَا كَانُوا يَتَحَدَّثُونَ مَعًا ، تَسَلَّلْتُ رَاجِعًا إِلَى الْحُجْرَةِ ،
وَتَجَاوَزْتُهُمْ مَارًّا بِجَانِبِهِمْ ، وَهَبَطْتُ السَّلْمَ ، وَعَثَرْتُ فِي إِحْدَى
الْحُجَرَاتِ عَلَى عُلبَةٍ ثِقَابٍ ، وَعِنْدَمَا هَبَطُوا إِلَى الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ
رَجَعْتُ إِلَى حُجْرَتِي ، وَأَشْعَلْتُ النَّارَ فِي الْأُورَاقِ وَالْقَشِّ وَالْفِرَاشِ
وَالْأَثَاثِ . »

« أَشْعَلْتُ النَّارَ فِي الْبَيْتِ ؟ ! »

« نَعَمْ ، أَشْعَلْتُ النَّارَ فِي الْبَيْتِ ، فَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْوَسِيلَةُ
الْوَحِيدَةَ لِإِخْفَاءِ آثَارِي . »

وَأَنْقَضَتْ سَاعَةٌ أُخْرَى وَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ مَاضٍ فِي سَرْدِ قِصْبِهِ
وَكَمَبَ مُضْغٍ إِلَيْهِ . وَكَانَتْ الْقِصَّةُ تُحْكِي كَيْفَ حَصَلَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ
عَلَى بَعْضِ الثِّيَابِ ، وَكَيْفَ كَانَ يَحْصُلُ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مَتَى
يَسْتَطِيعُ ، وَكَيْفَ كَانَ يُهَيِّئُ لِنَفْسِهِ السَّمَاوَى وَالْفِرَاشَ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ
حِينَ يَشَاءُ ، حَتَّى أَنْتَهَى أَخِيرًا إِلَى أَيْبُنْغِ .

الفصل التاسع عشر

الخطة التي فُشِلَتْ

تساءل كيمب وهو يُطلُّ مِنَ النَّافِذَةِ : « وَالْآنَ مَاذَا سَنَفْعَلُ ؟ » وَتَحَرَّكَ مُقْتَرِبًا مِنْ ضَيْفِهِ حَتَّى يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُؤْيَا الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ يَرْتَقُونَ التَّلَّ فِي خُطَى بَطِيئَةٍ كَمَا بَدَأَ لِكِمْبِ .

« مَاذَا كُنْتَ تَتَوَى أَنْ تَفْعَلَ عِنْدَمَا جِئْتَ إِلَى مِيناءِ بَرْدُوك ؟ هَلْ كَانَ فِي ذَهْنِكَ خُطَّةٌ ؟ »

كُنْتُ أَنُورِي أَنْ أُعَادِرَ أَلِبَادَ ، وَلَكِنِّي عَذَلْتُ عَنْ خُطَّتِي عِنْدَمَا رَأَيْتُكَ . وَكُنْتُ أَفَكِّرُ فِي أَنْ أَمْضِيَ إِلَى الْجَنُوبِ لِأَنَّ الطُّقْسَ حَارًّا ، خَاصَّةً وَقَدْ أَصْبَحَ سِرِّي مَعْرُوفًا ، وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ يَتَحَدَّثُ عَنْ رَجُلٍ مُتَلَفِّعٍ يَسْتَرُّ وَجْهَهُ . إِنَّ لَذِيكُم هُنَا بَوَاخِرَ تَبْجَرٍ إِلَى فَرَنْسَا ، وَكَانَتْ فِكْرَتِي أَنْ أَرْكَبَ إِحْدَى هَذِهِ الْبَوَاخِرِ ، ثُمَّ أَسَافِرَ بِالْقِطَارِ إِلَى إِسْبَانِيَا أَوْ إِلَى الْجَزَائِرِ ، وَلَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ عَسِيرًا . وَهُنَاكَ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ أَنْ يَعِيشَ

وَأَنْ يَقُومَ بِمَا يَشَاءُ مِنْ أَعْمَالٍ حَتَّى وَلَوْ كَانَ خَفِيًّا . وَقَدْ كُنْتُ أَتَّخِذُ مِنْ ذَلِكَ الْأَفَاقِ صُنْدُوقًا أَحْتَفِظُ فِيهِ بِتُقُودِي وَحَمَالًا لِلْوَاظِمِي ، حَتَّى أَقَرَّرَ كَيْفَ أُرَتِّبُ إِرسَالَ كُتُبِي وَلِوَاظِمِي إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي سَأَذْهَبُ إِلَيْهِ . « هَذَا مَفْهُومٌ . »

« وَعِنْدَيْدِ حَاوِلْ أَنْ يَسْرِقَنِي ! لَقَدْ أَخْفَى كُتُبِي يَا كِمْب ! لَقَدْ أَخْفَى كُتُبِي ! لَوْ أَنَّنِي أَهْتَدَيْتُ إِلَى مَكَانِهِ فَسَوْفَ . . . » « أَوَّلَى بِكَ أَنْ تَسْتَرِدَّ كُتُبَكَ مِنْهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ . »

« لَكِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ أَمْ تَعْرِفُ مَكَانَهُ ؟ »

« إِنَّهُ فِي مَرْكَزِ الشُّرْطَةِ ، سَجِينًا - بِنَاءً عَلَى رَغْبَتِهِ - فِي عُرْفَةِ مَنِيعَةٍ . » قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « الْفَأْرُ الْجَبَانُ »

« هَذَا طَبْعًا يُعْرِقِلُ خُطَطَكَ إِلَى حَدِّ مَا . »

« يَجِبُ أَنْ نَسْتَرِدَّ هَذِهِ الْكُتُبَ ، فَإِنَّهَا كُتُبٌ ضَرُورِيَّةٌ . »

قَالَ كِمْبُ مُتَوَتِّرًا ، وَقَدْ خَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ سَمِعَ وَقَعَ أَقْدَامٍ فِي الْخَارِجِ : « بِكُلِّ تَأْكِيدٍ ، بِكُلِّ تَأْكِيدٍ يَجِبُ أَنْ نَسْتَرِدَّ هَذِهِ الْكُتُبَ . وَالْأَمْرُ عَلَى آيَةٍ »

حَالٍ لَنْ يَكُونَ عَسِيرًا مَا دَامَ لَنْ يَعْرِفَ أَنَّهَا مَطْلُوبَةٌ لَكَ .

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ وَهُوَ غَارِقٌ فِي التَّفَكِيرِ : « نَعْمًا ،

وَحَاوَلْتُ كَيْمَبَ أَنْ يُفَكِّرَ فِي شَيْءٍ آخَرَ يَجْعَلُ بِهِ الْحَدِيثَ مُتَّصِلًا ،

وَلَكِنْ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ مَضَى مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ يَقُولُ : « إِنَّ دُخُولِي بَيْتَكَ

بِاِكْمَبَ غَيْرَ جَمِيعِ خُطَطِي . إِنَّكَ رَجُلٌ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْهَمَ وَتَقْدِّرَ مَوْقِفِي .

إِنَّكَ عَالِمٌ ، وَطَبَعًا لَنْ تُخْبِرَ أَحَدًا بِوُجُودِي هُنَا ؟ »

« لَنْ أَخْبِرَ مَخْلُوقًا بِذَلِكَ . »

« إِذَا كَانَ لَا بُدَّ لِي أَنْ أَسْتَفِيدَ مِنْ كَوْنِي رَجُلًا خَفِيًّا ، فَيَجِبُ أَنْ أَبْدَأَ

بِالْقَتْلِ . »

رَدَّدَ كَيْمَبَ : « الْقَتْلُ ؟ إِنَّي مُضْغٍ إِلَى خُطَّتِكَ ، وَلَكِنِّي لَا أُوَافِقُكَ

عَلَيْهَا . لِمَاذَا الْقَتْلُ ؟ »

يَتَلَخَّصُ الْمَوْضُوعُ فِي أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ - كَمَا نَعْرِفُ - أَنَّ ثَمَّةَ رَجُلًا

خَفِيًّا . وَهَذَا الرَّجُلُ الْخَفِيُّ يَا كَيْمَبَ يَجِبُ أَنْ يَبْدَأَ عَمَلَهُ بِأَنْ يَحْكُمَ

بِالْإِرْهَابِ . نَعَمْ ، وَهَذَا مَا أَعْنِيهِ : الْحُكْمُ بِالْإِرْهَابِ . يَجِبُ أَنْ

يَسْتَوْلِيَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ عَلَى بَلَدَةٍ مِثْلَ بَلَدَتِكُمْ بِرَدُّوكَ ، وَيُسَبِّحَ فِيهَا

الرُّعْبَ وَالْفَزَعَ . يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُصْدِرَ الْأَوَامِرَ ، وَيُمْكِنَهُ ذَلِكَ بِوَسَائِلَ

عَدِيدَةٍ . وَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ مَنْ يَعْصِي أَوَامِرَهُ ، وَكُلَّ مَنْ يُعَارِضُهُ . »

قَالَ كَيْمَبَ : « حَقًّا ! ؟ » وَلَمْ يَكُنْ يُصْغِي إِلَى حَدِيثِ غَرِيفِينَ ،

وَلَمَّا إِلَى صَرِيرِ بَابِ الْبَيْتِ الْأَمَامِيِّ وَهُوَ يَفْتَحُ وَ يُغْلَقُ .

وَسَمِعَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ أَيْضًا هَذَا الصَّرِيرَ ، وَقَالَ : « أَنْصِتْ ! مَا

الَّذِي يَجْرِي فِي الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ ؟ »

أَجَابَ كَيْمَبَ « لَا شَيْءَ » ثُمَّ أَخَذَ فَجَاءَةً يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ عَالٍ

وَبِسُرْعَةٍ ، فَقَالَ : « إِنِّي لَا أُوَافِقُكَ يَا غَرِيفِينَ عَلَى هَذَا . إِفْهَمْنِي ؛ فَأَنَا

لَا أُوَافِقُ عَلَى هَذَا . لِمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَبْقَى وَحِيدًا ؟ لِمَ لَا تُكَاشِفُ النَّاسَ

جَمِيعًا بِالْأَمْرِ ؟ أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْأَفْضَلُ ؟ إِنَّكَ عِنْدِيذٍ سَتَجِدُ آلَافَ مَنْ

النَّاسِ يُسَاعِدُونَكَ وَيُسَدُّونَ أَرْزَاكَ . »

وَرَفَعَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ يَدَهُ قَائِلًا : « ثَمَّةَ أَقْدَامُ تَصْعَدُ السُّلَّمِ . »

قَالَ كَيْمَبَ : « هُزَاءُ ! »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « سَنَرَى . » وَمَضَى إِلَى الْبَابِ وَ ارْهَفَ

سَمْعَهُ .

عِنْدَيْدٍ تَلَاَحَقَتِ الْأَحْدَاثُ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ ، فَفَجْأَةً انْفَتَحَتِ
الْمَلَابِيسُ وَجَلَسَتْ ، وَشَرَعَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ يَخْلَعُ ثِيَابَهُ ، وَمَضَى كِمَبٍ
إِلَى بَابِ الْحُجْرَةِ وَفَتَحَهُ .

وَمَا إِنْ فُتِحَ الْبَابُ حَتَّى سُمِعَ وَقَعُ خُطَوَاتٍ مُسْرِعَةٍ وَأَصْوَاتٍ تَرَدَّدُ فِي
الطَّابَقِ الْأَرْضِيِّ .

وَبِحَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ دَفَعَ كِمَبُ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ إِلَى الْوَرَاءِ ، وَقَفَزَ
جَانِبًا ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ بِعُنْفٍ . وَكَانَ الْمِفْتَاحُ مُعَدًّا فِيهِ مِنْ
الْخَارِجِ ، وَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَجِدَ غَرِيفِينَ نَفْسُهُ فِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ
مَحْبُوسًا فِي الْغُرْفَةِ لَوْلَا أَنَّ أَمْرًا صَغِيرًا حَدَثَ : فَقَدْ وَقَعَ الْمِفْتَاحُ عَلَى
الْأَرْضِ مُحْدِثًا صَوْتًا عَالِيًا .

وَشَحَبَ وَجْهَ كِمَبٍ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَشُدَّ مِقْبَضَ الْبَابِ بِكِلْتَا يَدَيْهِ ،
وَمَرَّتْ لَحْظَةٌ وَهُوَ يَجْذِبُ الْمِقْبَضَ بِشِدَّةٍ ثُمَّ انْفَتَحَ الْبَابُ بِمِقْدَارِ
خَمْسَةِ عَشَرَ سَنْتِمِترًا ، وَلَكِنَّهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يُغْلِقَهُ ثَانِيَةً ، وَفِي الْحَرَّةِ
الثَّانِيَةِ فُتِحَ الْبَابُ قُرَابَةَ ثَلَاثِينَ سَنْتِمِترًا ، وَظَهَرَتِ الْمَلَابِيسُ فِي فُرْجَةِ
الْبَابِ . وَأَمْسَكَتْ أَصَابِعُ خَفِيَّةٍ بِعُنُقِ كِمَبٍ تَحْتَفُهُ ، فَتَرَكَ الْمِقْبَضَ
لِيُدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ . وَدَفَعَ إِلَى الْوَرَاءِ ، وَالْقِيَ بِعُنْفٍ عَلَى الْأَرْضِ .

وَفِي مُتَنَصِّفِ السُّلَمِ كَانَ الْعَقِيدُ آدِي - رَئِيسُ شُرْطَةِ بِرْدُوكِ -
صَاعِدًا . وَأَخَذَ يُحْمِلِقُ إِلَى كِمَبٍ الَّذِي ظَهَرَ فَجْأَةً ، وَوَرَاءَهُ الْمَلَابِيسُ
الَّتِي كَانَتْ تَتَرَاقَصُ فِي الْهَوَاءِ . ثُمَّ رَأَى كِمَبٍ يَتَهَاوَى عَلَى الْأَرْضِ ،



وَيُجَاهِدُ لِلنُّهوضِ عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَشَاهِدَهُ يَتَدَفَّعُ إِلَى الْأَمَامِ ثُمَّ يَسْقُطُ مَرَّةً
أُخْرَى .

وَفَجَاءَهُ أَحْسُ بِضَرْبَةٍ مِنْ لَا شَيْءٍ! وَبَدَا لَهُ أَنْ جَسَمًا ثَقِيلًا انْقَضَ
عَلَيْهِ ، وَأَلْفَى نَفْسَهُ يَسْقُطُ عَلَى السُّلَمِ . وَوَطِئَتْ ظَهْرَهُ قَدَمُ خَفِيَّةٍ ،
وَسَمِعَ عَلَى السُّلَمِ وَقَعَ أَقْدَامَ لِشَبَحٍ لَا يُرَى ، ثُمَّ سَمِعَ الشُّرْطِيِّينَ
الَّذِينَ فِي الْبَهْوِ يَصْرُخَانِ وَيَجْرِيَانِ ، وَاعْقَبَ ذَلِكَ صَوْتُ أَلْبَابِ
الْخَارِجِيِّ وَهُوَ يُغْلَقُ .

وَأَعْتَدَلَ رَئِيسُ الشُّرْطَةِ جَالِسًا عَلَى السُّلَمِ ، وَرَأَى كِمْبَ نَازِلًا ،
وَوَجْهَهُ شَاجِبٌ يَنْزِفُ دَمًا .

وَصَاحَ كِمْبُ : « رَبَّاهُ ! لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَمْنَعَهُ ! لَقَدْ هَرَبَ ! »

الفصل العشرون

مطاردة الرجل الخفي

اِسْتَفْرَقَ كِمْبُ بَعْضَ الْوَقْتِ لِكَيْ يَشْرَحَ لِلْعَقِيدِ آدِي مَا حَدَثَ ،
فَقَالَ : « إِنَّهُ مَجْنُونٌ ! إِنَّهُ لَا يُفَكِّرُ إِلَّا فِي مَصْلَحَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ وَفِي
سَلَامَتِهِ . وَقَدْ اسْتَمَعْتُ هَذَا الصَّبَاحَ إِلَى قِصَّةِ شَنِيعَةِ مَلِيَّةٍ بِالطُّمُوحِ
الشَّدِيدِ الْقَسْوَةِ ، لَقَدْ اِعْتَدَى عَلَى بَعْضِ الرِّجَالِ فَأَصَابَهُمْ بِجُرُوحٍ ،
وَهُوَ يَعْتَرِزُ أَنْ يَقْتُلَهُمْ مَا لَمْ تَمْنَعَهُ . إِنَّهُ يُخَطِّطُ لِكَيْ يُسَيِّطَرَ عَلَى الْبَلَدَةِ
بِالْإِرْهَابِ . لَا شَيْءَ يُمَكِّنُ أَنْ يَوْقِفَهُ . إِنَّهُ آلَانَ حُرٌّ طَلِيقٌ فِي الْخَارِجِ ،
وَهُوَ مَجْنُونٌ ! »

قَالَ آدِي : « يَجِبُ أَنْ نَقْبِضَ عَلَيْهِ ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا شَكَّ فِيهِ . »

صَاحَ كِمْبُ : « وَلَكِنْ كَيْفَ ؟ » وَفَجَاءَهُ أَرْدَحَمْتُ بِرَأْسِهِ الْأَفْكَارُ ،

فَقَالَ :

« يَجِبُ أَنْ تَبْدَأُوا قَوْرًا فِي مُطَارَدَتِهِ . . . يَجِبُ أَنْ تَدْعُوا جَمِيعَ

النَّاسِ إِلَى الْعَمَلِ . يَجِبُ أَنْ تَمْنَعُوهُ مِنْ مُغَادَرَةِ هَذَا الْمَكَانِ . إِنَّهُ إِذَا
تَمَكَّنَ مِنَ الْهَرَبِ فَسَوْفَ يَرْتَادُ الْبِلَادَ ، وَيَقْتُلُ أَنِي سَارَ . وَالشَّيْءُ الْوَحِيدُ
الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَبْقِيَهُ فِي هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ هُوَ رَغْبَتُهُ فِي اسْتِرْدَادِ كُتُبِ مُعَيَّنَةٍ
لَهَا عِنْدَهُ شَأْنٌ كَبِيرٌ ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْهَا . إِنَّ لَدَيْكُمْ فِي مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ رَجُلًا
يُدْعَى مَارْفِل . »

قال آدي : « أَعْرِفُ ذَلِكَ . أَعْرِفُ ذَلِكَ . هَذِهِ الْكُتُبُ . . . نَعَمْ ،
وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ . . . »

قال كِمْبُ مُقَاطِعًا : « يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَسْتَرِدَّ كُتُبَهُ بَعْدُ ، وَلَكِنَّهُ يَظُنُّ
أَنَّهَا لَدَى مَارْفِل . وَالْآنَ أَصْغِرْ إِلَيَّ : يَجِبُ أَنْ تَمْنَعَهُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ
يَنَامَ . يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَةُ مُتَيَقِّظَةً لَهُ لَيْلَ نَهَارَ . يَجِبُ أَنْ تَوْضَعَ كَافَّةُ
الْأَطْعِمَةِ فِي مَكَانٍ مُغْلَقٍ حَتَّى يُضْطَرَّ إِلَى أَنْ يَفْتَحَ بَيْتًا أَوْ مَتَجَرًا
لِلْحُصُولِ عَلَيْهَا . وَالْبُيُوتُ . . . جَمِيعُ الْبُيُوتِ فِي أَيِّ مَكَانٍ يَجِبُ أَنْ
تَوْصَدَ دُونَهُ . وَالْمِنْطَقَةُ كُلُّهَا فِي نِطاقِ ثَلَاثِينَ كِيلُومِترًا حَوْلَ مِينَاءِ بَرْدُوكِ
يَجِبُ أَنْ تَبْدَأَ فِي مُطَارَدَتِهِ ، وَيَجِبُ أَلَّا تَكُفَّ عَنْ مُطَارَدَتِهِ . وَأَوْكُذْ لَكَ
يَا آدي أَنَّ رَجُلَ خَطِرٍ ، وَمَا لَمْ نُمْسِكْ بِهِ فَإِنَّ التَّفَكِيرَ فِيهَا سَيَحْدِثُ
يُثِيرُ الدُّعْرَ فِي النَّفْسِ . »

قال الْعَقِيدُ آدي : « وَالْآنَ هَيَّا بِنَا ، وَيُمَكِّنْكَ أَثْنَاءَ سَيْرِنَا أَنْ تُحَدِّثَنِي
عَمَّا يُمَكِّنُ أَنْ نَفْعَلَهُ . »

وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ كَانَا يَهْبِطَانِ السُّلَمَ وَوَجَدَا الْبَابَ الْأَمَامِيَّ مَفْتُوحًا ،
وَالشَّرْطِيُّ الْوَاقِفَ عِنْدَهُ يُحْمِلُ إِلَى الْهَوَاءِ ، وَقَالَ أَحَدُ الْوَاقِفِينَ :
« لَقَدْ هَرَبَ يَا سَيِّدِي . »

قال الْعَقِيدُ آدي : « يَجِبُ أَنْ نُخَاطِرَ مَرْكَزَ الشَّرْطَةِ حَالًا بِمَا
حَدَّثَ ، فَعَلَى أَحَدِكُمْ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمَرْكَزِ لِلإِبْلَاجِ ثُمَّ يَلْحَقَ بِنَا
بِسُرْعَةٍ . وَالْآنَ يَا كِمْبُ ، مَاذَا لَدَيْكَ سِوَى مَا ذَكَرْتَ ؟ »
قال كِمْبُ : « الْكِلابُ . يَجِبُ إِخْضَارُ الْكِلابِ . إِنَّهَا لَنْ تَرَاهُ
طَبْعًا ، وَلَكِنَّهَا سَتَشُمُّ رَائِحَتَهُ . أَخْضِرِ الْكِلابَ . »

أجاب الْعَقِيدُ آدي : « لَيْسَ لَدَيْنَا فِي الْمَرْكَزِ كِلَابٌ صَالِحَةٌ لِهَذَا
الْغَرَضِ ، وَلَكِنَّ ضُبَاطَ سِجْنِ هَلَسْتِيدِ يَعْرِفُونَ رَجُلًا لَدَيْهِ كِلَابٌ مُدْرَبٌ
عَلَى أَقْتِنَاءِ الْآثَارِ . وَمَاذَا لَدَيْكَ أَيْضًا بَعْدَ الْكِلابِ ؟ »

قال كِمْبُ : « تَذَكَّرْ أَنَّ الطَّعَامَ يَظْهَرُ أَمَامَ الْعَيْنِ ، فَبَعْدَ أَنْ يَفْرُغَ مِنَ
الْأَكْلِ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَرَى الطَّعَامَ فِي مَعِدَتِهِ جَلِيًّا ، وَلِذَلِكَ يَغْبِضُ إِلَى
الْإِخْتِيَاءِ ؛ وَلِذَا يَجِبُ أَنْ تُكْثِفُوا الْبَحْثَ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنَ الْأَرْكَانِ . »

وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ تُخْفُوا جَمِيعَ الْأَسْلِحَةِ ، وَأَيَّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَخْدَمَ
سِلَاحًا . وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْسِكَ بِهِذِهِ الْأَشْيَاءَ طَوِيلًا ، لِأَنَّهَا تَكْشِفُ
مَكَانَهُ . وَيَجِبُ أَنْ تُخْفُوا أَيَّ شَيْءٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَلْتَقِطَهُ لِيَضْرِبَ بِهِ
النَّاسَ .

الفصل الحادي والعشرون مَقْتُلُ السَّيِّدِ وَكُسْتِيدِ

يَبْدُو أَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ انْطَلَقَ مِنْ بَيْتِ كَيْمَبَ وَ قَدْ اسْتَبَدَّ بِهِ
غَضَبُ جَامِحُ ، فَقَدْ لَقِيَ فِي طَرِيقِهِ طِفْلًا يَلْعَبُ بِجَانِبِ بَابِ حَدِيقَةِ بَيْتِ
كَيْمَبَ فَأَمْسَكَهُ وَقَذَفَ بِهِ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ بِغُنْفٍ ؛ فَأَنْكَسَرَتْ سَاقُهُ .
وَتَلَاشَتْ آثَارُ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ بِضَعِّ سَاعَاتٍ دُونَ أَنْ يَعْرِفَ
أَحَدٌ أَيْنَ ذَهَبَ ، وَمَا الَّذِي فَعَلَ . وَلَكِنْ بِالْإِمْكَانِ أَنْ نَتَصَوَّرَهُ مُنْطَلِقًا
يَعْدُو ، فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ الْقَائِظِ مِنْ أَيَّامِ شَهْرِ يُونِيهِ ، مُتَسَلِّقًا التَّلَّ ، ثُمَّ
مُتَّجِهًا إِلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ الْوَاقِعَةِ بَعْدَ مِينَاءِ بَرْدُوكَ ، ثُمَّ يَخْتَفِي فِي
النَّهَائَةِ فِي الْغَايَةِ .

هُنَاكَ اخْتَفَى سَاعَتَيْنِ ، عَلَى حِينِ كَانَ حَشْدٌ مُتَزَايِدٌ مِنَ الرُّجَالِ
يُطَارِدُهُ بِالْأَسْتِعَانَةِ بِالْكِلاِبِ عَبْرَ الْمِنْطَقَةِ ، وَ يُفْتَشُّ عَنْهُ فِي كُلِّ أُنْجَاهٍ .
وَفِي الصَّبَاحِ كَانَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ لَا يَزَالُ رَوَايَةً تُرَدِّدُهَا الْأَلْسُنُ ، وَرُغْبًا

قَالَ الْعَقِيدُ : « حَسَنًا ... سَوْفَ نَقْتَبِضُهُ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ . »

قَالَ كَيْمَبُ : « وَالطَّرُقُ ... » وَبَدَأَ عَلَيْهِ التَّرَدُّدُ .

وَسَأَلَهُ آدِي : « مَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ ؟ »

أَجَابَ كَيْمَبُ : « يَجِبُ أَنْ نَقْرِشَهَا بِزُجَاجٍ مَكْسُورٍ ... إِنِّي أَعْرِفُ
أَنْ فِي فِكْرَتِي قَسْوَةٌ ، وَلَكِنْ تَحْيَلُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ . »

وَتَنَفَّسَ آدِي بِعُمُقٍ مِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهِ ، وَقَالَ : « إِنَّهَا حَقًّا قَسْوَةٌ أَفْضَلُ
عَدَمِ اسْتِعْمَالِهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ سَاعِدٌ قَدْرًا مِنَ الزُّجَاجِ الْمَكْسُورِ ؛ فَإِذَا
قُتِلَ فَسَيَكُونُ قَدْ نَالَ مَا يَسْتَحِقُّ . »

قَالَ كَيْمَبُ : « أُوَكِّدُ لَكَ أَنَّ الرَّجُلَ مَجْنُونٌ ، وَسَوْفَ يُقَدِّمُ عَلَى
عَمَلِ أَيِّ شَيْءٍ وَيَجِبُ أَنْ نَقْبِضَ عَلَيْهِ بِأَيَّةِ وَسِيلَةٍ مُمَكِّنَةٍ ، فَقَدْ قَطَعَ نَفْسَهُ
عَنِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ . »

يَسْتَبِدُّ بِالْقُلُوبِ . أَمَّا بَعْدَ الظُّهْرِ - وَ الْفَضْلُ فِي هَذَا لِإِعْلَانِ الشَّدِيدِ
الْلَّهْجَةِ الَّذِي أَدَاعَهُ كِمَب - فَقَدْ أُيْقِنَ النَّاسُ أَنَّهُ عَدُوٌّ حَقِيقِيٌّ يَجِبُ
اِقْتِنَاصُهُ وَ الْقَبْضُ عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ . وَأَخَذَ النَّاسُ يُنْظِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِسُرْعَةٍ .

وَ حَتَّى السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ ، كَانَ بِمَقْدُورِهِ أَهْرَبُ مِنَ
الْمِنْطَقَةِ بِأَن يَرْكَبَ قِطَارًا . أَمَّا بَعْدَ الثَّانِيَةِ فَقَدْ أَصْبَحَ الْأَمْرُ مُسْتَحِيلًا ؛
فَجَمِيعُ قِطَارَاتِ الرُّكَّابِ فِي الْمِنْطَقَةِ كَانَتْ مُغْلَقَةً الْأَبْوَابِ بِالْأَقْفَالِ ،
أَمَّا قِطَارَاتُ الْبِضَاعَةِ فَقَدْ تَوَقَّفَتْ كُلُّهَا تَقْرِيْبًا عَنِ السَّيْرِ .

وَ فِي دَائِرَةِ نِطَاقِهَا حَوْلَى ثَلَاثِينَ كِيلُومِترًا حَوْلَ مِينَاءِ بَرْدُوك ، كَانَ
الرُّجَالُ الْمُسَلَّحُونَ بِالْبِنَادِقِ وَ الْعِصِيِّ يُنْطَلِقُونَ فِي جَمَاعَاتٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ
ثَلَاثَةِ رِجَالٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ تَصْحَبُهُمُ الْكِلَابُ ، يُقَتِّشُونَ الطُّرُقَ وَ الْحُقُولَ .

أَمَّا رِجَالُ الشُّرْطَةِ مِنْ رَاكِبِي الْخَيْلِ فَمَضَوْا يَطُوفُونَ بِطُرُقِ
الْمِنْطَقَةِ ، وَيَتَوَقَّفُونَ عِنْدَ كُلِّ بَيْتٍ ، وَ يَطْلُبُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يُغْلِقُوا
أَبْوَابَهُمْ ، وَ أَلَّا يُغَادِرُوا دُورَهُمْ إِلَّا وَهُمْ مُسَلَّحُونَ . وَ قَبْلَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ
كَانَتْ جَمِيعُ الْمَدَارِسِ قَدْ أَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا وَ أَسْرَعَ تَلَامِيذُهَا الْخَائِفُونَ إِلَى
مَنَازِلِهِمْ فِي جَمَاعَاتٍ مُتَمَاسِكَةٍ . وَ قَدْ عُلِقَ إِعْلَانُ كِمَب فِي كُلِّ مَكَانٍ
لِيُوضَحَ لِلنَّاسِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْمَلُوهُ بِأَن يَحْرِمُوا الرَّجُلَ الْخَفِيَّ



مِنَ الْأَكْلِ وَ النَّوْمِ . وَأَنْ يَتَنَبَّهُوا دَائِمًا لِأَيَّةِ عَلَامَةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ . وَقَبْلَ أَنْ
يَسُودَ الظُّلَامُ كَانَتْ أَلْبِلَادُ كُلُّهَا عَلَى حَذَرٍ وَتَرَقُّبٍ . وَقَبْلَ حُلُولِ اللَّيْلِ
جَاءَتْ أَنْبَاءُ تَنَاقُلَتِهَا الْأَلْسِنَةُ تَرُوي حِكَايَةَ مَقْتَلِ السَّيِّدِ وَكُسْتِيدِ .

فَفِي مَكَانٍ مَا عَلَى الطَّرِيقِ لَا بُدَّ أَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ اَلْتَقَطَ قَضِيْبًا
مِنَ الْحَدِيدِ ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ السَّيِّدُ وَكُسْتِيدُ رَاجِعًا إِلَى بَيْتِهِ مِنْ
عَمَلِهِ ، وَهُوَ رَجُلٌ مُسَالِمٌ لَا يُؤْذِي أَحَدًا . وَمَا مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّهُ رَأَى
قَضِيْبًا مِنَ الْحَدِيدِ يَمْشِي وَحْدَهُ مُغْلَقًا فِي الْهَوَاءِ ، فَأَخَذَ يَتَّبَعُهُ . وَيَبْدُو
أَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ ظَنَّ أَنَّ وَكُسْتِيدَ اَلْهَادِيَّ الضَّئِيلَ الْجِسْمِ هُوَ أَحَدُ

مُطَارِدِيهِ ، فَأَوْقَفَهُ وَهَجَمَ عَلَيْهِ ، وَكَسَرَ ذِرَاعَهُ ، وَطَرَحَهُ أَرْضًا ،
وَهَشَمَ رَأْسَهُ .

وَتَمَّةٌ حِكَايَةٌ أُخْرَى عَنْ صَوْتِ يَضْحَكُ وَ يَبْكِي ، سَمِعَهُ بَعْضُ
الرِّجَالِ فِي أَحَدِ الْحُقُولِ . وَأَخَذَ الصَّوْتُ يَتَرَدَّدُ فِي أَرْجَاءِ الْحَقْلِ ، ثُمَّ
تَلَا شَيْ . وَلَا بُدَّ أَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ عَرَفَ كَيْفَ اسْتَفَادَ كِمْبٌ مِنَ الْقِصَّةِ
الَّتِي رَوَاهَا لَهُ ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ رَأَى جَمِيعَ أَبْوَابِ الْبُيُوتِ مُغْلَقَةً ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ
رَأَى جَمَاعَاتِ الرِّجَالِ تَصْحَبُهُمُ الْكِلَابُ يُرَاقِبُونَ وَيَتَرَبَّصُونَ ، فَأَذْرَكَ أَنَّهُ
رَجُلٌ مُطَارَدٌ . وَلَا بُدَّ أَنَّهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَأْكُلَ وَيَنَامَ فِي اللَّيْلِ ، فَفِي
صَبَاحِ الْيَوْمِ الْتَالِي كَانَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ قَدْ اسْتَعَادَ قُوَّتَهُ وَرِبَاطَتَهُ
جَاشِيَهُ ، وَاسْتَعَدَّ لِمُوَاجَهَةِ الْعَالَمِ .

الفصل الثاني والعشرون

مهاجمة منزل كِمْب

كَانَ كِمْبُ يَقْرَأُ رِسَالَةً مَكْتُوبَةً بِقَلَمِ الرِّصَاصِ عَلَى رُقْعَةٍ قَدِيرَةٍ مِنَ
الْوَرَقِ ، وَقَدْ جَاءَ فِيهَا : « لَقَدْ كُنْتُ مَاهِرًا لِلْغَايَةِ ، وَلَكِنْ مَا الَّذِي جَنَيْتُهُ
بِمَهَارَتِكَ ؟ لَا أَدْرِي ! إِنَّكَ صِدِّي ! وَقَدْ أَمْضَيْتَ يَوْمًا بِإِكْمَالِهِ تُطَارِدُنِي ،
وَحَاوَلْتُ أَنْ تَسْلُبَنِي رَاحَتِي لَيْلَةً ، وَلَكِنِّي اسْتَطَعْتُ أَنْ أَكُلَ رَغْمًا عَنْكَ ،
وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَنَامَ رَغْمًا عَنْكَ . إِنَّا آلَاَنَ فِي الْبِدَايَةِ . نَعَمْ ، نَحْنُ فِي
الْبِدَايَةِ . وَلَا شَيْءٌ يُمْكِنُ عَمَلُهُ إِلَّا الْإِرْهَابُ . وَهَذَا هُوَ أَوَّلُ أَيَّامِ
الْإِرْهَابِ . لَمْ يَعُدْ مِينَاءُ بَرْدُوكَ خَاضِعًا لِلدَّوْلَةِ ، فَبَلَغَ هَذَا لِلرِّجَالِ
شُرْطَتِكَ ، بَلْ لِجَمِيعِ الشُّرْطَةِ ، أَنَّهُ خَاضِعٌ لِي - لِلْإِرْهَابِ ! أَنَا الرَّجُلُ
الْخَفِيُّ الْأَوَّلُ ! وَسَوْفَ نَبْدَأُ بِقَتْلِ رَجُلٍ يُدْعَى كِمْبُ . إِنَّهُ سَيَمُوتُ
الْيَوْمَ . وَلَعَلَّهُ سَيَخْتَبِئُ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَقَدْ يُحِيطُ نَفْسَهُ بِالْحُرَاسِ ،
وَلَكِنَّ الْمَوْتَ ... الْمَوْتَ الَّذِي لَا يُرَى - آتٍ ! لَقَدْ بَدَأَتْ

اللُّعْبَةُ . . . لَقَدْ بَدَأَ الْمَوْتُ . لَوْ أَنَّكُمْ سَاعَدْتُمُوهُ يَا أَفْرَادَ شُعْبِي ، فَسَوْفَ
يَحِقُّ بِكُمْ الْمَوْتُ أَيْضًا . الْيَوْمَ سَيَمُوتُ كَيْمَب . »

قَرَأَ كَيْمَبُ الرِّسَالَةَ مَرَّتَيْنِ ، وَقَالَ : « هَذَا هُوَ صَوْتُهُ ! وَهُوَ يَعْنِي مَا
يَقُولُ . »

وَنَهَضَ مُتَأَقِلًا دُونَ أَنْ يُتِمَّ غَدَاءَهُ ، فَقَدْ وَصَلَتْهُ الرِّسَالَةُ فِي بَرِيدِ
السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ . وَذَهَبَ إِلَى حُجْرَةِ مَكْتَبِهِ ، وَدَقَّ الْجَرَسَ لِيَسْتَدْعِيَ
خَادِمَتَهُ ، وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي الْحَالِ وَتَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ النُّوَافِدَ
كُلَّهَا مُغْلَقَةٌ . وَقَامَ يَغْلِقُ نَافِذَةَ مَكْتَبِهِ بِنَفْسِهِ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ مُسَدَّسًا صَغِيرًا مِنْ
دُرَجٍ مُغْلَقٍ فِي مَكْتَبِهِ ، وَفَحَصَهُ بِعَيْنَايِهِ ، وَوَضَعَهُ فِي جَيْبِهِ . وَكَتَبَ
مُذَكَّرَاتٍ قَصِيرَةً ، وَكَانَتْ إِحْدَاهَا لِلْعَقِيدِ آدِي ، وَسَلَّمَهَا كُلَّهَا
لِخَادِمَتِهِ ، وَقَالَ لَهَا : « لَيْسَ ثَمَّةَ خَطَرٍ يَتَهَدَّدُكَ . » وَاسْتَغْرَقَ فِي
التَّفَكُّيرِ قَلِيلًا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى تَنَاوُلِ غَدَائِهِ .

وَبَعْدَ لَحْظَةٍ خَبَطَ الْمَائِدَةَ بِقُبْضَتِهِ وَقَالَ : « سَنَظْفُرُ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ
سَيَتِمَادِي فِي أَفْعَالِهِ ! »

وَصَعِدَ إِلَى مَخْدَعِهِ ، وَفِي طَرِيقِهِ أَخَذَ يُغْلِقُ كُلَّ بَابٍ وَرَاءَهُ ، وَقَالَ
لِنَفْسِهِ : « إِنَّهَا لُعْبَةٌ ! لُعْبَةٌ غَرِيبَةٌ - وَلَكِنِّي سَافِرٌ يَا سَيِّدُ غَرِيبِينَ ! »

وَوَقَفَ بِجَوَارِ النَّافِذَةِ يَتَطَلَّعُ إِلَى سَفْحِ التِّلِّ وَهُوَ يُرَدِّدُ : « لَا بُدَّ أَنْ
يَحْصُلَ عَلَى الطَّعَامِ كُلِّ يَوْمٍ ، وَلَكِنْ أَتَرَاهُ حَقًّا نَامَ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ ؟ هَلْ
نَامَ فِي الْعَرَاءِ ؟ لَيْتَ الْجَوَّ يَنْقَلِبُ بَارِدًا رَطْبًا بَدَلًا مِنْ هَذَا الْحَرِّ ! لَعَلَّهُ
الآنَ يُرَاقِبُنِي ! »

وَدَنَا مِنَ النَّافِذَةِ ، وَأَحْسَ بِشَيْءٍ يَرْتَطِمُ بِالْجِدَارِ فَوْقَهَا ، فَقَالَ : « لَقَدْ
بَدَأَتْ أَعْصَابِي تَتَوَثَّرُ . » وَلَمْ يَقْتَرِبْ مِنَ النَّافِذَةِ ثَانِيَةً إِلَّا بَعْدَ خَمْسِ
دَقَائِقَ ، وَقَالَ : « لَا بُدَّ أَنْ طَائِرًا أَصْطَدَمَ بِالْجِدَارِ . »

وَسَمِعَ رَيْنَ جَرَسِ الْبَابِ الْأَمَامِيِّ ؛ فَاسْرَعَ يَهَيِّطُ الدَّرَجَ ، وَأَزَاحَ
سِلْسِلَةَ الْبَابِ ، ثُمَّ فَتَحَهُ ، دُونَ أَنْ يُظْهِرَ نَفْسَهُ . وَكَانَ الْقَادِمُ آدِي ،
وَقَالَ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ : « لَقَدْ هَوِجَمْتُ خَادِمَتُكَ يَا كَيْمَب . »

فَصَاحَ كَيْمَبُ مُنْدهِشًا : « مَا الَّذِي تَقُولُهُ ؟ ! »

« لَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَى مُذَكَّرَتِكَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهَا . . . إِنَّهُ قَرِيبٌ جِدًّا مِنْ

هَذَا الْمَكَانِ فَدَعْنِي أَدْخُلُ . »

وَفَتَحَ كَيْمَبُ الْبَابَ قَلِيلًا ، فَدَخَلَ آدِي ، وَوَقَفَ فِي الْبَهْوِ يُتَابِعُ كَيْمَبَ
بِبَصَرِهِ وَهُوَ يُغْلِقُ الْبَابَ .

وَأَخَذَ كَيْمَبُ يَسُبُّ وَيَلْعَنُ ، ثُمَّ قَالَ : « يَا لِي مِنْ أَحْمَقَ ! كَانَ يَجِبُ

أَنْ أَتَوَقَّعَ هَذَا؟

تَسْأَلُ آدِي : « مَاذَا تَعْنِي ؟ »

أَجَابَ كِمْبُ وَهُوَ يَتَّجُهُ بِزَائِرِهِ إِلَى غُرْفَةِ الْمَكْتَبِ : « أَنْظُرْ ! » وَنَاولَ آدِي الرُّسَالَهَ الَّتِي جَاءَتْهُ مِنَ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ .

قَرَأَ آدِي الرُّسَالَهَ ، ثُمَّ قَالَ : « وَأَنْتَ . . . ؟ »

وَتَنَاهَى إِلَى أَسْمَاعِيهَا صَوْتُ نَافِذَةٍ تَتَهَشَّمُ فِي الطَّابَقِ الْأَعْلَى ، وَرَأَى آدِي طَرَفَ الْمُسَدَّسِ الصَّغِيرِ يَتَرَزُّ مِنْ جَيْبِ كِمْبِ .

قَالَ كِمْبُ : « إِنَّهَا نَافِذَةٌ فِي الطَّابَقِ الْأَعْلَى . » وَأَسْرَعَ يَعْذُو صَاعِدًا وَآدِي وَرَاءَهُ . وَسَمِعَا وَهُمَا لَا يَزَالَانِ عَلَى الدَّرَجِ صَوْتُ نَافِذَةٍ أُخْرَى تَتَهَشَّمُ ، فَلَمَّا وَصَلَا إِلَى حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ وَجَدَا مِنَ النَّوَافِذِ الثَّلَاثِ نَافِذَتَيْنِ مَكْسُورَتَيْنِ ، وَ الزُّجَاجُ الْمُهَشَّمُ يَغْطِي الْأَرْضَ ، كَمَا رَأَى حَجَرًا كَبِيرًا مُسْتَقِيمًا فَوْقَ الْمَكْتَبِ . وَوَقَفَ الرَّجُلَانِ فِي مَدْخَلِ الْحُجْرَةِ ، وَأَخَذَ كِمْبُ يَسُبُّ وَيَلْعَنُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَفِيهَا هُوَ يُرَدِّدُ السَّبَابَ وَاللَّعْنَاتِ أَنْكَسَرَتِ النَّافِذَةُ الثَّلَاثَةُ بِفَرْقَعَةٍ شَبِيهَةٍ بِدَوِيِّ طَلْقِ نَارِيٍّ ، وَتَنَاثَرَتْ شَطَايَا الزُّجَاجِ الْمَكْسُورِ فِي أَرْجَاءِ الْحُجْرَةِ .

وَتَسْأَلُ آدِي : « مَا الَّذِي يَبْغِيهِ مِنْ هَذَا ؟ »

أَجَابَ كِمْبُ : « إِنَّهَا الْبِدَايَةُ . »

« أَثْمَةٌ وَسِيلَةٌ يَتَسَلَّقُ بِهَا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ؟ »

قَالَ كِمْبُ : « حَتَّى الْقِطْعَةُ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ . »

وَأَنهَالَتْ الْأَحْجَارُ الْمُتَطَايِرَةُ إِلَى دَاخِلِ الْحُجْرَةِ ، وَعِنْدَئِذٍ بَدَأَ وَكَأَنَّ شَخْصًا يَدُقُّ عَلَى الْمَصَارِيحِ الْخَشَبِيَّةِ لِنَوَافِذِ الطَّابَقِ الْأَرْضِيِّ . وَوَقَفَ الرَّجُلَانِ خَارِجَ حُجْرَةِ الْمَكْتَبِ لَا يَدْرِيَانِ مَاذَا يَفْعَلَانِ .

قَالَ آدِي : « إِنِّي أَعْرِفُ مَا يَبْغِي عَمَلُهُ ! أَعْطِنِي عَصَا أَوْ شَيْئًا آخَرَ عَلَى شَاكِلَتِهَا ، وَسَأَذْهَبُ إِلَى مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ ، وَأَعُودُ بِالرَّجُلِ صَاحِبِ الْكِلَابِ الْمُدْرَبَةِ عَلَى اقْتِنَاءِ الْأَثَارِ ، وَسَوْفَ تَعْتَرُّ عَلَيْهِ . » وَتَحَطَّمَتِ نَافِذَةٌ أُخْرَى .

وَسَأَلَ آدِي : « أَلَيْسَ لَدَيْكَ مُسَدَّسٌ ؟ »

وَأَمْتَدَّتْ يَدُ كِمْبِ إِلَى جَيْبِهِ ، ثُمَّ رَدَّهَا مُتَرَدِّدًا وَقَالَ : « نَعَمْ ، لَيْسَ لَدَيَّ مُسَدَّسٌ ، أَوْ عَلَى الْأَقْلَى لَيْسَ لَدَيَّ مُسَدَّسٌ أَسْتَغْنِي عَنْهُ . » قَالَ آدِي : « سَاعِدْهُ إِلَيْكَ ، وَأَنْتَ هُنَا فِي أَمَانٍ . »

وَنَاولَهُ كِمْبُ السَّلَاحَ .

قَالَ آدِي : « الْآنَ هَيَّا بِنَا إِلَى الْبَابِ . »

وَبَيْنَمَا كَانَ الرَّجُلَانِ وَاقِفَيْنِ فِي الرُّدْهَةِ يَنْتَظِرَانِ سَمْعًا فَرَقَعَةً إِحْدَى نَوَافِدِ حُجْرَةِ النَّوْمِ ، فَمَضَى كِمْبٌ إِلَى الْبَابِ ، وَشَرَعَ يُدِيرُ الْمِفْتَاحَ فِي الثَّقَبِ بِأَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الْهُدُوءِ ، وَبَدَأَ وَجْهَهُ أَكْثَرَ شُحُوبًا مِنَ الْمُعْتَادِ .

قَالَ : « يَجِبُ أَنْ تَتَقَدَّمَ بِلا تَرُدُّدٍ . »

وَبَعْدَ لَحْظَةٍ كَانَ آدِي عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ وَالْبَابُ مُغْلَقٌ وَرَاءَهُ . وَلَيْتَ مَكَانَهُ بُرْهَةً وَهُوَ أَكْثَرَ أَطْمِئْنَانًا وَظَهْرُهُ مُسْتَبَدٌّ إِلَى الْبَابِ ، ثُمَّ هَبَطَ الدَّرَجَ ، وَاجْتَازَ الْحَدِيقَةَ ، وَحِينَ أَوْشَكَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْبَوَابَةِ الْخَارِجِيَّةِ أَحْسَسَ بِشَيْءٍ يَتَحَرَّكُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ .

وَنَادَاهُ صَوْتُ قَائِلًا : « قِفْ لَحْظَةً ! » وَتَوَقَّفَ آدِي عَنِ السَّيْرِ وَيَدُهُ عَلَى الْمُسَدَّسِ .

قَالَ آدِي : « مَا الَّذِي تُرِيدُهُ ؟ »

أَجَابَ الصَّوْتُ : « عُدْ مِنْ فَضْلِكَ إِلَى الْبَيْتِ . »

قَالَ آدِي : « لَا . » وَفَكَرَ فِي أَنْ يُطْلِقَ رِصَاصَةً فِي أَسْجَادِ الصَّوْتِ .

وَسَأَلَهُ الصَّوْتُ : « مَا الَّذِي تَنْوِي أَنْ تَفْعَلَهُ ؟ »

أَجَابَ آدِي : « مَا أَفْعَلُهُ مِنْ شَأْنِي وَحْدِي . »

وَلَمْ يَكُنْ يَتَمَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ حَتَّى طَوَّقَتْ عُنُقَهُ ذِرَاعٌ ، وَشَعَرَ بِرُكْبَةٍ تَسْتَقِرُّ فَوْقَ ظَهْرِهِ ، وَجَذِبَ رَأْسَهُ إِلَى الْوَرَاءِ فَأُطْلِقَ النَّارَ بِأَهْتِاجٍ . وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ تَلَقَّى لَطْمَةً عَلَى فَكِّهِ ، وَانْتَزَعَ الْمُسَدَّسُ مِنْ يَدِهِ ، فَحَاوَلَ أَنْ يُقَاوِمَ وَ لَكِنَّهُ طُرِحَ أَرْضًا عَلَى ظَهْرِهِ ، وَصَاحَ غَاضِبًا :
« عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ . »

وَضَحِكَ الصَّوْتُ ، وَقَالَ : « يُمَكِّنُنِي الْآنَ أَنْ أَقْتُلَكَ ، وَلَكِنْ فِي ذَلِكَ إِضَاعَةٌ لِرِصَاصَةٍ . »

وَرَأَى آدِي الْمُسَدَّسَ مُعَلَّقًا فِي الْهَوَاءِ ، عَلَى قَيْدٍ مَبْتَرَيْنِ مِنْهُ ، وَمُسَدَّدًا إِلَيْهِ ، فَقَالَ وَهُوَ يَقُومُ مِنْ رَقْدَتِهِ : « مَاذَا تُرِيدُ ؟ »

قَالَ الصَّوْتُ : « انْهَضْ . »

وَأَنْتَصَبَ آدِي وَاقِفًا .

قَالَ الصَّوْتُ : « قِفْ سَاكِئًا . » ثُمَّ أَرْدَفَ بِحَزْمٍ : « إِنَّاكَ وَالْإِقْدَامُ عَلَى أَيْةٍ خُدْعَةٍ . وَتَذَكَّرْتُ أَنَّي أُسْتَطِيعُ أَنْ أَرَى وَجْهَكَ ، وَإِنْ كُنْتُ أَنْتَ



وَكَانَ كَيْمَبٌ قَدْ أُسْرِعَ إِلَى الطَّابِقِ الْعُلُويِّ ، بَعْدَ أَنْ غَادَرَ آدِي
الْبَيْتَ ، وَمَضَى يَتَطَلَّعُ إِلَى الْخَارِجِ مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ الْمَكْسُورَةِ ،
وَشَاهَدَ آدِي يَتَحَدَّثُ إِلَى الرَّجُلِ الْخَفِيِّ .
وَتَسَاءَلَ كَيْمَبٌ : « لِمَ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ النَّارُ ؟ » ثُمَّ رَأَى الْمُسَدَّسَ
يَتَحَرَّكُ فِي الْهَوَاءِ .

فَقَالَ لِنَفْسِهِ : « هَذَا عَجِيبٌ ! لَقَدْ سَلَّمَهُ آدِي الْمُسَدَّسَ . »
وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ آدِي يَقُولُ : « عِدْنِي بِأَلَّا تَقْتَحِمَ الْبَابَ ،

لَا تُرَانِي . وَعَلَيْكَ الْآنَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْبَيْتِ . »

أَجَابَ آدِي : « إِنَّهُ لَنْ يَسْمَحَ لِي بِالدُّخُولِ . »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « هَذَا شَيْءٌ مُؤَسِيفٌ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ الرَّجُلُ
الَّذِي أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَهُ . »

وَحَوَّلَ آدِي بَصَرَهُ عَنِ الْمُسَدَّسِ الْمُصَوَّبِ إِلَيْهِ ، وَرَأَى الْبَحْرَ مِنْ
بَعِيدٍ دَاكِئًا شَدِيدَ الزُّرْقَةِ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ السَّاطِعَةِ ، وَصُخُورَ الشَّاطِئِ
الْبَيْضَاءِ ، كَمَا رَأَى التَّلَّ تَعْلُوهُ الْأَعْشَابُ الْخَضِرَاءُ . وَفَجْأَةً أَدْرَكَ أَنَّ
الْحَيَاةَ حُلُوةً ، فَعَادَ يَبْصُرُهُ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ الْمَعْدِنِيِّ الصَّغِيرِ الْمُعَلَّقِ
بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، عَلَى قَيْدٍ مِثْرَيْنِ مِنْهُ ، وَقَالَ : « مَا الَّذِي يَنْبَغِي
عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَهُ ؟ »

قَالَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ : « بَلْ مَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَهُ أَنَا ؟ لَوْ أَنَّنِي
أَطْلَقْتُ سَرَاخَكَ ، لَعُدْتُ بِنَجْدَةٍ ، لِذَلِكَ لَيْسَ أَمَامَكَ إِلَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى
الْبَيْتِ . »

« سَأَحَاوِلُ ، وَلَكِنْ إِذَا سَمَحَ لِي بِالدُّخُولِ فَهَلْ تَعِدُنِي بِأَلَّا تَقْتَحِمَ
الْبَابَ ؟ »

أَجَابَ الصَّوْتُ : « إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَكَ أَنْتَ . »

« كُلُّ مَا عَلَيْكَ هُوَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْبَيْتِ . وَلَنْ أَعِدَّكَ بِشَيْءٍ » .

وَبَدَأَ أَنْ آدِي قَرَّرَ فَجْأَةً أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا . فَقَدْ اسْتَدَارَ عَائِدًا إِلَى الْبَيْتِ ، وَسَارَ بِخُطَى وَثِيدَةٍ وَبَدَأَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ . وَأَخَذَ كِمْبَ يُرَاقِبُهُ مِنَ النَّافِذَةِ . وَظَهَرَ الْمُسَدَّسُ ، كَجِسْمٍ صَغِيرٍ أَسْوَدَ ، يَتْبَعُ آدِي . وَعِنْدَئِذٍ تَتَابَعَتِ الْأَحْدَاثُ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ : فَفَزَّ آدِي صَوْبَ هَذَا الشَّيْءِ الصَّغِيرِ ، وَلَكِنَّهُ أَخْطَأَهُ ، وَرَفَعَ ذِرَاعَيْهِ إِلَى أَعْلَى ، وَوَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ . وَشَقَّتِ الْهَوَاءَ كُرَّةً صَغِيرَةً مِنَ الدُّخَانِ الْأَزْرَقِ ، وَلَكِنَّ كِمْبَ لَمْ يَسْمَعْ دَوِيَّ الطَّلْقِ النَّارِيِّ . وَرَفَعَ آدِي جِسْمَهُ مُسْتَنِدًا إِلَى ذِرَاعٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَظَلَّ مَكَانَهُ سَاكِنًا .

وَلَبِثَ كِمْبَ فِتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ يَنْظُرُ إِلَى آدِي وَهُوَ رَاقِدٌ عَلَى الْأَغْشَابِ فِي هُدُوءٍ . وَكَانَ الْجَوُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَاكِنًا شَدِيدَ الْحَرَارَةِ ، وَلَا شَيْءَ فِيهِ يَتَحَرَّكُ ، وَآدِي رَاقِدٌ بِالْقُرْبِ مِنْ بَوَابَةِ الْحَدِيقَةِ . وَكَانَتِ السَّائِرُ مُسَدَّلَةً فِي جَمِيعِ الْبُيُوتِ الْقَائِمَةِ عَلَى سَفْحِ التَّلِّ ، وَإِنْ بَدَأَ فِي أَحَدِ الْبُيُوتِ الصَّيْفِيَّةِ الصَّغِيرَةِ شَيْخٌ أَبْيَضُ ، لَاحَ أَنَّهُ لَشَيْخٍ نَائِمٍ . وَعَادَ كِمْبَ بِعَيْنَيْهِ إِلَى آدِي ، فَقَدْ بَدَأَتْ اللَّعْبَةُ بِدَايَةِ سَيِّئَةٍ !

وَعِنْدَئِذٍ عَلَا زَيْنُ الْجَرَسِ ، ثُمَّ طَرَقَ عَلَى أَلْبَابِ الْأَمَامِيِّ ، وَلَكِنْ أَحَدًا لَمْ يَفْتَحْهُ ، وَسَادَ السُّكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ . وَبَقِيَ كِمْبَ جَالِسًا يُصْغِي ، ثُمَّ رَاحَ يُنْعِمُ النَّظَرَ بِحَذَرٍ مِنَ النَّوَافِذِ الثَّلَاثِ ، وَاحِدَةً بَعْدَ الْأُخْرَى ، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى السُّلَّمِ وَوَقَفَ يُصْغِي بِقَلْقٍ مُتَسَائِلًا عَمَّا يَفْعَلُهُ عَدُوُّهُ .

وَفَجْأَةً سَمِعَ طَرَقَاتٍ شَدِيدَةً نَأَتْ مِنَ الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ ، فَتَرَيْتَ بُرْهَةً ، ثُمَّ هَبَطَ الدَّرَجَ مَرَّةً أُخْرَى . وَأَمْتَلَأَ الْبَيْتَ بِأَصْوَاتِ خَبَطَاتٍ عَنيفَةٍ ، وَخَشَبٍ يَتَحَطَّمُ ؛ فَمَضَى إِلَى الْمَطْبَخِ لِيَتَبَيَّنَ مَا حَدَثَ ، فَوَجَدَ بَلْطَةَ تُحَطِّمُ أَلْبَابَ .

عَادَ كِمْبَ إِلَى الْمَمْشَى ، وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يُفَكِّرَ . فَلَنْ تَمْضِيَ لَحَظَاتٌ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ قَدْ أَقْتَحَمَ الْمَطْبَخَ ، لِأَنَّ هَذَا أَلْبَابَ لَنْ يَصُدَّهُ لَحْظَةٌ عَنِ الدُّخُولِ .

وَدَقَّ جَرَسُ أَلْبَابِ الْأَمَامِيِّ مَرَّةً أُخْرَى ، وَسَمِعَ كِمْبَ جَلْبَةَ أَصْوَاتٍ ، وَكَانَتْ لِشُرَطِيَّيْنِ مَعَ الْخَادِمَةِ .

وَجَرَى كِمْبَ إِلَى الرُّدْمَةِ ، وَفَتَحَ أَلْبَابَ ، فَتَسَاقَطَ ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ دَاخِلَ الْبَيْتِ ، فَاسْرَعَ كِمْبَ وَأَغْلَقَ أَلْبَابَ ثَانِيَةً وَصَاحَ : « الرَّجُلُ

الْخَفِيُّ ! إِنَّ مَعَهُ مُسَدَّسًا فِيهِ طَلْقَتَانِ . لَقَدْ قُتِلَ آدِي ، أَوْ عَلَى الْأَقْلِ
أُطْلِقَ عَلَيْهِ النَّارَ . أَلَمْ تَرَوْهُ مُلْقَى عَلَى الْأَعْشَابِ ؟

وَسَأَلَ أَحَدُ الشُّرَاطِيِّينَ : « مَنْ ؟ »

أَجَابَ كِمْبُ : « آدِي . »

قَالَتِ الْخَادِمَةُ : « لَقَدْ جِئْنَا مِنْ خَلْفِ الْبَيْتِ . »

وَسَأَلَ الشُّرَاطِيُّ الْآخَرَ : « مَا هَذِهِ الْخَبَطَاتُ ؟ »

« لَعَلَّهُ فِي الْمَطْبَخِ ، أَوْ سَيَدْخُلُهُ ، فَقَدْ عَثَرَ عَلَى بَلْطَةٍ . »

وَفَجْأَةً أَمْتَلَأَ الْبَيْتُ بِخَبَطَاتِ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ وَهُوَ يُحْطَمُ بَابَ

الْمَطْبَخِ وَتَطَلَّعَتِ الْخَادِمَةُ إِلَى الْمَطْبَخِ ، ثُمَّ هُرَعَتْ إِلَى حُجْرَةِ

الطَّعَامِ ، وَحَاوَلَتْ كِمْبُ أَنْ يَشْرَحَ الْمَوْقِفَ بِعِبَارَاتٍ مُتَقَطِّعَةٍ ؛ ثُمَّ

سَمِعُوا بَابَ الْمَطْبَخِ وَهُوَ يَنْفَتِحُ .

وَصَاحَ كِمْبُ : « مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ . » وَدَفَعَ الشُّرَاطِيُّينَ نَاحِيَةَ

مَدْخَلِ حُجْرَةِ الطَّعَامِ ، وَأَنْدَفَعَ هُوَ نَاحِيَةَ الْمِدْفَأَةِ قَائِلًا : « قَضِيبُ

تَقْلِيبِ النَّارِ ! »

وَأَعْطَى كُلَّ شُرَاطِيٍّ قَضِيبًا ، ثُمَّ قَفَزَ فَجْأَةً إِلَى الْخَلْفِ . وَصَاحَ أَحَدُ

الشُّرَاطِيِّينَ : « حَذَارِ ! » وَوَثَبَ جَانِبًا ، وَتَلَقَّى ضَرْبَةَ الْبَلْطَةِ عَلَى

الْقَضِيبِ ! وَدَوَّى طَلْقُ نَارِيٍّ مُحَدِّثًا ثَقْبًا فِي إِحْدَى اللَّوْحَاتِ . أَمَّا

الشُّرَاطِيُّ الثَّانِي فَهَوَى بِالْقَضِيبِ فَوْقَ الْمُسَدَّسِ ، فَأَسْقَطَهُ عَلَى

الْأَرْضِ .

وَعَادَتِ الْبَلْطَةُ إِلَى الْمَمْشَى ، وَكَانُوا يَسْمَعُونَ أَنْفَاسَ الرَّجُلِ

الْخَفِيِّ اللَّاهِثَةِ . وَجَاءَهُمْ صَوْتُهُ يَقُولُ : « ابْتَعدَا أَيُّهَا الشُّرَاطِيَّانِ . إِنَّ

مَنْ أُرِيدُهُ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ كِمْبُ . »

قَالَ الشُّرَاطِيُّ الْأَوَّلُ : « وَنَحْنُ نُرِيدُكَ أَنْتَ . » وَوَثَبَ وَثْبَةً سَرِيعَةً

إِلَى الْأَمَامِ وَهَوَى بِالْقَضِيبِ فِي اتِّجَاهِ الصَّوْتِ . وَيَبْدُو أَنَّ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ

تَرَجَعَ إِلَى الْخَلْفِ ، وَسَقَطَ عَلَى أَحَدِ الْمَقَاعِدِ .

وَلَمَّا تَبِعَهُ الشُّرَاطِيُّ عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ وَضَرَبَهُ فَطَرَحَهُ أَرْضًا .

وَلَكِنَّ الشُّرَاطِيَّ الثَّانِيَّ وَجَّهَ ضَرْبَهُ بِقَضِيبِ تَقْلِيبِ النَّارِ خَلْفَ

الْبَلْطَةِ فَأَصَابَ شَيْئًا لَيْنًا سُمِعَتْ لَهُ طَفْقَةٌ أَعْقَبَتْهَا صَرْخَةٌ أَلَمٍ حَادَّةٌ .

وَسَقَطَتِ الْبَلْطَةُ عَلَى الْأَرْضِ . وَوَجَّهَ الشُّرَاطِيُّ فِي الْفَرَاغِ ضَرْبَةً أُخْرَى

لَمْ تُصِبْ شَيْئًا ، فَوَضَعَ قَدَمَهُ فَوْقَ الْبَلْطَةِ ، وَوَجَّهَ ضَرْبَةً جَدِيدَةً . ثُمَّ

وَقَفَ وَهُوَ مُمَسِّكٌ بِالْقَضِيبِ ، وَأَرْهَفَ السَّمْعَ إِلَى آيَةِ حَرَكَةٍ .

وَسَمِعَ نَافِذَةً تَفْتَحُ ، وَوَقَعَ أَقْدَامُ مُسْرِعَةٍ فِي الْخَارِجِ . وَاعْتَدَلَ
زَمِيلُهُ وَجَلَسَ وَالْدَّمُ يَنْزِفُ مِنْ جُرْحٍ فِي صُدْغِهِ ، وَتَسَاءَلَ : « أَيْنَ هُوَ ؟ »
أَجَابَهُ : « لَا أَدْرِي ، وَلَكِنِّي أَصَبْتُهُ . وَهُوَ واقِفٌ فِي مَكَانٍ مَا فِي
الرَّدْهَةِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ قَدْ مَرَّ بِكَ . دُكْتُورُ كِمْب ، أَيْنَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي ؟ »

وَصَاحَ ثَانِيَةً : « دُكْتُورُ كِمْب ! »

وَجَاهَدَ الشَّرْطِيُّ الثَّانِي حَتَّى وَقَفَ عَلَى قَدَمَيْهِ . وَفَجْأَةً سَمِعَ
الشَّرْطِيَّانِ وَقَعَ قَدَمَيْنِ حَافِيَتَيْنِ ، فَصَرَخَ الشَّرْطِيُّ الْأَوَّلُ وَأَلْقَى بِقَضِيبِ
تَقْلِيلِ النَّارِ . وَهُمْ يَتَعَقَّبُ الرَّجُلَ الْخَفِيَّ ، وَلَكِنَّهُ عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ ،
وَدَخَلَ حُجْرَةَ الطَّعَامِ وَصَاحَ : « دُكْتُورُ كِمْب ... »

وَكَانَتْ نَافِذَةُ حُجْرَةِ الطَّعَامِ مَفْتُوحَةً ، وَلَمْ تَكُنْ فِيهَا الْخَادِمَةُ
وَلَا كِمْب .

الفصل الثالث والعشرون

اقتناص الصياد

إِنْطَلَقَ كِمْب يَجْرِي لِيَنْجُو بِحَيَاتِهِ ، مِثْلَمَا رَأَى مِنْ قَبْلِ السَّيِّدِ مَارِئِلَ
يَجْرِي هَابِطًا أَلْتَلَّ . وَلَمْ يَبْدُ لَهُ الْجَرْيُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَبْطَأَ مِمَّا بَدَأَ
لَهُ آنَذَاكَ .

وَأَخَذَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، وَرَأَوْا فِي وَجْهِهِ أَمَارَاتِ الدُّعْرِ وَالْفَزَعِ .
كَانَ مُنْدَفِعًا صَوْبَ الْقَرْيَةِ عِنْدَ سَفْحِ أَلْتَلَّ حَيْثُ يَقِفُ النَّاسُ أَوْ
يَمْشُونَ فِي جَمَاعَاتٍ .

وَتَهَلَّلَ فِي سَيْرِهِ قَلِيلًا ، فَسَمِعَ وَقَعَ خُطَوَاتٍ سَرِيعَةٍ وَرَاءَهُ ، فَصَاحَ :
« الرَّجُلُ الْخَفِيُّ ! » وَخَطَرَ لَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَرْكَزِ الشَّرْطَةِ ، بَيِّنًا أَنَّهُ غَيَّرَ
رَأْيَهُ ، وَدَخَلَ شَارِعًا جَانِبِيًّا ، ثُمَّ فَنَاءَ أَحَدَ الْبُيُوتِ ، ثُمَّ بَيْتًا صَغِيرًا ،
وَعَادَ بِذَلِكَ إِلَى الطَّرِيقِ الْعَامِّ .

وَاحْتَشَدَ جَمْعٌ مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَ ثَمَّةَ وَقَعَ أَقْدَامُ تَجْرِي . وَعَلَى

قَبِدَ بِضَعَةٍ أَمْتَارٍ شَوْهَدَ رَجُلٌ ضَخْمُ الْجِسْمِ يُطَوِّحُ فِي أَهْوَاءِ مِجْرَفَةٍ
ثَقِيلَةٍ ، وَيَضْرِبُ بِهَا شَيْئًا مَا . وَخَرَجَ آخَرُ مِنْ مَتَجَرٍ وَيَبِيدُهُ عَصَا غَلِيظَةً .
وَصَاحَ رَجُلٌ : « اِنْتَشِرُوا ! اِنْتَشِرُوا ! » وَتَوَقَّفَ كِمْبٌ وَتَلَفَّتْ حَوْلَهُ وَهُوَ
يَلْهَثُ ، وَقَالَ : « إِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ هُنَا ! شَكَّلُوا صَفًّا بِعَرَضٍ . . . »

وَتَلَقَّى ضَرْبَةً غَنِيْفَةً وَرَاءَ أُذُنِهِ ، فَحَاوَلَ أَنْ يَلْتَفِتَ لِيُوَاجِهَ عَدُوَّهُ
الْخَفِيَّ ، وَسَدَدَ ضَرْبَةً فِي أَهْوَاءِ ، وَلَكِنَّهُ تَلَقَّى لَكْمَةً أُخْرَى تَحْتَ فَكِّهِ ؛
فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ . وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ انْغَرَزَتْ رُكْبَةٌ فِي صَدْرِهِ ،
وَأُطْبِقَتْ يَدَانِ عَلَى عُنُقِهِ ، وَلَكِنْ إِحْدَى الْيَدَيْنِ كَانَتْ أَضْعَفُ مِنَ
الْأُخْرَى . وَعِنْدَيْذِهِ هَوَتْ مِجْرَفَةُ الرَّجُلِ الضَّخْمِ مِنْ فَوْقِهِ بِقَلِيلٍ ،
وَأَرْتَطَمَتْ بِشَيْءٍ مَا . وَشَعَرَ بِقَطْرَاتٍ مِنَ الدَّمِ الدَّافِقِ تَسَاقُطُ عَلَى وَجْهِهِ ،
وَتَرَاحَتِ الْيَدَانِ الْمُطْبِقَتَانِ عَلَى عُنُقِهِ ؛ فَانْقَلَبَ كِمْبٌ وَجْهًا فَوْقَ عَدُوِّهِ
وَصَاحَ : « أَمْسِكْتُهُ ! أَمْسِكْتُهُ ! النُّجْدَةُ ! النُّجْدَةُ ! أَمْسِكُوهُ ! أَمْسِكُوا
قَدَمَيْهِ ! »

وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ اقْتَحَمَ الْمَعْرَكَةُ حَشْدٌ مِنَ النَّاسِ . وَلَمْ يَكُنْ
ثَمَّةَ صِيَاخٍ بَعْدَ صِيَاخِ كِمْبٍ ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ يُسْمَعُ هُوَ صَوْتُ ضَرْبَاتِ
نُسْدَدٍ ، وَوَقَعَ أَقْدَامُ تَتَحَرَّكُ ، وَأَنْفَاسٌ تَلْهَثُ .

ثُمَّ هَبَّ الرَّجُلُ الْخَفِيُّ وَاقِفًا عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَكَانَ كِمْبٌ مُتَشَبِّهًا
بِسَاقِيهِ ، وَعِنْدَيْذِهِ قَبَضَ شَخْصٌ مَا عَلَى عُنُقِ الرَّجُلِ الْخَفِيِّ ، وَجَذَبَهُ
إِلَى الْخَلْفِ . وَوَقَعَ الرَّجُلُ الْمُتَقَاتِلُونَ عَلَى الْأَرْضِ وَهُمْ يَتَرَاكِلُونَ ،
وَعِنْدَيْذِهِ انْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ حَادَّةٌ ، ثُمَّ خِيَمَ السُّكُونُ .

صَاحَ كِمْبٌ : « اِئْتَعِدُوا ! لَقَدْ أُصِيبَ ! إِنَّهُ جَرِيحٌ ! أَهْلُ الْحَوَا
الْمَكَانِ ! » وَأَخَذَ طَيِّبٌ يَتَحَسَّسُ الْجِسْمَ الْخَفِيَّ ، ثُمَّ قَالَ : « انْفُكُّ دُلَّهُ
مُبْتَلٌ . »

وَنَهَضَ وَاقِفًا عَلَى عَجَلٍ ، ثُمَّ رَكَعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ بِجَانِبِ الشَّيْءِ الَّذِي
لَا يُرَى . وَأَقْبَلَ جَمْعٌ جَدِيدٌ مِنَ النَّاسِ لِيَزِيدُوا الْحَشْدَ الْمُتَدَافِعَ ،
وَأَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ قَوْمٌ آخَرُونَ خَرَجُوا مِنَ الْبُيُوتِ . وَكَانَتْ أَبْوَابُ الْفُنْدُقِ
مَفْتُوحَةً عَنْ آخِرِهَا ، وَكَانَ الصَّمْتُ سَائِدًا .

وَمَدَّ كِمْبٌ يَدَهُ يَتَحَسَّسُ الْفَرَاغَ حَوْلَهُ ، وَقَالَ : « إِنَّهُ لَا يَتَنَفَّسُ .
إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَلْمَسَ قَلْبَهُ . هَذَا جَنْبُهُ . . آه ! »

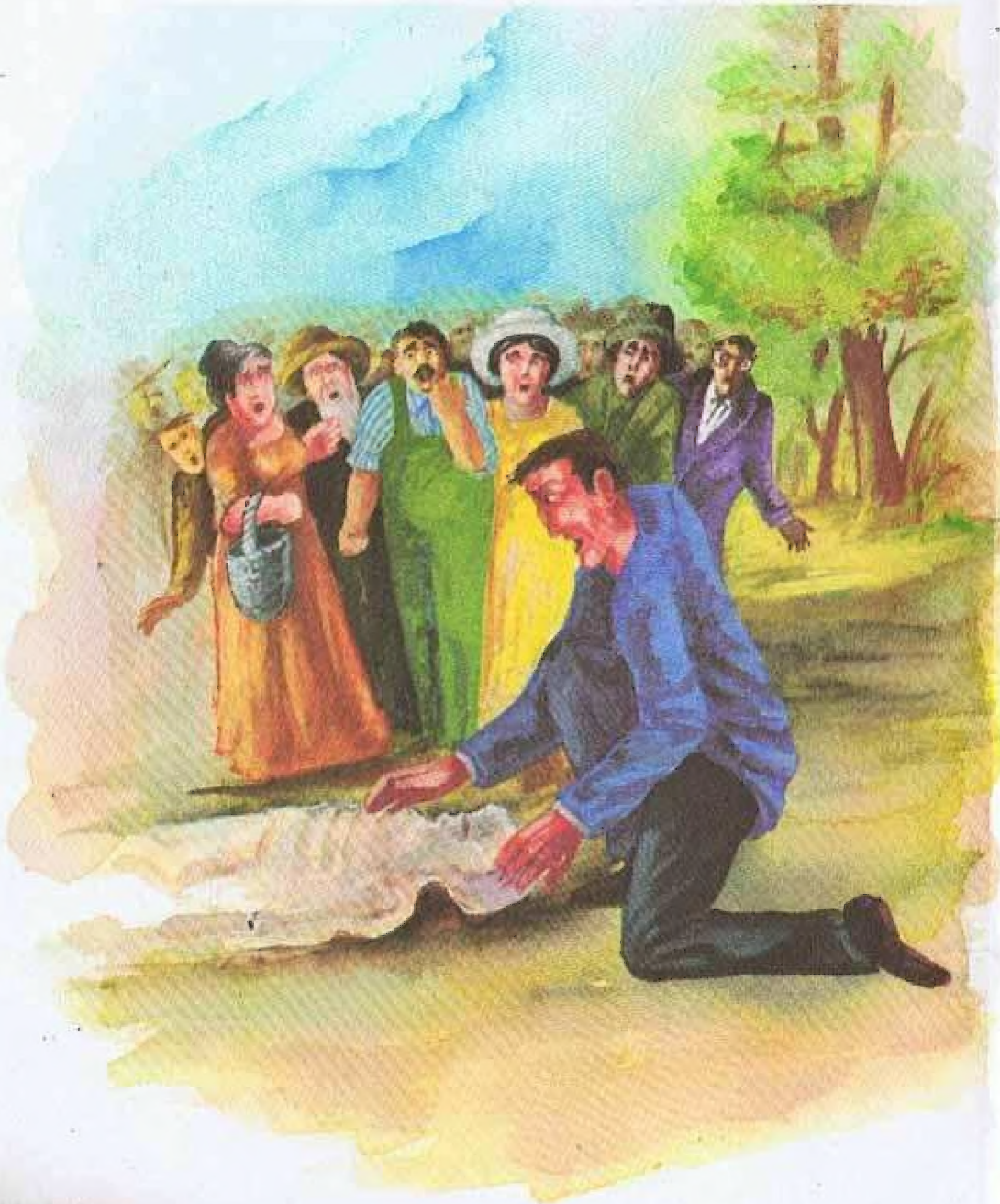
وَصَرَخَتْ أَمْرًا عَجُوزٌ ، كَانَتْ تَنْظُرُ مِنْ تَحْتِ ذِرَاعِ الرَّجُلِ
الضَّخْمِ ، صَاحِبِ الْمِجْرَفَةِ ، قَائِلَةً بِصَوْتٍ حَادٍّ : « انْظُرُوا ! »
وَتَنَظَّلُوا إِلَى حَيْثُ أَشَارَتْ ، وَرَأَوْا جَمِيعًا جِسْمًا ضَبَائِلًا أَشْبَهَ

بِالطَّيِّفِ . وَاسْتَطَاعُوا فِي الْبِدَايَةِ أَنْ يَخْتَرِقُوا هَذَا الْجِسْمَ بِأَبْصَارِهِمْ ،
وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَتَحَوَّلُ بِالتَّدْرِيجِ إِلَى جِسْمٍ أَكْثَرَ صَلَابَةً وَ سُمْكًا .
وَصَاحَ الشَّرْطِيُّ : « هَا هُمَا قَدَمَاهُ تَبِينَانِ ! »

وَهَكَذَا اسْتَمَرَّ هَذَا التَّغْيِيرُ الْعَجِيبُ بَاطْنًا ، مُبْتَدِئًا بِظُهُورِ الْيَدَيْنِ ثُمَّ
الْقَدَمَيْنِ ، وَظَهَرَتْ سَاقَاهُ حَتَّى مُتَنَصِّفِ جِسْمِهِ . وَكَانَ يُشْبِهُ الْإِنْتِشَارَ
الْبَطِيءَ لِلْسُّمِّ . وَرَأَوْا صُورَةً بَاهِتَةً لِأَحَدِ أَطْرَافِهِ ، ثُمَّ عِظَامَهُ الزُّجَاجِيَّةَ
الْلُّونَ ، وَبَعْدَهَا لَحْمَهُ وَجِلْدَهُ ، وَقَدْ ظَهَرَ جَسَدُهُ فِي شَكْلِ ضَبَابِيٍّ
أَوَّلَ الْأَمْرِ ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَزْدَادُ بَاطْنًا سُمْكًا وَصَلَابَةً . وَسَرَّعَانَ مَا
اسْتَطَاعُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَرَوْا صَدْرَهُ وَكَتِفَيْهِ وَشَكْلَ وَجْهِهِ غَيْرَ الْوَاضِحِ .

وَعِنْدَمَا أَفْسَحَ الْجَمْعُ الْمُخْتَشِدُ الْمَكَانَ لِكُمْبٍ لِيَقِفَ ،
شَاهَدُوا عَلَى الْأَرْضِ أَمَامَهُمْ جُثَّةً عَارِيَةً مُهَشَّمَةً لِشَابٍّ فِي نَحْوِ الثَّلَاثِينَ
مِنْ عُمُرِهِ . وَكَانَ شَعْرُهُ أَبْيَضَ ، وَلَمْ يَكُنْ أَشْيَبَ بِسَبَبِ كِبَرِ سِنِّهِ ،
وَلَكِنَّهُ كَانَ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ . وَكَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ تَبْرَقَانِ مِثْلَ جَوْهَرَتَيْنِ ،
وَتَكَسَّوْا وَجْهَهُ مَلَامِخُ الْغَضَبِ وَالْخَوْفِ .

وَصَاحَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِ الْوَاقِفِينَ : « غَطُّوا وَجْهَهُ ! بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ غَطُّوا
هَذَا الْوَجْهَ ! » وَأَتَى أَحَدُهُمْ بِمَلَاءَةٍ ، وَغَطَّوْهُ بِهَا ، ثُمَّ نَقَلُوهُ إِلَى دَاخِلِ



© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

١٠ شارع حسن راسف ، ميدان المساحة ، القلي-الجيزة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٩٩

رقم الإيداع: ١٩٩٧/٢٧٦٢

التقديم الدولي: ٧-٢٤-١٤٤٦-١٧٧ ISBN

رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198169

طبع بمطابع أخبار اليوم

الروايات المشهورة

- ١ — جين إير
- ٢ — فرانكنشتاين
- ٣ — مونفليت
- ٤ — دراكولا
- ٥ — لورنادون
- ٦ — دكتور جيكل ومستر هايد
- ٧ — شي الملكة الأسطورة
- ٨ — كونت مونت كريستو
- ٩ — الرجل الخفي
- ١٠ — الزمن العصيب

